

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة 8 ماي 1945 قالمة



كلية العلوم الانسانية والاجتماعية  
قسم علم الاجتماع  
مخبر الفلسفة والدراسات الإنسانية والاجتماعية ومشكلات الاعلام  
الميدان: العلوم الانسانية والاجتماعية الشعبية: علم الاجتماع  
الاختصاص: علم الاجتماع

## أطروحة

## لنيل شهادة الدكتوراه في الطور الثالث

من إعداد:

## مراد بوفولة

بعنوان

# التربية الاجتماعية وقيّم المواطنة عند مالك بن نبي

بتاريخ: 2 جويلية 2024، أمام لجنة المناقشة المكونة من:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
السيد حميد حملاوي	أستاذ التعليم العالي	بجامعة 8 ماي 1945 قالمة	رئيسا
السيدة ليليا بن صوبلح	أستاذة التعليم العالي	بجامعة 8 ماي 1945 قالمة	مشرفا
السيد عبد العزيز بووذن	أستاذ التعليم العالي	بجامعة عبد الحميد مهري قسنطينة	ممتحنا
السيد نبيل حميدشّة	أستاذ التعليم العالي	بجامعة 20 أوت سكيكدة	ممتحنا
السيد عبد العزيز جاهمي	أستاذ التعليم العالي	بجامعة 8 ماي 1945 قالمة	ممتحنا
السيد خالد بوشارب	أستاذ التعليم العالي	بجامعة 8 ماي 1945 قالمة	ممتحنا

السنة الجامعية: 2024/2023

## شكر ومحرفان

الشكر أولا وانخير الله عزوجل أن وفقني في إتمام الاطروحة

فله الحمد والمنة وحده

ثم الاستافة المشرفة على جهدها معي وادارة جامعة 8ماي 1945 لقبولي طالب وكتوراه عندهم

ثم الشكر للوالدين الكريمين : الوالد رحمه الله والوالدة حفظها الله

وجميع العائلة

ثم الشكر للافراء الاسرة الكريمة لصبرهم معي طوال فترة الدراسة

كما لو انسى الاساتذة الذين شجعوني طوال المشوار كل باسمه الخاص

إهداء

الى كل من ساندني ودعمني في هذا العمل

أهدي هذا العمل المتواضع

وأخص بالذكر والدي

مراد بوفولة

### ملخص الدراسة:

التربية الاجتماعية وقيم المواطنة عند مالك بن نبي

تحت إشراف الأستاذة ليلى بن صويلح

الطالب مراد بوفولة

تتناول هذه الدراسة نظرة المفكر مالك بن نبي لموضوعي التربية الاجتماعية وقيم المواطنة، من خلال قراءة حديثة لأفكار مالك بن نبي، ومن من أجل معرفة ذلك انطلقت من التساؤل التالي:

■ ما الدلالات القصدية للتربية الاجتماعية عند مالك بن نبي، التي ترسخ قيم المواطنة؟

حيث حاولت الإجابة على هذا التساؤل من خلال الإجابة على مجموعة من الأسئلة الفرعية، حيث تم استعمال تحليل الخطاب كمنهج وأداة للدراسة، مع الاستعانة بالمقابلة كأداة بحثية، حيث تم اجراء مجموعة من المقابلات مع خبراء في الفكر البنيني.

بعد تحديد مصطلحات الدراسة والنظريات والمقاربات النظرية التي لها علاقة بموضوع البحث، تناولت الدراسة السياق التاريخي والاجتماعي لعصر مالك بن نبي باعتبار أن الخطاب هو ناتج واقع اجتماعي ليغير او يعدل في هذا الواقع، ثم تناول حياة المفكر وأهم المؤثرات في فكره.

وخلصت الدراسة في النهاية أن: التربية الاجتماعية عند مالك بن نبي هي عملية تحويل الفرد الخام الى فرد مكيف؛ يتكيف مع الظروف الاجتماعية التي يتشارك فيها مع أبناء مجتمعه من خلال شبكة من العلاقات الاجتماعية، وتجعله يكتسب مجموعة من المهارات الحياتية والقيم الأخلاقية والجمالية، وهذه التربية في حقيقتها تبحث عن إيجاد الجيل الذي يصنع حضارة ويحافظ عليها ويحاول تطويرها مع الزمن وفق براديجم ثقافي أصيل يتمثل مجموعة من قيم المواطنة.

## Study Abstract:

### **Social Education and Citizenship Values of Bin Nabi's Owner**

Student:

Under the direction of Professor

Mourad boufoula

Lilia Ben-Souilah

This study examines the perspective of the thinker Malik Bennabi on the topics of social education and citizenship values, through a modern reading of Malik Bennabi's ideas. To explore this, the study begins with the following question:

**What are the intentional connotations of social education according to Malik Bennabi, which establish citizenship values?**

The study attempted to answer this question by addressing a set of sub-questions. Discourse analysis was used as a methodology and tool for the study, along with interviews as a research instrument. A series of interviews were conducted with experts in Bennabi's thought.

After defining the study's terminology and the theories and theoretical approaches related to the research topic, the study examined the historical and social context of Malik Bennabi's era, considering that discourse is a product of social reality that aims to change or modify this reality. The study then explored the thinker's life and the most important influences on his thought.

The study concluded that: Social education according to Malik Bennabi is the process of transforming the raw individual into an adapted individual; one who adapts to the social conditions shared with members of their society through a network of social relationships. This education enables the individual to acquire a set of life skills and ethical and aesthetic values. In essence, this education seeks to create a generation that builds civilization, preserves it, and attempts to develop it over time according to an authentic cultural paradigm that embodies a set of citizenship values.

## Résumé de l'étude :

### Éducation sociale et citoyenneté Valeurs du propriétaire de Bin Nabi

Étudiant

Sous la direction du Professeur

Mourad boufoula

Lilia Ben-Souilah

Cette étude examine la perspective du penseur Malek Bennabi sur les sujets de l'éducation sociale et des valeurs de citoyenneté, à travers une lecture moderne des idées de Malek Bennabi. Pour explorer cela, l'étude part de la question suivante :

#### **Quelles sont les connotations intentionnelles de l'éducation sociale selon Malek Bennabi, qui établissent les valeurs de citoyenneté ?**

L'étude a tenté de répondre à cette question en abordant un ensemble de sous-questions. L'analyse du discours a été utilisée comme méthodologie et outil pour l'étude, avec l'utilisation d'entretiens comme instrument de recherche. Une série d'entretiens a été menée avec des experts de la pensée bennabiienne.

Après avoir défini les termes de l'étude et les théories et approches théoriques liées au sujet de recherche, l'étude a examiné le contexte historique et social de l'époque de Malek Bennabi, considérant que le discours est le produit d'une réalité sociale visant à changer ou modifier cette réalité. Elle a ensuite abordé la vie du penseur et les principales influences sur sa pensée.

L'étude a conclu que : l'éducation sociale selon Malek Bennabi est un processus de transformation de l'individu brut en un individu adapté ; qui s'adapte aux conditions sociales qu'il partage avec les membres de sa société à travers un réseau de relations sociales. Cette éducation lui permet d'acquérir un ensemble de compétences de vie et de valeurs éthiques et esthétiques. Cette éducation cherche essentiellement à créer une génération qui construit une civilisation, la préserve et tente de la développer au fil du temps selon un paradigme culturel authentique qui incarne un ensemble de valeurs de citoyenneté.

## محتويات الدراسة

شكرو عرفان

اهداء

ملخص الدراسة:

محتويات الدراسة

فهرس الأشكال

فهرس الجداول

### مقدمة

2.....مقدمة

7.....تمهيد

### الفصل الأول: الإطار التصوري للدراسة

8.....أولا المعالم التصورية للدراسة

8.....1-أهمية الدراسة

8.....2- أسباب إختيار الدراسة

9.....3-إشكالية الدراسة

14.....4- أهداف الدراسة:

15.....5- مفاهيم الدراسة

15.....5-1 مفهوم التربية الاجتماعية

16.....5-2- مفهوم قيم المواطنة:

21.....5-3- قيمة العيش المشترك:

22.....5-4- قيمة المسؤولية الاجتماعية

25.....6- الدراسات السابقة:

33.....ثانيا: منهج الدراسة:

33.....	1- نوع الدراسة:
33 .....	2- المنهج:
36 .....	1-1- التحليل
36 .....	2-1- الخطاب
40 .....	3-1- تحليل الخطاب:
44 .....	2 تقنيات الدراسة:
44 .....	1-2- المقابلة
45 .....	2-2- أطر الدراسة:
47 .....	الخلاصة:

## الفصل الثاني: السياق التاريخي والاجتماعي لفكر مالك بن نبي

53 .....	تمهيد.....
54 .....	أولاً: - حياة مالك بن نبي:
54 .....	1- مولده ونشأته الأولى:
57 .....	2- الهجرة والتعارف على ثقافة الآخرين:
62 .....	- العودة إلى الجزائر 1965:
63 .....	3- العوامل المؤثرة في تكوين بن نبي:
64 .....	4- مؤلفات مالك بن نبي:
66 .....	ثانياً: السياق التاريخي والاجتماعي لخطاب مالك بن نبي:
66 .....	1- المجتمع الجزائري الذي عاشه مالك بن نبي:
73 .....	2- واقع الحركة الإصلاحية في العالم الإسلامي:
73.....	2-1- المشروع الإسلامي الحركي الحديث:
85 .....	2-2- المشروع التغريبي اللاديني:

## الفصل الثالث: الدلالات القصدية للتربية الاجتماعية في فكر مالك بن نبي

94.....	تمهيد:
95.....	أولاً : النظريات المفسرة للتربية والتنشئة الاجتماعية.....

95	1-النظريات السوسولوجية:
96	1-1-الاتجاه الإصلاحى الانسانوى.....
97	1-2الاتجاه البنائى الوظيفى:
101	2- النظريات السيكلولوجية:
102	2-2-نظرية التعلم الاجتماعى.....
104	ثانيا التربية الاجتماعية عند مالك بن نبي.....
104	1-التربية عند مالك بن نبي .....
108	1-1التربية عملية تثقيفية.....
109	1-2مفهوم الثقافة عند مالك بن نبي:
113	1-3التربية عملية توجيه:
118	2-مفهوم التربية الاجتماعية عند مالك بن نبي:
128	1-2-التربية منح هداية المجتمع.....
129	2-2التربية الاجتماعية مجموعة من القواعد:
132	2-3-التربية الاجتماعية وعلاقتها بأسلوب حياة المجتمع.....
137	2-4-التربية الاجتماعية والفكرة الدينية.....
141	3-مفهوم التحضر عند مالك بن نبي.....
141	3-1-شبكة العلاقات الاجتماعية ودورها في تنظيم الحياة الاجتماعية.....
142	3-2التحضر هو المواطنة:
143	3-3 التربية الاجتماعية هي نظرية في السلوك وليس نظرية في المعرفة:
149	الخلاصة.....

### الفصل الرابع: قيمة العيش المشترك في فكر مالك بن نبي

150	تمهيد:
151	أولا: قيم العيش المشترك.....
152	1-المقاربات النظرية المفسرة للمواطنة والعيش المشترك.....
152	1-1: المقاربات النظرية المفسرة للمواطنة:

165.....	2-1- المقاربات النظرية المفسرة للعيش المشترك.....
172.....	ثانيا: قيمة العيش المشترك عند مالك بن نبي:.....
174.....	1- مفهوم شبكة العلاقات الاجتماعية.....
183.....	1-1- دور الفكرة الدينيّة في استمرار شبكة العلاقات الاجتماعية:.....
188.....	2-1- التأثيرات المتبادلة بين العوالم الثلاثة وشبكة العلاقات الاجتماعية:.....
201.....	2- أهمية شبكة العلاقات الاجتماعية في تحقيق العيش المشترك.....
201.....	2-1- التواصل والتفاعل:.....
202.....	2-2- الدعم الاجتماعي.....
203.....	2-3- المسؤولية الاجتماعية.....
206.....	الخلاصة.....

## الفصل الخامس: قيمة المسؤولية الاجتماعية في فكر مالك بن نبي

208.....	تمهيد:.....
209.....	أولا: المسؤولية الاجتماعية.....
209.....	1- التفسير النظري للمسؤولية الاجتماعية.....
209.....	1-1- أصحاب العقد الاجتماعي:.....
212.....	2-1- المسؤولية الاجتماعية عند جاكلين روز.....
212.....	3-1- المسؤولية الاجتماعية عند أصحاب نظرية الواجب.....
218.....	ثانيا- المسؤولية الاجتماعية في فكر مالك بن نبي.....
218.....	1- قيمة الواجب والحق:.....
219.....	1-1- التلازم بين الحق والواجب.....
225.....	2-1- الحق نتيجة حتمية لأداء الواجب:.....
227.....	2_ الانتماء والولاء.....
229.....	2-1- الانتماء.....
232.....	2-2- الولاء.....
238.....	3- المسؤولية الاجتماعية والغيرية الاجتماعية.....

- 239.....1-3-الاندماج في حركة العمل الاجتماعي(الخدمة الاجتماعية).....
- 241.....2-3-تحقيق التكامل الاجتماعي.....
- 242.....الخلاصة.....

### الفصل السادس: قيمة الفعالية الاجتماعية في فكر مالك بن نبي

- 245.....تمهيد:.....
- 246.....أولا: الفعالية الاجتماعية:.....
- 248.....1- التفسير النظري للفعالية:.....
- 248.....1-1: المنظور الغربي (نظرية ألبرت باندورا) :.....
- 249.....2-1:المنظور الاسلامي (الطيب برغوت/ ماجد الكيلاني):.....
- 252.....2- التفسير النظري للأخلاق:.....
- 253.....1-2-التفسيري الفلسفي:.....
- 255.....ثانيا: الفعالية الاجتماعية عند مالك بن نبي:.....
- 256.....1- التوجيه الثقافي:.....
- 258.....1-1-التوجيه الأخلاقي:.....
- 263.....2-1-الذوق الجمالي:.....
- 266.....3-1- المنطق العملي:.....
- 269.....4-1- التوجيه الفني أو الصناعة:.....
- 271.....2- الترتيب على المنظور السني:.....
- 275.....3-فعالية الأفكار:.....
- 276.....1-3-الفكرة الفعالة عند مالك بن نبي:.....
- 277.....2-3-الفكرة الدينية وطاقتها الروحية:.....
- 278.....3-3 فكرة الزمن.....
- 280.....الخلاصة:.....

## الفصل السابع: نتائج الدراسة

- نتائج الدراسة: ..... 282
- 1- مناقشة النتائج في ظل أهداف الدراسة ..... 283
- 2- مناقشة النتائج في ظل تساؤلات الدراسة ..... 286
- 2-2- الدلالات القصدية للتربية الاجتماعية ..... 289
- 2-3- التربية الاجتماعية باعتبارها مفهوما: ..... 294
- 2-4- التربية الاجتماعية باعتبارها براديجم تثقيفي للتحضر: ..... 295
- 2-3- قيم المواطنة: ..... 296
- 3- مناقشة النتائج في ظل النظريات: ..... 300
- 4- في ظل الدراسات السابقة: ..... 302
- الخاتمة ..... 308
- قائمة المصادر والمراجع ..... 311

## فهرس الأشكال:

رقم الصفحة	عنوان الشكل	رقم الشكل
39	الخطاب جزء من السياق وايدولوجية المؤلف	شكل رقم 1:
44	الفرق بين تحليل الخطاب وتحليل المحتوى عند فان دايك	شكل رقم 2:
63	العوامل المؤثرة في تكوين مالك بن نبي	شكل رقم 3
67	ملامح المجتمع الجزائري الذي عاشه مالك بن نبي	شكل رقم 4:
69	طبقات المجتمع الجزائري أثناء فترة الاستعمار	شكل رقم 5:
70	سياسة الاستعمار الفرنسي في السيطرة على الجزائر	شكل رقم 6
105	تأثير العمل التربوي في عالم الأشخاص، الاشياء والأفكار	شكل رقم 7:
106	التربية هي المحور الذي يدور في فلكه المجتمع والثقافة والحضارة	شكل رقم 8:
109	أنواع مهارات الحياة	شكل رقم 9
113	أبعاد الثقافة عند مالك بن نبي	شكل رقم 10
115	كيفية التعامل مع الطاقة الحيوية عند مالك بن نبي	شكل رقم 11
120	ماهية البيداغوجيا	شكل رقم 12
121	منهج التربية الاجتماعية	شكل رقم 13
129	شروط بناء المجتمع	شكل رقم 14
132	مراحل الحضارة عند مالك بن نبي	شكل رقم 15
139	تفاعل عناصر الحضارة في وسط الفكرة الدينية	شكل رقم 16

140	سلم الحاجات عند ماسلو	شكل رقم 17
143	بين بناء مجتمع أفضل والمجتمع وبناء الحضارة	شكل رقم 18:
147	الفرق بين الانسان الخام والإنسان المكيف	شكل رقم 19
159	العلاقة بين الفرد والدولة والفرد في ظل المقاربة القانونية	شكل رقم 20
161	العلاقة بين الفرد والدولة ومؤسساتها في ظل المقاربة السياسية	شكل رقم 21
165	علاقة المواطن بالدولة والمجتمع	شكل رقم 22
194	تقسيم الأفكار عند مالك بن نبي من خلال صلتها بالمجتمع	شكل رقم 23
198	الفرق بين الأفكار من حيث حيويتها	شكل رقم 24
236	دوائر الانتماء عند مالك بن نبي	شكل رقم 25
290	الفعالية عند الطيب برغوث	شكل رقم 26
301	الدلالات القصدية للتربية الاجتماعية في فكر مالك بن نبي	شكل رقم 27

## فهرس الجدوال

رقم الصفحة	عنوان الجدول	رقم الجدول
46	الكتب المختارة للدراسة	جدول رقم 1
65	مؤلفات مالك بن نبي	جدول رقم 2

مقدمة

## مقدمة

شكلت التربية محور اهتمام الكثير من المفكرين والمصلحين منذ أمد بعيد، وذلك باعتبارها عملية لها علاقة بالإنسان مباشرة والمجتمع، ولقد كان أول المنشغلين بها هم الفلاسفة والمصلحين ممن يكونوا يطلقون عليهم اسم الحكماء كحكيم الصين كونفوشيوس، كما كانت وظيفة الأنبياء والرسل عبر الزمن ، لأنها هي العملية القادرة على تغيير النفس والواقع الاجتماعي، وهي أساس النهوض الحضاري.

وتسهر المجتمعات منذ قديم الزمان تعمل من أجل تربية النشء على القيم والمعايير الخاصة بها، لضمان تماسك المجتمع من جهة واستمراره من جهة ثانية، لأن تكيف الفرد مع الواقع الاجتماعي يساهم في عملية الاندماج والانصهار وتحقيق المواطنة التي هي مجموعة من القيم والمبادئ المتفق عليها من طرف أغلب أفراد المجتمع والتي ينشئون عليها وتصير ثقافة توجه أسلوب حياتهم.

كما أن التربية من جهة أخرى تساهم في النهوض الحضاري والبناء الثقافي للمجتمعات البشرية ولهذا كثيرا ما ارتبطت كلمة التربية بكلمات الأخرى قد تكون لها علاقة بالدين أو الأيديولوجية كقول التربية الإسلامية والتربية المسيحية والتربية الماركسيّة، وقد تلحق بكلمة بحسب وظيفتها: التربية الجسدية، التربية الفنية، والتربية الاجتماعية، كما تلحق بحسب الفلسفة المنبثقة منها كقول الفلسفة الطبيعية، الفلسفة المثالية والفلسفة البراغماتية.

ومن بين الذين أهتموا بالتربية نجد المفكر مالك بن نبي ضمن سلسلة كتبه الموسومة بـ: "مشكلات الحضارة"، الذي حاول من خلالها معرفة سبب التخلف الحضاري للعالم الإسلامي، بعدما كان إلى وقت قريب على رأس المجتمعات التي تُوصف بالحضارية، فقام بتحليل الحضارة وعناصرها، كما حلل الثقافة

والعناصر المركبة لها، وتحدث عن التربيّة كعملية تنقيفية وعن التربية الاجتماعية باعتبارها الموجه لحركة الأفراد المجتمعات في آن واحد، ودورها في تنمية الأمم وتطورها الاجتماعي، والاقتصادي على أساس أنها هي القدرة على إيجاد الفرد المتحضر.

حاولت هذه الدراسة قراءة فكر مالك بن نبي قراءة راهنية؛ بفكر الراهن وبمصطلحات الزمن الحديث، لا قراءة تأييدية ولا قراءة نقدية بل قراءة تسديديّة، حيث نظرت في فكر مالك بن نبي بنظرة تراثية تسديديّة تسدد ما هو صائب وتحاول تجديدها بلغة حديثة، من خلال فهم الأفكار في سياقها التاريخي عبر كرونولوجيا إصدارها، ثم تحليل هذه الأفكار بمنظور سوسيوترابي باستخدام المناهج الجديدة في القراءة التأويلية لفكره.

بالاعتماد على تحليل الخطاب كمنهج وأداة بحث، مستعينة بالمقابلة مع مجموعة من الخبراء والمهتمين بفكر مالك بن نبي، حاولت الدراسة الخروج بنتائج عملية يمكن تجسيدها في الميدان كأفكار عملية تتلاءم مع روح العصر، تكون هذه الأفكار الشاهد عليها فكر مالك بن نبي.

اشتملت الدراسة على سبعة فصول كالتالي:

في الفصل الأول الموسوم بالاطار التصوري للدراسة: تم تحديد الإطار التصوري للموضوع من خلال إشكالية الدراسة والتساؤلات المراد الإجابة عليها، وأسباب اختيار الموضوع والأهداف التصورية لها. كما تم عرض الدراسات السابقة التي تم الاستفادة منها، وتحديد المفاهيم الرئيسية للدراسة: والإجراءات المنهجية المتبعة في اعداد الدراسة من المقدمة الى الخاتمة، وتم تحديد منهج الدراسة والإطار الموضوعي لها

الفصل الثاني: تم في الفصل الثاني تناول حياة مالك بن من حيث النشأة والعوامل التي ساهمت في بناء منظومة أفكاره، كالتعليم والرحلات التي قادته الى اوروبا والمشرق العربي، كما تناول السياق التاريخي والاجتماعي الذي أنتج فيه خطابه الفكري، من خلال التطرق لواقع المجتمع الجزائري، وواقع الحركة الاصلاحية في العالم الاسلامي.

الفصل الثالث: تم التطرق الى الدلالات القصدية للتربية الاجتماعية عند مالك بن نبي بعد استعراض أهم التفسيرات النظرية للتربية والتنشئة الاجتماعية، سواء كانت تفسيرات سوسولوجية أو ببيكولوجية

الفصل الرابع: في هذا الفصل تم الحديث عن قيمة العيش المشترك عند مالك بن نبي وشبكات العلاقات الاجتماعية التي توطد العيش المشترك، مع توفير الظروف التي تسمح للأفراد بالتفاعل والتعاون مع بعضهم البعض، كما التطرق الى التربية على إقامة شبكات قوية من العلاقات الاجتماعية تجمع بين الأفراد وتعزز التكامل والتضامن بينهم وتؤسس للمواطنة الفعالة داخل المجتمع.

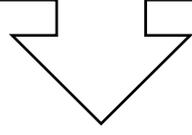
الفصل الخامس: قيمة المسؤولية الاجتماعية عند مالك بن نبي هي من القيم التي التطرق لها في هذا الفصل ، حيث تم الحديث عن اهم الآراء النظرية التي فسرت المسؤولية الاجتماعية مثل كانط واصحاب العقد الاجتماعية، عن المسؤولية الاجتماعية عند مالك بن نبي .

الفصل السادس: قيمة الفعالية الاجتماعية عند مالك بن نبي في هذا الفصل تم اولا تقديم التفسيرات النظرية للفعالية في المنظور الاسلامي والمنظور الغربي ثم الى مفهوم العام للفعالية الاجتماعية عند مالك بن نبي

الفصل السابع: نتائج الدراسة وهو الفصل الذي أحتوى مخرجات الدراسة وماتوصلت إليه من نتائج

الخاتمة: وهي آخر ما جاء في الدراسة.

# الفصل الأول



الإطار التصوري

للدراصة





## تمهيد:

التربية وسيلة المجتمعات للرفي والازدهار، ولهذا كل مجتمع يربي أفرادَه على قيمه وفلسفته في الحياة، فالتربية هي عملية صناعة الأجيال التي تتحمل المسؤولية في النهوض الحضاري للمجتمع وبناء تاريخ مجده بين باقي المجتمعات

يهدف هذا الفصل الى تقديم إطار تصوري ومنهجي لهذه الدراسة من خلال تقديم إشكالية البحث، والتساؤلات التي يسعى الباحث الإجابة عنها من خلال هذه الدراسة، كما يقدم الأسباب التي جعلته يختار هذا الموضوع، والأهمية التي يكتسيها، والأهداف المرجو الوصول إليها، وذلك باعتبار أن أي بحث تقتضي الضرورة المنهجية توضيح الأسباب والدوافع لاختيار الموضوع بالإضافة الى الأهمية والأهداف المسطرة.

## أولاً: المعالم التصورية للدراسة

### 1- أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في أهمية الموضوع في حد ذاته، والذي تكمن أهميته فيما يلي:

- باعتبار التربية الاجتماعية أو التنشئة الاجتماعية من الأسس التي تبني عليها المجتمعات، والتي تؤسس لثقافة المجتمع وأمنه الفكري.
- موضوع التربية على المواطنة الذي أصبح محور أساسي في جميع البرامج التربوية والمناهج التعليمية، حيث جاء في القانون التوجيهي للتربية الوطنية رقم: 08-04 المؤرخ في: 23 جانفي 2008، في مادته الخامسة ما يلي: "ومن ثمة، يتعين على المدرسة القيام على الخصوص بما يأتي:  
تنمية الحس المدني لدى التلاميذ وتنشئتهم على قيم المواطنة بتلقينهم مبادئ العدالة والإنصاف وتساوي المواطنين في الحقوق الواجبات والتسامح واحترام الغير والتضامن بين المواطنين"<sup>1</sup>.
- فكر مالك بن نبي أصبح من اهتمامات الباحثين والعاملين في الحقل السوسولوجي، وذلك في إطار ما يسمى بتأصيل العلوم وجزارتها.

### 2- أسباب اختيار الموضوع:

- الاهتمام الشخصي للباحث بموضوع المواطنة وفكر مالك بن نبي.
- إبراز قيمة فكر مالك بن نبي ومكانته في توجيه الفكر التربوي الإصلاحي.
- الموضوع له علاقة بتخصص الباحث وهو علم الاجتماع التربوي.
- نقص الدراسات حول التربية الاجتماعية عند مالك بن نبي، حيث أن أغلب الدراسات تتحدث عن موضوع الحضارة عنده وأغفلت الفكر التربوي.

<sup>1</sup> وزارة التربية، القانون التوجيهي للتربية الوطنية رقم 08-04 المؤرخ في 23 جانفي 2008، عدد خاص، 2008، ص 42

■ الرغبة في تحليل خطاب مالك بن نبي في سياق الراهن واستخراج الأفكار التي يمكن أن تكون نموذجاً لمنهج تربوية في وقتنا الحالي.

### 3- إشكالية الدراسة:

الانسان اجتماعي بطبعه، جملة دونها ابن خلدون في مقدمته، وقالها سقراط قبله الانسان كائن اجتماعي، ورددها العديد من المفكرين من بعده، والتي تعني أنه لا يستطيع العيش بمفرده، معزولاً عن باقي المجتمع، فهو مفطور على العيش في جماعة، يؤثر فيها ويتأثر بها، ينسج يومياً علاقات اجتماعية، من خلال عمليتي التواصل والتفاعل مع الآخرين، ومع السيرورة التاريخية تتكون لدى كل جماعة إنسانية ثقافة خاصة بها نتيجة التراكمات المعرفية والتجارب الحياتية، تميزها عن باقي الجماعات.

وكل مولود يولد يسعى الجماعة لتنشئته على موروثها الثقافي، الذي يساعده على الاندماج الاجتماعي والتعايش مع محيطه، ولهذا اهتمت المجتمعات البشرية بعملية التربية باعتبارها قناة تنتقل فيها ثقافة المجتمع من جيل إلى آخر وهذا ما أشار إليه دوركايم في قوله: "كل مجتمع يقوم بتحديد صورة مثالية للإنسان، أي ما يجب أن يكون عليه على المستوى العقلي والفيزيقي والأخلاقي، وإن هذه الصورة المثالية تتحدد ببعض المعايير، وهي المعايير نفسها بالنسبة لأي مواطن، مع أن هذه الصورة تتباين في بعض المستويات، وفقاً لتباين الأوساط الاجتماعية التي يشتمل عليها مجتمع ما"<sup>1</sup>.

وقد نال العمل التربوي اهتمام المفكرين والفلاسفة منذ الحضارات القديمة، وكل حضارة إنسانية تركت تراثاً فكرياً اجتماعياً تربوياً، يوضح ملامح الحياة العامة الاجتماعية والتربوية لتلك المجتمعات، كما أن

<sup>1</sup> إميل دوركايم، التربية والمجتمع، ترجمة علي أسعد وطفة، دار معد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ، 1996، ط، ص 66 .

أدبيات الفلاسفة، والمربين زاخرة بعبارات وأفكار تربوية، تعبر عن فلسفة المجتمع التربوية، وعن وسيلته في تخليد ذاته والحفاظ على وجوده.

فالتنشئة الاجتماعية أو التربية الاجتماعية، مصطلحات عرفت لها العلوم الاجتماعية، وتداعمت بها المعاجم الاصطلاحية والقواميس اللغوية، مع بداية عصر الأنوار، والانطلاق الحضاري للمجتمعات الغربية، وقلّ أن تجد مفكرا أو فليسوبا لم يتحدث عن التربية باعتبارها وسيلة وهدفا، وسيلة لنقل وحفظ الثقافة المجتمعية وهدفا لبناء الفرد المتشبع بروح الحداثة وقيم المجتمع، القادر على الاندماج في وسط الاجتماعي، وهذا أيضا ما أشار إليه جون ديوي: "فوجود المجتمع متوقف كما هو الحال في الحياة البيولوجية على عملية النقل، وهذا النقل يتم بانتقال عادات العمل والتفكير والشعور من الكبار إلى الناشئين، فبغير انتقال المثل العليا والآمال والمطامح والمعايير والآراء من الأفراد الذاهبين عن حياة الجماعة إلى أولئك الوافدين عليها لا يمكن لحياة الجماعة أن تدوم، ولو كان الأفراد الذين يؤلفون الجماعة يعيشون أبد الدهر، لعملوا إن شاءوا على تربية الناشئين، إلا أن الدافع لهم في هذه الحال يكون الرغبة الشخصية لا الضرورة الاجتماعية، أما الآن فالتربية عمل تختمه الضرورة"<sup>1</sup>.

ومع ظهور الدولة الوطنية على أنقاض الدولة القومية، عرف المجتمع الغربي تغيرات اجتماعية كبرى، نتيجة النهضة الصناعية، والتطور الاقتصادي، وصاحب ذلك تغييرا في أنظمة الحكم السياسية، مما أجبر أصحاب الفكر التربوي والفلاسفة على الاجتهاد من أجل وضع نظريات في المعرفة والسلوك، تؤسس لفكر تربوي جديد، مبني على مقولات الحداثة، مثل الوطنية، المواطن، الديمقراطية، الانتماء، والمواطنة.

<sup>1</sup> جون ديوي، الديمقراطية والتربية، تر: زكريا ميخائيل و منى عفراوي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1954، القاهرة، ط 2، ص 3.

ويعتبر لفظ المواطنة اليوم، أكثر هذه المقولات حضورا في الأدبيات المعرفية، وفي المجالات العلمية، وأكثر كلمات القاموس السياسي استعمالا، وحضورا في خطابات السياسة، والمناهج التربوية، والقواميس الاصطلاحية، حيث أصبح ينافس كلمات أخرى سبقته في الذبوع والانتشار مثل: الحرية، الحقوق والواجبات، والديمقراطية، التي كانت غالبا ما يستعمل مرتبطة بها، ولكنه صار اليوم شعارا متداولاً يعبر عن الحرية، الحقوق والواجبات، والديمقراطية.

يتحدث الأستاذ في مدرجه عن المواطنة كمفهوم بأبعاده الأستمولوجيا، ويتخذها السياسي شعارا في خطابه وحملاته الانتخابية، ويستعمله المواطن البسيط في المطالبة بحقوقه، وإثبات وجوده، وأصبح أكثر المفاهيم المشتركة بين الحقول المعرفية، كما صار يثير جدلا فلسفيا بين المستغلين في المجال المعرفي والفلسفي، وذلك لأن هناك من يريد أن يحصره في علاقة ثنائية فرد/دولة، أو فرد/فرد، وآخرون يرون انه يعبر عن كل ما يمس حياة الفرد اليومية، سواء تعلق الأمر في علاقته بالدولة، أو بعلاقته مع الآخرين الذين يشاركونه المعيشة.

كما أن الاختلاف في تحديد المفهوم ناتج أيضا لكيفية التعامل معه، ففريقا يرى أنه عبارة عن مفهوم مجرد لا ارتباطات له بالمكان والزمان، وآخر يرى بأن الكلمات تجسد مجالات مفهومية، تشير إلى تجارب إنسانية، من خلال الحياة اليومية والوقائع المعيشية، والتجارب لا تترجم في الواقع الاجتماعي إلا إذا تم التعبير عنها بطرق مستصاغة لدى الجميع، تعبيرا يعمل على الربط بين الفكر كتصور ذهني، وبين العمل كمنشأ يومي.

والواقع العربي لم يكن في منأى عن هذا الجدل الفكري حول مفهوم المواطنة وأبعادها، وذلك لكون الساحة الفكرية العربية كانت تتجاوزها تيارات إيديولوجية عديدة، حيث اتجه المفكرين في محاولة ضبط

المفهوم إلى ثلاث اتجاهات، اتجاه متأثر بالحضارة الغربيّة وما أنتجته من أفكار وعلوم، وبالفكر الحدائى ومقولات الحدائى، حيث يرى أصحابه أن النهضة العربيّة لا تمر الا من خلال الاعتماد على الإنتاج الفكرى الغربى، وأن مقولات الحضارة الغربيّة هي عبارة عن مفاهيم مجردة لا يحدها الزمان والمكان، ويمكن اعتمادها كمرجعيّة فكرية في المجتمع العربى، لتحقيق الانطلاقة الحضارية.

أما الاتجاه الآخر فينطلق من مقولة أن الفكرة بنت بيئتها، وأن ليس بالضرورة ما صلح في الغرب، يصلح عند العرب والمسلمين، لهذا كانت الدعوة لرفض الاقتباس والاستيراد من الفكر الغربى، لاختلاف البيئة والاعتبارات السوسيوثقافية، ويدعو لإنتاج فكر جديد مرتبط بتاريخ وثقافة المجتمع وأيديولوجيته، التي تعتبر محددات منهجية وضوابط معيارية لبناء حضارة تتماشى مع البيئة الاسلامية العربيّة.

أما الاتجاه الثالث فقد أخذ معطى وسطا بين الاتجاهين، حيث يرى أن الإنتاج الفكرى الغربى فيه ما يؤخذ منه، وفيه ما يرد، ولهذا يجب العمل على تمحيصه وتنقيته، وفق قيم المجتمع وأصالته يتم الاحتفاظ به والأخذ بأفكاره، وما لم يوافق يتم رده وعدم الأخذ به، باعتبار أن رجال الفكر الغربى فيهم من العقلاء ممن أنتجوا فكرا إنسانيا رحبا متفتحا على الآخر ومتقابلا له، ومنهم من أنتج فكرا عدائيا مبني على الاستعلاء وكراهية الآخر.

ولكن هذا الاختلاف في تحديد المفهوم لم يمنع الاتفاق على الدعوة الى تربية الفرد العربى على قيم المواطنة وفق ما يحقق مصالح الفرد والمجتمع، وهذا ما خلصت إليه لجنة التوصيات للملتقى الدولى السنوى للبحث العلمى ببلنابن 13-14 جويلية 2018 الموسوم بالتربية على المواطنة وحقوق الانسان: " يبقى مفهوم المواطنة مفهوما معقدا وغير موحد، ويعود ذلك لطابعها السياسى، والاجتماعى والفلسفى، والايديولوجى وإلى التغيير الحاصل في تعريفها من عقد ومن ثقافة لأخرى، ومع هذا التعقيد فإنّ الثابت هو

أنّ المواطنة تتضمن التزاما عميقا وهي علاقة بين الوطن والمواطن يحكمها الانتماء والولاء والمشاركة، الذي لا يمكن أن يتحقق بدون التربية المواطنة وفق مصالح الفرد والمجتمع"<sup>1</sup>

ويعتبر مالك بن نبي من المفكرين العرب الذين رفضوا الاقتباس من الفكر الغربي، دون تمحيص، ولهذا عمل على وضع أسس لفلسفة تربويّة نابغة من أصالة المجتمع، وصالحة لأن تكون براديجم تربوي للمجتمعات الإسلامية، حيث قدم تراث فكري، حلّل فيه سبب العطالة الحضاريّة، وقدم سلسلة من الكتب والمحاضرات، أطلق عليها اسم "مشكلات الحضارة"، كما وضع معادلة للنهوض الحضاري قوامها الانسان-التراب - الوقت -، ضمن مركب من الأفكار، الأشياء والأشخاص.

وأعتبر مالك بن نبي الانسان محور أو مركز أي عملية تحضر، التي تتركز على فكرة التعايش والعيش المشترك، لهذا اهتم بوضع فلسفة تربوية تعمل على بناء الوعي الفردي والجماعي، من خلال تربيتهم على مجموعة من القيمّ فيهم الحيويّة لإحداث ديناميكية داخل المجتمع، وفق عمليّة تنقيفية توجه الأفراد نحو عمليّة التحضر بفاعلية بناءة.

لقد أخذت التربية حيّزا كبيرا في كتابات مالك بن نبي، حيث قدم تصوره الخاص للتربيّة، وكيف يمكن أن تحول الفرد الخام إلى فرد مكيف، ومن مجرد إنسان بيولوجي إلى إنسان اجتماعي، ويمتلك المهارات الحياتيّة اللازمة، التي تكون في مستوى الوعي المجتمعي، ويساهم عن طريق نسج شبكة من العلاقات الاجتماعية، في بناء الوطن والمحافظة عليه، حيث عرف بمساهماته الكبيرة في فهم العلاقة التي تربط بين التربية والمجتمع، في أعماله، قدّم رؤية للتربية انطلاقا من الواقع الاجتماعي المعاش، حيث أكد على أهمية

<sup>1</sup>مركز جيل البحث العلمي، البيان الختامي -الملتقى الدولي السنوي للبحث العلمي التربية على المواطنة وحقوق المواطنة، مركز جيل للبحث العلمي، طرابلس، 2018،

دور التربية في تشكيل الفرد الذي بإمكانه أن يحمل صفة التحرر من تكوينه الاجتماعي المبني على التوجيه الثقافي

في فلسفته التربوية، ركز بن نبي على فكرة أن التربية تلعب دورًا حيويًا في تحويل الفرد من كائن بيولوجي بسيط إلى فرد مكيف وفاعل في المجتمع. هذا التحول يشمل اكتساب المهارات الحياتية اللازمة والتي تساهم في بناء المجتمع والمحافظة عليه.

أطلق بن نبي على هذا التوجه التربوي اسم "التربية الاجتماعية"، والتي تسعى إلى تنمية الفرد من خلال تعزيز قدراته الاجتماعية وتنمية وعيه بالمسؤولية تجاه المجتمع، يهدف هذا النهج إلى بناء شبكة من العلاقات الاجتماعية الإيجابية التي تعزز الاندماج والتفاعل الإيجابي داخل المجتمع.

كم وضح أهمية التربية الاجتماعية في تشكيل الهوية الاجتماعية للفرد ودوره الفاعل في بناء المجتمع، وهو مفهوم مهم في الفهم الشامل للعلاقة بين التربية والبناء الاجتماعي، والتساؤل الرئيسي هنا:

■ ما الدلالات القصدية للتربية الاجتماعية عند مالك بن نبي، التي ترسخ قيم المواطنة؟

وللوصول إلى الإجابة على هذا التساؤل ننتقل من الإجابة على التساؤلات التالية:

- ما هو السياق التاريخي والاجتماعي الذي أنتج خطاب مالك بن نبي؟
- ماهي الدلالات القصدية للتربية الاجتماعية عند مالك بن نبي؟
- كيف ترسخ التربية الاجتماعية قيمة العيش المشترك كقيمة من قيم المواطنة؟
- كيف ترسخ التربية الاجتماعية قيمة المسؤولية الاجتماعية كقيمة من قيم المواطنة؟
- كيف ترسخ التربية الاجتماعية قيمة الفعالية الاجتماعية كقيمة من قيم المواطنة؟

#### 4- أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى:

- قراءة فكر مالك بن نبي في سياقها التاريخي والاجتماعي وقراءة ثانية بمصطلحات الزمن الحاضر.
- إبراز مكانة التربية على المواطنة في فكر مالك بن نبي، ومعرفة أبعاد المواطنة عنده
- معرفة إن كان مالك بن نبي مقلداً أو مبدعاً في أفكاره مع إبراز الفكر السوسولوجي عنده .

#### 5- مفاهيم الدراسة:

المفاهيم هي أوعية فكرية تقرب الفكرة للقارئ، وتوضح المبهم لهذا فهي ضرورية لكل دراسة لأنها

توضع معالمها التي تحدد مسارها

#### 5-1 مفهوم التربية الاجتماعية

5-1-1- التحديد الاصطلاحي:

يعرف علي فكري التربية الاجتماعية بأنها: " التربية الاجتماعية هي الأساس المتين التي تشاد عليه

حياة الأمم وسعادتها، والقياس الذي تقاس به درجة تقدمها وحضارتها، بما تحيي وترقي، وتحسن أحوال

أفرادها وتقوى، وتهذب أخلاقهم وتحمّد اجتماعاتهم"<sup>1</sup>، اعتبر علي فكري التربية الاجتماعية الأساس

المتين الصلب التي تشاد عليه حياة الأمم وسعادتها، لأنها عن طريقها تحافظ على ديمومتها وتستطيع

الاستمرار في بناء مجدها وحضارتها، وتحقيق الرقي والازدهار اللذان ليعيش أفضل لأفرادها، من خلال

<sup>1</sup> علي فكري، التربية الاجتماعية، المطبعة العصرية، مصر، 1923، ص03

المنظومة القيمية المجتمعية، التي تنمي فيهم الأخلاق الواجبة لاستمرار اجتماعهم، و تنحصر التربية الاجتماعية عنده في أمرين:

أ- معرفة الواجبات ليقوم كل انسان بالواجب عليه ويعامل كل شخص بما يستحقه، والقيام بالواجب دليل الحياة بل هو سعادة الحياة، فمن لا يقوم بواجبه فلا حياة له.

ب - معرفة الآداب الاجتماعية والتمسك بأحسنها والأخذ بالمألوف منها لأنها المحور الذي تدور عليه الحياة الاجتماعية وهي التي تربط الأفراد بعضهم ببعض والميزان التي توزن بهم أخلاقهم فمن حاز منها نصيبا وافرا كان موضع التعظيم والاحترام<sup>1</sup>، حصر علي فكري التربية الاجتماعية في أمرين مهمين، الأمر الأول معرفة الواجب، لأن الفرد ملزم بأداء واجباته، ولا يمكن أدائها إلا بمعرفتها، والأمر الثاني هو معرفة الآداب الاجتماعية، فالفرد مجبول على العيش في جماعة، وكل جماعة تمتلك من المعايير والقيم التي يجب على المنتمين لها معرفتها حتى يحترمونها باعتبارها محور العيش داخل الجماعة والرابط الذي يساعد على تماسك الجماعة والحفاظ على ديمومتها.

#### 5-1-2-التحديد الاجرائي للتربية الاجتماعية:

هي العملية التي تسعى لتحويل الفرد البيولوجي إلى فرد اجتماعي من خلال غرس مجموعة من القيم الاجتماعية، التي تمكنه من بناء مجموعة من العلاقات الاجتماعية والاندماج في أسلوب حياة المجتمع.

ويعرفها مالك بن نبي بأنها: "التربية الاجتماعية منهاجا يهدي سير مجتمع ما"<sup>2</sup>

<sup>1</sup> علي فكري، مرجع سابق، ص 4

<sup>2</sup> مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، تر: عبد الصبور شاهين، دارالفكر، دمشق، ط10، 2015، ص 85

## 5-2- مفهوم قيم المواطنة:

لتحديد مفهوم قيم المواطنة تم تحديد في الأول مفهوم القيم ثم مفهوم المواطنة

### 5-2-1- التحديد الاصطلاحي لمفهوم القيم:

تعدد التحديدات العلمية للفظ القيم خاصة وأن مصطلح القيمة مستعار من علم الاقتصاد الذي هو علم مبني على القيمة ومعانيها، لهذا يمكن أن تكون تحديداً متعدد الأوجه والتفسيرات في اللغة والحقول المعرفية المختلفة، وقد تختلف هذه التحديدات والمعاني بناءً على السياق والمجال الذي يُستخدم فيه.

يعتبر مفهوم القيم من أكثر المفاهيم تعقيداً وغموضاً وذلك لأنه له ارتباط بالعديد من المفاهيم الأخرى، حيث نقول القيم الأخلاقية، القيم الدينية، القيم الاجتماعية، القيم الاقتصادية... الخ من الارتباطات المفاهيمية، ولهذا تطلق كلمة القيمة على كل ما هو جدير باهتمام الفرد أو الجماعة، بغض النظر للاعتبارات وراء استعمالها سواء كانت مادية أو معنوية، اجتماعية أو أخلاقية دينية، أو حتى جمالية، لهذا يعرفها معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية لأحمد زكي بدوي بأنها:

" كل ما يعتبر جديراً باهتمام الفرد وعنايته ونشده، لاعتبارات اجتماعية أو اقتصادية أو سيكولوجية الخ..."

والقيم أحكام مكتسبة من الظروف الاجتماعية يتشربها الفرد ويحكم بها وتحدد مجالات تفكيره وتحدد سلوكه وتؤثر في تعلمه، فالصدق والأمانة والشجاعة الأديبة والولاء وتحمل المسؤولية كلها قيم يكتسبها الفرد

من المجتمع الذي يعيش فيه، وتختلف باختلاف المجتمعات، بل والجماعات الصغيرة<sup>1</sup>، أي أن القيم عبارة عن عملية تقدير السلوكيات والحكم عليها، و معايير لها اتصال بمضامين الواقع الاجتماعي، يكتسبها الفرد من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية، تحدد سلوكه ومجالات تفكيره، كما يمكن اعتبارها مجموعة قوانين أخلاقية واجتماعية غير مكتوبة، لها علاقة مباشرة بالوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه الفرد سواء جماعته الصغيرة أو المجتمع، ولهذا تعتبر القيم نسبية.

كما يعرفها عاطف غيث بأنها: "مبدأ مجرد وعام للسلوك، يشعر أعضاء الجماعة نحوه بالارتباط الانفعالي القوي، كما أنه يوفر لهم مستوى للحكم على الانفعال والأهداف الخاصة"<sup>2</sup>، أي أنها معيار مبدئي مجرد للفعل الاجتماعي ويتسم بالعمومية، كما أنه يشعر الأفراد بالارتباط نحوه، لأنه له خاصية الالتزام الاجتماعي التي تحكم على الفصل أنه خير أو شر.

ويمكن القول إن القيم عبارة عن معتقدات أو تمثلات اجتماعية معيارية، قد تكون غاية في حد ذاتها يسعى إليها الفرد أو قد تكون وسيلة تساهم في ترشيد أنماط الأفعال الاجتماعية، وتؤثر القيم في حكم الفرد على الأمور وفي اختياراته لغايته ووسائل تحقيقها، وتتسم القيم بدرجة من الاستقرار والاستمرارية على العموم وكذلك النسبية، لأنها تختلف من جماعة اجتماعية لأخرى، غير أن كل قيمة تشمل مجالات تتفاوت في أهميتها، وقد تتغير هذه المجالات وتبقى القيمة نفسها قائمة.

<sup>1</sup> أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، ج1، مكتبة لبنان، بيروت، د.ت، ص438.

<sup>2</sup> محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2006، ص 468

5-2-2-التحديد الاصطلاحي لمفهوم المواطنة:

مفهوم المواطنة من المفاهيم التي اختلف فيها الباحثون وذلك لاختلاف المرجعيات الفكرية والاتجاهات الأيديولوجية ، ولهذا يصعب أن نجد لها تعريفاً يرضى به كل المختصين في هذا المجال، فكل يرى مفهوم المواطنة تبعاً للزاوية التي يرى منها، أو تبعاً للهوية التي يتحدث عنها، أو تبعاً لما يريد هو بها، فلقد تنوعت محاولات تحديدها علمياً نظراً لتشعب مجالاتها، كما أن مفهومها عرف تطور عبر محطات تاريخية ومساقات علمية مختلفة، ورغم ذلك فقد حاول الباحث أن يشير لبعض التحديدات التي رآها تدور حولها باقي التحديدات الأخرى.

يعرف الأمريكيان مايكلاس وجويس المواطنة بأنها كل نشاط إنساني يقوم به الفرد في حياته اليومية: "هو جزء من حياتنا اليومية، لا نكاد نتنبه إليها في أغلب الأحيان، وفي كل مرة نحضر فيها قداساً دينياً أو نذهب لاجتماع لأولياء أمور الطلبة، أو نساعد في عمل خيري، أو ننجز عملاً أو مهمة بشكل جيد وبإخلاص نكون عندها مواطنين محترمين"<sup>1</sup>، ولكي نبني هذه المواطنة يشير الكاتبان إلى ضرورة "تنشيط وتعزيز المؤسسات المحلية التقليدية.. الأسرة والمدرسة والكنيسة، والأحياء السكنية.. التي توفر التدريب والمال لممارسة المواطنة الصحيحة، التي تنقل الحكمة الشعبية وآداب السلوك اليومية من جيل إلى جيل، وهذا سيغرس في النفس الصفات الشخصية ويقويها"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> مايكل أس و جويس، بناء مجتمع من المواطنين-المجتمع المدني في القرن 21، تر: هشام عبد الله، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 2003، ص60  
<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص65.

فالملاحظ على هذا التعريف أنه قد انتقل بمفهوم المواطنة من مجرد حقوق وواجبات يمتلكها ويؤديها الفرد المواطن في دولة ما، إلى مفهوم أكثر اتساعاً واعتبرها كل نشاط إنساني وكل السلوكيات اليومية الصادرة منه، وهذا ما يعط للمواطنة مجال واسع الاستعمال أكثر من مجرد وضعية قانونية لفرد في دولة.

كما يرى **lenoir , xypas et jamet** أنه يمكننا القول أن المواطنة هي مجموعة من المبادئ والممارسات الضامنة للعيش المشترك داخل الفضاء العام الواحد مع الحفاظ على طابع الخصوصية لكل مكونات المجتمع، هذا الأمر لا يدل على ازدواجية في التعامل وإنما يدل على المساواة وضمن حق الاختلاف، إن هذا الوضع يمكننا من حصر مفهوم – بالرغم من توسع مضمونه وتشعب أبعاده- حول معنى جوهرى يتعلق بثلاث خصائص هي على التوالي:

- المواطنة هي مكانة تمنح لفرد من أجل تحقيق انتمائه لجماعة سياسية.
- هذه المكانة تمكنه من التمتع بمجموعة من الحقوق والواجبات مع المساواة الكاملة في تحصيلها وأداءها.
- الإحساس بالانتماء لهذه الجماعة الذي يضعه في علاقة تضامنية ويوضح علاقة تضامنية ويوضح علاقته مع نفسه، مع الجماعة مع الآخرين.<sup>1</sup>

ويعرفها سعد على وطفة بأنها:

<sup>1</sup> نعيم بومقرة، "ثقافة المواطنة بين مفهومي التربية والمشاركة"، مجلة مجتمع تربية عمل 6، عدد 02 (2021): 143/133

"إحساس بالانتماء وشعور بالولاء للدولة والوطن، والمواطنة ليست مجرد اكتساب لجنسية في وطن، إنها كيان من المشاعر والحقوق والواجبات والروابط الأخلاقية والإنسانية والقانونية بين الإنسان وتراب الوطن وبين الوطن بكيانه السياسي ومختلف مواطنيه"<sup>1</sup>.

الملاحظ على تعريف على وطفة انه تحدث على المواطنة بأنها:

- كيان شعوري
- حقوق وواجبات.
- روابط أخلاقية وإنسانية وقانونية بين الانسان ووطنه، والانسان سلطته، والإنسان وباقي أبناء وطنه.

كما أنه ركز على القيم الشعورية أو العاطفية أكثر من تركيزه على القيم السلوكية، وفرق بين الولاء للوطن كأرض أو تربة وبين الولاء للدولة كنظام أو سلطة سياسية، التي كثيرا ما يتم الخلط بينهما عند البعض.

#### 5-2-3 التحديد الاجرائي لقيم المواطنة:

هي قيم اجتماعية وسياسية وأخلاقية وتربوية يترجمها الفرد في سلوكيات يومية على شكل روابط وعلاقات اجتماعية مع الأفراد الذين يشاركونهم العيش ويوافقهم الموقف تجاه الحياة، وتشير إلى مجموعة من المبادئ والمعايير التي توجه السلوكيات وتشجع المواطنين على الاندماج والمشاركة الفعالة والإيجابية مع أسلوب حياة المجتمع، مع تحمل المسؤولية الاجتماعية في تحقيق التنمية الفعالة في ظل العيش معا.

<sup>1</sup> علي أسعد وطفة، "التجليات الانسانية في مفهوم المواطنة"، مجلة التسامح، عدد 15 (2006): 03.

### 5-3-قيمة العيش المشترك:

#### 5-3-1 التحديد الاصطلاحي لقيمة العيش المشترك

العيش المشترك أو العيش معا والتعايش قيم مستحدثة تدل على الاندماج الطوعي للأفراد والجماعات في أسلوب حياة المجتمع بالرغم من الاختلاف والتباين في الثقافة وحتى في المعتقدات، حيث تدوب كل الفوارق من أجل أن يتحقق الاستقرار والانسجام داخل المجتمع.

مصطلح العيش المشترك هناك من يعتبره بأنه المواطنة في حد ذاتها كما في لبنان، ويعرف العيش المشترك بأنه: "تعايش الأفراد والجماعات في مجال إقليمي أو وطني أو عاملي في ود ووثام وسلام، ونبد العنف والتطرف، واعتماد سبل الحوار، وتفهم الاختلافات، وحل الخلافات بالوسائل السلمية، وتبني سلوكيات التعاطف والتآزر والتعاون والتضامن"

كما يعرف أيضا أنه: "الالتزام المشترك بمجموعة من القيم الأساسية التي من شأنها التوحيد بين الناس رغم اختلاف انتماءاتهم الثقافية والسياسية والدينية والفلسفية"<sup>1</sup>، صاحب التعريف يركز الالتزام بمجموعة من القيم الأساسية التي يمكن أن يكون له تأثير كبير في تعزيز العيش المشترك والتواصل بين أفراد المجتمع والتفاهم بين الأشخاص من ثقافات مختلفة، ومن القيم التي قد تساعد في توحيد الناس على الرغم من اختلافاتهم نذكر:

■ التنوع البشري موجود ولهذا من ضرورات العيش المشترك احترام الآخرين وقبول الاختلافات لكي

يتم تعزيزه.

<sup>1</sup>عبد السلام طويل، "من التعايش إلى العيش المشترك: نظرات في تدبير التعددية الثقافية"، التفاهم، عدد 47 (2015): 295-330

- يهدف العيش المشترك الى تحقيق الأهداف المشتركة، لهد يتم تشجيع بناء العلاقات الاجتماعية الإيجابية والحث على التعاون المشترك.
- التعاملات والتفاعلات المبنية على الالتزام بالصدق والنزاهة مهمة لتوطيد الثقة بين الأفراد.
- القدرة على التسامح مع الآخرين والاستعداد للعفو تسهم في خلق بيئة مليئة بالتفهم والسلام.
- تعزيز مفهوم المسؤولية الفردية والاجتماعية في تصرفاتنا تجاه الآخرين والمجتمع.
- الرغبة في الاستمرار في التعلم والنمو الشخصي والتطوير المستمر.

إن تبني مثل هذه القيم يمكن أن يسهم في خلق جسور من التواصل والتفاهم بين الناس من خلفيات وثقافات مختلفة، وبالتالي تحقيق التوحيد والتعايش السلمي.

5-3-2- التحديد الاجرائي:

العيش المشترك هو القدرة على العيش معا في وطن واحد بالرغم من الاختلاف الديني والعرقي

والتنوع الثقافي

5-4- قيمة المسؤولية الاجتماعية

5-4-1- التحديد الاصطلاحي:

تعرف الموسوعة العربية للمجتمع المدني المسؤولية الاجتماعية بأنها: "الأثر الذاتي الذي يحدثه قرار ما

في المجتمع، على الأفراد والمجموعات"<sup>1</sup>

<sup>1</sup>أماني قنديل، الموسوعة العربية للمجتمع المدني (القاهرة: الشبكة العربية للمنظمات الأهلية، 1993)، 107.

إن المسؤولية الاجتماعية هي نظرية أخلاقية تقترح أن كيان، سواء كان منظمة أو فرداً، يقع على عاتقه العمل لمصلحة المجتمع ككل، فالمسؤولية هي أمر يتعين على كل منظمة أو فرد الالتزام به للحفاظ على التوازن ما بين الاقتصاد والنظم البيئية والاجتماعية، وهي ليست وليدة اليوم بل هي ثقافة أصيلة في الإنسانية، فالإنسان مسؤول ومكلف عن كل شيء جعل الله له سلطاناً عليه، أو قدره على التصرف فيه بأي وجه من الوجوه، سواء كانت مسؤولية شخصية فردية أو مسؤولية متعددة جماعية"

كما يعرف مركز التميز المستدام بالإمارات المسؤولية الاجتماعية من خلال ارتباطها بالمواطنة بأنها: "الأساس الأخلاقي الذي تستند إليه المواطنة، وهي التي تدفع المواطنين إلى تبني مفهومات إيجابية، وإلى ممارسات سلوكية تتصف بالاندماج في الحياة الاجتماعية والسياسية، والوعي بأهمية هذا الاندماج. وتتحدد مسؤوليات الأفراد والجماعات وفقاً للأدوار التي يقومون بها، والتي تحددها التوقعات المتبادلة المرتبطة بقيم المجتمع ومعاييرها"

وأيضاً "المسؤولية الاجتماعية هي وعي وممارسة الأفراد والمجتمعات والقطاعات الحكومية والخاصة بالواجبات الإنسانية والبيئية والاستمرار في الدور الذي يؤديه ويقوم به تجاه المجتمع والصالح العام ويتحمل نتائجها، لتعود عليه في صورة حقوق يستفاد منها هذا الجيل والحفاظ على حق الاجيال القادمة"<sup>1</sup>.

من خلال هذان التعريفان يمكن القول إن المسؤولية الاجتماعية هي الأساسي الأخلاقي للمواطنة؛ وذلك لاعتبارها أنها مجموعة من القيم الأخلاقية والمفاهيم التي توجه سلوكيات الأفراد تساعد على الاندماج في الحياة الاجتماعية والسياسية للمجتمع أو الكيان الذين ينتمون له مع ضرورة الالتزام بقيمه

<sup>1</sup>معهد التميز المستدام، "مفهوم المسؤولية الاجتماعية"، 2023، <https://tamayuz.ae/>

ومعاييرها، والقيام بالحفاظ البيئة الاجتماعية والطبيعية التي تضمن حقوق الأجيال القادمة، من خلال الأداء بفعالية للواجبات والالتزامات التي تضمن التنمية المستدامة للمجتمع..

#### 5-4-2- التحديد الاجرائي:

المسؤولية الاجتماعية هي وعي الفرد بالواجبات الشخصية والاجتماعية التي يجب أن يدركها وتكون الموجه لسلوكه، فالواجب الاجتماعي يشير إلى المسؤوليات والتزامات الفرد تجاه المجتمع والآخرين من حوله، وهو يشمل القيم الاجتماعية والتعاون والمشاركة في تطوير المجتمع ودعم الآخرين بوعي ومسؤولية 5-5-قيمة الفعالية الاجتماعية

#### 5-5-1- التحديد الاصطلاحي:

يشير لالاند في معجمه الفلسفي الى الفاعلية أنها: " سمة الكائن الفعال active بكل معاني الكلمة، كما أنها مرادفة للعمل مع فوارق؛ العمل أكثر تعيّنًا وذو طابع أحدث؛ والفعالية أكثر مدرسة وأكثر حيادا"<sup>1</sup>.

الفعالية تشير إلى قدرة الفرد أو الكيان الاجتماعي على إنجاز الأشياء بكفاءة وإتقان، عندما نتحدث عن الكائن الفعال، نشير إلى من يتمتع بالقدرة على العمل وتحقيق النتائج المرجوة بكفاءة عالية، يمكن أن يكون هذا الكائن الفعال مبتكرًا ونشيطًا في العمل، قادرًا على تحقيق الأهداف والتأثير بشكل إيجابي على الأشخاص أو البيئة من حوله.

<sup>1</sup>أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية - المجلد الأول-، تر: خليل أحمد خليل، بيروت: منشورات عويدات، ط2، 2001، ص29.

في الوقت نفسه، "العمل" يشير إلى الجانب النشط للقيام أو إنجاز مهمة معينة، ومن الممكن أن يتطلب العمل توجيهًا محددًا وتنفيذًا لمهام محددة بينما قد تكون الفعالية أوسع.

يعرف باندورا فاعلية الذات بأنها: "مقدرة الفرد على أداء السلوك الذي يحقق نتائج مرغوبة في موقف معين، والتحكم في الأحداث التي تؤثر في حياته، وإصدار التوقعات الذاتية عن كيفية أداء المهام، والأنشطة التي يقوم بها، والتنبؤ بمدى الجهد، والمثابرة المطلوبة لتحقيق ذلك النشاط والعمل" تشير إلى الكفاءة الذاتية وإلى قدرة الفرد على تحديد أهدافه وتنظيم جهوده وتنفيذ الخطط اللازمة لتحقيق هذه الأهداف بفعالية، يشمل ذلك القدرة على إصدار توقعات وتقديرات أدق حول أداء المهام المنوط القيم بها.

هذا التعريف يتحدث عن مفهوم الفعالية الذاتية وتأثيرها على السلوك والاستجابة العاطفية؛ حيث أنه تشير إلى إيمان الشخص وقدرته على التأثير في الأحداث وتحقيق التغيير .

كما تشير الفعالية إلى الأفراد الذين يمتلكون مستوى عالٍ من الكفاءة الذاتية حيث يصبحون عادةً أكثر إرادة وإيجابية في تعاملهم مع التحديات ويرون أنفسهم قادرين على القيام بأمور إيجابية وتغيير الأمور نحو الأفضل.

بالمقابل، الأفراد ذوو الفعالية المنخفضة قد يجدون صعوبة في تحقيق الأهداف وقد يشعرون بالعجز أو الضعف في التأثير على الأحداث. هذا قد يؤدي إلى استجابات عاطفية سلبية مثل الإحباط أو اليأس، مما يمكن أن يعيقهم عن تحقيق إمكاناتهم الكاملة.

من المهم فهم أن مستوى الفعالية الذاتية قد يتأثر بعوامل مختلفة مثل الدعم الاجتماعي، والتجارب السابقة، والتعليم، وغيرها. ومع ذلك، يمكن تعزيز الفعالية الذاتية من خلال التوجيه الإيجابي، وتعلم مهارات التحفيز الشخصي، واكتساب الثقة بالقدرات الشخصية.

5-5-2- التحديد الاجرائي:

الفعالية هي الكفاءة العالية في انجاز الأعمال، مع اكتساب المهارات الحياتية اللازمة لهذا الانجاز.

6-الدراسات السابقة والمشاهدة:

هناك العديد من الدراسات السابقة التي تطرقت لفكر مالك بن نبي التربوي، وقد تنوعت هذه الدراسات بين العربية والأجنبية، وسوف يتم استعراض جملة من الدراسات في هذه الدراسة والتي تم الاستفادة منها بالإشارة الى أبرز ما جاء فيها، تم عرض الدراسات بالترتيب على حسب تاريخ الإصدار بداية من الحديث الى القديم.

- دراسة جمال الحمري:

الدراسة عبارة عن أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الأدب واللغات الأجنبية فرع الدراسات العربية، عن مدرسة الدكتوراه للعلوم الإنسانية جامعة ستراسبورغ سنة 2018 تحت عنوان: الفكرة الدينية في أعمال المفكر الجزائري مالك بن نبي - 1973/1905- واجب المجتمع المسلم لصناعة التاريخ

**"The Religious Idea" in the Work of Algerian Intellectual Malek Bennabi (1905-1973): A Mandate for the Muslim Society to Make History ،**

انطلقت الدراسة من التساؤل التالي: كيف جعلت فكرة مالك بن نبي، في سياق تحرير الدول النامية

بعد عام 1945، من "الفكر الديني" دينامية حضارية داخل المجتمع المسلم؟

هدفت الدراسة الى وضع مقدمة للبحث في الأفكار الدينية وتقديم منظور جديد لدراسات الفكر

الإسلامي المعاصر وعلم الاجتماع الإسلامي من خلال نظرة مالك بن نبي.

وتوصلت الدراسة في نهاية البحث إلى أن: الفكر الديني هو المحرك للتاريخ عند مالك بن نبي، وأن

التفسير الديني يحمل التفسير الإصلاحي لمشكلات المجتمع، وأنه ممكن يتحول عبر التأصيل الأيديولوجي

إلى مشروع أخلاقي واجتماعي لبناء حضارة بشرية للعالم.

الفكر الديني الإسلامي ثقافة تعزز وحدة المجتمع، وهي تتألف من العناصر التالية: التوجيه

الأخلاقي، والذوق الجمالي والفني والمنطق العملي وهي التي تغذي القيم العليا للإسلام.

-دراسة محمد بغداد باي:

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في علم النفس: كلية العلوم الاجتماعية جامعة وهران 2 /السنة

الدراسية 2016/2015، بعنوان: تربية إنسان ما بعد الحضارة- قراءة تربوية نوعيّة لفكر مالك بن نبي -

هدفت الدراسة إلى تقديم قراءة تربويّة نوعيّة لفكر مالك بن نبي، قراءة شاملة لفكره، ولتحقيق هذا

الهدف انطلق الباحث من مجموعة من التساؤلات:

■ لماذا التربيّة تحديدا في مشروع مالك بن نبي الفكري؟ وأيّ تربية يتضمنها؟

■ ولأيّ إنسان تقدّم، وبالنسبة لأيّ مجتمع توجه؟

■ ومن ثمّ كيف وأين تتجلى علاقة هذه التربيّة بفكرة المشروع لدى الكاتب اليوم؟

أي من هو هذا الانسان؟ وهل له وجود اليوم؟

■ كيف يُشرطُ الوضع الحضاري للمجتمع المسلم إنسانه (أي، ما علاقة هذا

الإنسان بمجتمعه وحضارته؟

الدراسة هي نظرية من نوع فلسفة التربيّة، اعتمد فيها الباحث على منهج سّمّاه أسلوب التّحليل

الإستخراجي، وقد ختم الدّراسة بقاموس سّمّاه "قاموس مالك بن نبي للحضارة".

توصل الباحث إلى ما يلي:

■ إن التربية التي تسند إليها مهمّة استحضر هذا الانسان الغائب ووسطه الثقافي، تتركز عند

ابن نبي على وظيفة تجديديّة مزدوجة ومتزامنة، تقيم قطعة مع رواسب الماضي ومورثاته

وأفكاره المميّنة، ووظيفة تجديديّة إيجابيّة تصلنا بالحياة الكريمة، وتبني على التغيير، فتقوم بزرع

أفكار جديدة عمليّة-مبتكرة-، كما تقوم في نفس الوقت بتطعيم الناقص وتفعيله، وايقاظ

الكامن وتنشيطه، ومن جهة ثالثة تقوم بتوجيه الموجود ل يتم استغلاله أحسن استغلال.

■ تسعى التربيّة عند مالك بن نبي للتأسيس لتقاليد جديّة، وتعمل في نفس الوقت على

ترسيخها في نفسيّات الأفراد وعقليّاتهم، ليصيروا بعد تمتلهم لها أفرادا مكيفين لا تتنافى

انعكاساتهم الفرديّة مع العلاقات الاجتماعيّة التي أقاموها.

- التربية عند مالك بن نبي تنويرية تحريرية، فهي تثور على هذا الواقع المرفوض، على عقليته المستلبة وهياكله العرجاء، من أجل تحرير إنسانه، إنسان ما بعد الموحدين من تمركزه حول ذاته وتصايبه.
  - لا بد أن يقدر كل مشروع يهدف إلى تأسيس نظام ديمقراطي على أنه مشروع تربوي-تثقيفي..
  - التربية في معناها العام هي عملية تركيب لعناصر الثقافة، وهي عملية تثقيف.
  - القوة الدافعة لعملية التربية هي فكرة التوجيه، توجيه الثقافة، توجيه العمل، توجيه رأس المال، بما يعمل على إيصال البواعث بمقاصدها عبر ما يناسب ذلك من وسائل، وهذا في سبيل تغيير السلوك الفردي وأسلوب الحياة في المجتمع.
- وباعتبار أن هذه الدراسة تلتقي مع الدراسة قيد الانجاز فقد تم الاستفادة منها في طريقة معالجة أفكار مالك بن نبي، واستخراج المضامين التربوية الخفية لهذه الدراسة
- دراسة حامد عزيز
- الدراسة عبارة عن بحث أكاديمي تم نشره على شكل كتاب من طرف دار النشر مجمع الأطرش للكتاب المختص التونسية سنة 2014، لم ينطلق الكتاب من تساؤل ولكن وضع الهدف من اجراء البحث وهو: معالجة فكر بن نبي من وجهة نظر تربوية واجتماعية، وتتبع آرائه وأفكاره، وتوجهاته الثقافية تحليلا ونقدا، والكشف عن مشروعه النهضوي الذي بناه على أسس تربوية متينة ترمي إلى إيجاد تركيبة اجتماعية متكاملة.

اعتمدت الدراسة على المنهج التحليلي والمنهج المقارن، وتوصلت في النهاية الى النتائج التالية:

- العمل التربوي هو عملية تثقيفية وتوجيهية للمجتمع نحو التغيير الاجتماعي.
- الثقافة عند مالك بن نبي ليس علما خاصا بطبقة معينة بل هي دستور الحياة يجتمع فيها كل ضروب التفكير والتنوع الاجتماعي.
- تحقيق الثقافة بصفة عملية عند مالك بن نبي معناه بث السلوك الفعال وخلق الشروط النفسية والعقلية التي تهيئ أفراد المجتمع لمواجهة تحديات التخلف وبناء التقدم والازدهار والحضور الإنساني العام.

- استراتيجية التعميم التربوي للثقافة عند مالك بن نبي تركز على المبادئ التالية:
- التغيير الاجتماعي في المجتمع يحتاج الى تصفية الثقافة من الرواسب النفسية التي لا فائدة منها.
- المعالجة التربوية للثقافة تشمل كل جوانب الحياة لخلق كل شروط التقدم والفعالية وتكوين الإرادة الفردية والاجتماعية.
- أن يراعي البرنامج التربوي للثقافة التغيرات العالمية التي تتطلب معرفة أن كل قيمة ثقافية تتحدد في إطار وطن قد أصبحت تمتزج في تيار الثقافة العالمية.

كان وجه الاستفادة من هذه الدراسة النتائج التي توصل إليها الباحث.

- دراسة سهام شريف:

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الاجتماع الديني، عن كلية العلوم الاجتماعية والانسانية جامعة الجزائر 02، خلال السنة الدراسية 2015/2014، بعنوان، فكرة الفعالية الاجتماعية وقضايا التجديد الحضاري- مالك بن نبي نموذجا-2015، انطلقت الباحثة في دراستها بجملة من التساؤلات:

- ماذا يمثل مفهوم الدين عند مالك بن نبي؟ وما هو دور الفكرة الدينيّة في بناء الحضارة؟
- ما معنى فكرة الفعاليّة الاجتماعيّة وكيف يستعمله مالك بن نبي؟
- ووضعت صاحبة الدراسة ثلاث فرضيات وهي:
- الفكرة الدينيّة أساس مهم وسبب قوي في نشوء الحضارات عند مالك بن نبي، فهي بمثابة مركب يؤلف بين العناصر الثلاثة (الانسان، الوقت، التراب)، لتصبح عناصر مبدعة (عناصر ذات فعاليّة) بعدما كانت خاملة.
- الأفكار وقائع اجتماعية حسب قانون تغيّر الأفكار والوقائع الاجتماعيّة، أفكار حسب قانون تغيّر الأحداث (اسم بمسمى) والتوازن بين عالم الأشياء مصدر القوة الماديّة، وعالم الأشخاص مصدر الطاقة المحركة، وعالم الأفكار مصدر القوة الفكرية والروحيّة.
- شروط التغير الاجتماعي هي الشروط النفسيّة الاجتماعيّة التي تحرك، وتفرض على الأفراد الانسجام مع قانون تلك الحركة، بما لديهم من المؤهلات المكتسبة التي المعادلة الاجتماعيّة التي تحدد فعاليتهم أمام المشاكل، وتعطيهم قيمتهم في المجتمع وفي التاريخ.
- واعتمدت الباحثة على المنهج الوصفي في دراستها، وقد توصلت في النهاية إلى النتائج التالية:
- وجود تباين في الواقع بين الإسلام والتطبيق العملي، بسبب التصورات الشخصية والثقافية والتفسيرات القاصرة على زمان ومكان محددين.
- الفكرة الدينيّة هي اسمت الحضارة.
- الأفكار هي التي تقود عالمي الأشخاص والأشياء عند تفكك شبكة العلاقات الاجتماعيّة.

- فكر مالك بن نبي اجتماعي واقعي.
  - الانسان طرف في معادلة الحضارة، هناك علاقة ديناميكية بين الانسان وتحقيق التقدم.
- كانت الاستفادة من الدراسة من جانب التحليل وتشريح عالم الأفكار عند مالك بن نبي، وعند تناول قيمة الفعالية عند مالك بن نبي.

- دراسة عمر نقيب:

الدراسة عبارة عن أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه بجامعة بترا بماليزيا كلية الدراسات التربوية في فلسفة التربية تخصص أسس التربية، بعنوان: أفكار مالك بن نبي حول الحضارة وتطوير المجتمع: وجهات نظر حول التعليم **Malik Bennabi's Ideas on Civilization and the Development of the Society : Perspectives on Education**، سنة 2004 باللغة الإنجليزية.

انطلق الباحث من مجموعة من الأسئلة:

- ما هو مفهوم التربية عند مالك؟ وكيف تناول مالك بن نبي المشكلة التربوية في العالم الإسلامي؟
- ماهي أهم المفاهيم التربوية التي وظفها مالك بن نبي في كتاباته؟
- هل تعرض للأسس الفلسفية التي تقوم عليها النظرية في التربية بالدراسة والتحليل؟
- ماهي إمكانية صياغة أفكار مالك بن نبي التربوية على شكل منظور متكامل لتناول وعلاج المشكلة التربوية في العالم الإسلامي المعاصر؟

---

\* الدراسة تم نشرها من بعد في شكل كتاب بعنوان "مقومات مشروع بناء إنسان الحضارة في فكر مالك بن نبي - نحو نظرية تربوية جديدة للعالم الإسلامي المعاصر-، عن شركة الأصالة للنشر، الجزائر، 2011 في طبعته الأولى وتم اصدار الطبعة الثالثة سنة 2017

هدفت الدراسة إلى مناقشة مدى إمكانية اعتماد فكر مالك بن نبي مصدرا لبناء نظرية تربوية للعالم الإسلامي المعاصر، من خلال النظر في طبيعة الأفكار التربوية التي عالجها في مختلف كتاباته الفكرية، وتحليل مفهوم التربية عنده والتعرف على موقعها ودورها في إنجاز مشروعه الحضاري، ورؤيته للمشكلة التربوية في العالم الإسلامي وموقعها في منظوره المنهجي في تناول مشكلات الحضارة في العالم الإسلامي.

كما هدفت الدراسة التعرف على المفاهيم التربوية المفتاحية التي عالجها وهو يعرض علينا منظوره لتناول مشكلات الانسان والمجتمع والحضارة في العالم الإسلامي، وعرض وتحليل الافتراضات التي صاغها حول الأسس الفلسفية التي تقوم عليها النظرية في التربية، ومناقشة مدى إمكانية صياغة آرائه التربوية في شكل مشروع متكامل لعلاج المشكلة التربوية في العالم الإسلامي المعاصر.

ولتحقيق هدف الدراسة اعتمد صاحبها على مقارنة البحث الكيفي للوصول الى المعاني الضمنية لأفكار مالك بن نبي التربوية.

وتوصلت الدراسة في نهاية البحث إلى النتائج التالية:

مالك بن نبي قدم مشروعا إصلاحيا يمثل البديل الممكن للبدائل التي قدمتها الحركات الإصلاحية التي أتت قبله، حيث صاغ مقارنة منهجية متكاملة وقاموس اصطلاحيا جمع فيه جملة من المفاهيم المفتاحية المتميزة التي شكلت منظوره الحضاري لتناول مشكلات الانسان والمجتمع والحضارة

كما توصلت الدراسة إلى أن التربية عند مالك بن نبي هي عملية منهجية هادفة تستوعب وتمثل القيم الثقافية، كما أنها عملية إشراف وتكييف للفرد، وتنشئة وإدماج له في المجتمع عن طريق عملية تحضيره.

تم الاستفادة من هذه الدراسة في الطرح المنهجي لأفكار مالك بن نبي، وطريقة صياغة المشكلات التربوية عنده، وطريقة اجراء المقابلات عبر البريد.

### ثانيا: منهج الدراسة:

البحث العلمي يقتضي وجود موضوع يتم دراسته والبحث فيه، بالإضافة إلى منهج يكون معلما إرشاديا للباحث للوصول للنتائج الموجودة، تعرف مناهج الدراسة بأنها الأساليب والخطوات التي يتم استخدامها من أجل رصد الظواهر العلمية والمعارف التي البحث فيها، وتختلف باختلاف الموضوع قيد الدراسة

#### 1- نوع الدراسة:

تعتبر هذه الدراسة أحد أنواع الدراسات الوصفية في صورتها الكيفية، التي تهدف الى استخراج المعاني والمضامين المستترة وراء الظواهر المدروسة بتحديد السياق الذي تتشكل فيه، من خلال العمل على تحليل مضمون الخطاب الفكري التربوي عند مالك بن نبي، باعتباره أحد المفكرين الذين قدموا خطابا تربويا إصلاحيا للمجتمع الإسلامي يختلف في مضامينه على الخطاب الفكري الغربي، إذ أن مشروعه الفكري يعتبر مشروع بناء مجتمع جديد، مجتمع ما بعد عصر ما بعد الموحدين كما سماه هو بنفسه، حيث حاولت الدراسة الغوص في مكامن الأفكار التي احتوتها كتبه والتي لها علاقة مباشرة بموضوع الدراسة وهي " التربية الاجتماعية، وقيم المواطنة عند مالك بن نبي"، معتمدة على التفكير الاستقرائي الذي يساعد على استخراج المعاني الضمنية ومحاوله فهمها.

2- المنهج:

لا يخفى على أحد أن الخطاب التربوي هو في حقيقته منهاج تربوي وأي منهاج تربوي يتضمن مضامين ظاهرة ومضامين خفية، ولهذا فالقراءة الظاهرة لما تحتويه كتب مالك بن نبي لا يمكن أن تحقق الهدف من هذه الكتابات، ولهذا يجب أن تكون هناك قراءة متأنية فاحصة باطنية لاستخراج المضامين والدلالات القصدية الظاهرة والخفية منها، ومعرفة الارتباطات والعلاقات الموجودة بين المفاهيم المتضمنة في هذا الخطاب، وكذلك الدوافع والأسباب لإنتاجه، لأن الخطابات هي إطارات للمعاني مبنية اجتماعيًا وثقافياً، وفي نفس الوقت هي بانيا لثقافة المجتمعات حيث تؤثر في الناس والقواعد والمعايير أو التقاليد المجتمعية، وهي تعكس جوانب من سياقها الاجتماعي والثقافي والتاريخي<sup>1</sup>.

وباعتبار أن غاية الدراسات الوصفية هي وصف الواقع كما هو، ومحاولة تصويره بدقة،" تهدف البحوث في هذا المنهج إلى وصف واقع المشكلات والظواهر كما هي، أو تحديد الصورة التي يجب أن تكون عليها هذه الظواهر في ظل معايير محددة، مع تقديم توصيات أو اقتراحات من شأنها تعديل الواقع للوصول إلى ما يجب أن تكون عليه الظواهر"<sup>2</sup>، لأن الوصف هو غاية من غايات العلم في حد ذاته، حيث يشير موريس أنجرس إلى ذلك قائلاً: "إن أحد أهداف العلم الأكثر دقة هو النجاح في وصف الواقع، وبعبارة أخرى هو إنتاج جرد الأكثر صدق ما أمكن حول خصائص الموضوع أو الظاهرة المطروحة للدراسة"<sup>3</sup>، بحيث يكون وصفاً ملماً بالموضوع قيماً للدراسة، من خلال العمل على الإجابة على تساؤلاتها

<sup>1</sup> سوتيربوس سارانتاكوس، البحث الاجتماعي، تر: شحدة فارغ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2017، ص531.

<sup>2</sup> محمد عبد العال النعيمي و آخرون، طرق ومناهج البحث العلمي، ط2: ، الوراق للنشر والتوزيع، عمان، ط2، 2014، ص227.

<sup>3</sup> موريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الانسانية -تدريبات عملية، تر: سعيد سبعون و آخرون، دار القصة للنشر، الجزائر، ط 2، 2006، ص56.

المطروحة، وهذا ما حاولت هذه الدراسة الوصول اليه من أجل تحقيق الأهداف المسطرة لها، من خلال

تنفيذ أساليب تحليل الخطاب والالتزام بأسس الدراسات الوصفية باتباع الخطوات التالية:

■ التعمق في الدراسة من خلال الوصف الكيفي أو النوعي لمعالجة الموضوع المدروس، والاستعانة في

بعض المحطات بالأسلوب الكمي للوصول لنتائج أكثر دقة.

■ الاستعانة بطرق متعددة لجمع المعلومات، وبترسانة من المراجع والدراسات السابقة والمشاهدة التي

تخدم الموضوع.

■ القيام بمسح شامل لمؤلفات مالك بن نبي حتى يمكننا حصر وتحديد أهم الأفكار التي تضمنتها

تلك الكتب.

إن الركائز الأساسية لكل دراسة علمية هو: تحديد طبيعتها، ومنهجها والأدوات التي تستخدم في

جمع بياناتها، وهي محطات إجرائية يمر عليها الباحث في اعداد دراسته، وذلك بعد بناء اشكاليته وتحديد

مفاهيم الدراسة ومتغيراتها وضبط التساؤلات التي يحاول الإجابة عليها، وقد اعتمدت هذه الدراسة على ما

يسمى بمنهج تحليل الخطاب، والذي يعتبره الباحث المنهج المناسب الذي يمكنه من الاجابة على

التساؤلات المطروحة ويحقق الأهداف المسطرة، باعتبار أن تحليل الخطاب هو منهج كفي يتعدى عملية

تحويل النصوص الى مجرد أرقام في مناهج تحليل المضمون الكمي " أن سيادة وهيمنة مناهج وأدوات التحليل

الكمي لم تمنع ظهور كثير من الانتقادات، التي أنصبت على شكلية وعدم موضوعية فئات تحليل المضمون

الكمي، التي تدعي بدون أساس علمي الدقة والموضوعية، وتنزع إلى تفتيت النص، وتحويله إلى مجرد ارقام

وبيانات إحصائية لا تكشف عن معنى النص وعلاقات القوى داخله، ومنظور الفاعل، فضلا عن عدم

الاكتراث بالمعاني الضمنية أو غير الظاهرة في النص"<sup>1</sup>، بل يتعدى ذلك الى البحث في مضامين النصوص أو الخطاب وسياقها وهذا ما أشار إليه مُجّد يونس علي: "لا يمكن استيعاب الخطاب دون أن يحلل المسالك المتبعة في صوغه وأن يدرك :

■ مقصده السياقي، غرضه البلاغي، وغايته الاجتماعية"<sup>2</sup>

### 1-1- التحليل

إن مصطلح تحليل تعني تفصيل الكل إلى عناصره ومكوناته الجزئية من أجل اكتشاف طبيعة هذه العناصر وأهميتها النسبية ووظيفة كل منها والعلاقة القائمة بين كل عنصر وآخر، وعلاقة ذلك بالكل، فالتحليل ما هو إلا محاولة لرسم الأجزاء المتكاملة لكل واحد وتخطيطها ليتم التعامل مع كل جزء منها ضمن إطار من الوعي الشامل بالكل وعلاقته ببيئته الخارجية"<sup>3</sup>.

### 1-2- الخطاب

يعتبر مصطلح الخطاب من المصطلحات الشائعة والمشاركة بين عدد من الحقول العلمية، نظرا كثرة استعمالها من جهة وكثرة المهتمين بها من جهة أخرى، فلم يعد مصطلح له علاقة بتخصص معرفي واحد أو تخصصين بل يتعدى ذلك الى مجموعة من التخصصات.

ويقابل كلمة خطاب في اللغة الفرنسية **discours** وبالإنجليزية **speech** وتعني في اللغة العربية مراجعة الكلام جاء في لسان العرب مادة(خ ط ب): "الخطاب هو مراجعة الكلام مخاطبة وخطابة، وهما

<sup>1</sup> مُجّد شومان، تحليل الخطاب الإعلامي أطر نظرية ونماذج، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2007، ص12.

<sup>2</sup> مُجّد يونس علي، تحليل الخطاب و تجاوز المعنى: نحو بناء نظرية المسالك و الغايات، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، عمان، 2016، ص7.

<sup>3</sup> بسام عبد الرحمان المشاقبة، معجم مصطلحات العلاقات العامة،: دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2014، ص111.

يتخاطبان، والمخاطبة صيغة مبالغة تفيد الاشتراك في المشاركة في فعل ذي شأن<sup>1</sup>، واصطلاحا يقصد بالخطاب الكلام المرسل إلى المستقبل، وهو عبارة عن شكل من اشكال التواصل البشري، يتضمن مجموعة من المعلومات الآراء والمعتقدات ، وهدفه التأثير في المستقبل وتغيير قناعاته واتجاهه وهو ليس مفهوما واحدا وإنما له مفاهيم متعددة تختلف باختلاف الحقول المعرفية أو التخصصات التي تتعامل معه.

يرى أحمد المتوكل ان الخطاب "هو كل ملفوظ/ مكتوب يشكل وحدة تواصلية قائمة الذات"<sup>2</sup>، هذا التعريف يعتبر الخطاب كل ما يلفظه أو يكتبه الانسان، و يشكل وحدة تواصلية قائمة بذاتها، أي أن الكلام حتى وان كان له معنى إذا لم يشكل وحدة تواصلية ( التواصل يكون بين فردين أو أكثر) قائمة بذاتها لا يصنف ضمن الخطاب.

أما عبد السلام حيمر فقد عرف الخطاب بقوله:

" بات الخطاب يتحدد إما بالكلام المتبادل الذين يكونون في عملية التواصل طورا مخاطبين، الأمر الذي يطرح مسألة اللغة والكلام، وإما يتحدد بكونه تعبيرا لغويا عن الفكر، الأمر الذي يطرح مسألة العلاقة بين اللغة والفكر، هذا بالإضافة إلى أن الخطاب وظيفة تواصلية بين الناس وهم يتدبرون شؤونهم وأموالهم الخاصة والعامة ويتبادلون الرسائل، خصوصا إذا اتخذت هذه الرسائل صيغة كلام، ما يطرح مسألة العلاقة بين اللغة والمجتمع أو بين اللغة والممارسة الاجتماعية أو الفعل الاجتماعي"<sup>3</sup>، فالخطاب إذا هو عبارة عن مجموعة من التحديدات العلائقية بين اللغة والكلام، اللغة والفكر، واللغة والمجتمع ويقصد

<sup>1</sup> ابن منظور، لسان العرب ج2، دار صادر، بيروت، د.ت، 113.

<sup>2</sup> أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية -دراسة في الوظيفة والبنية والنمط- الجزائر: منشورات الاختلاف، 2010، ص 23.

<sup>3</sup> عبد السلام حيمر، في سوسيولوجيا الخطاب، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2008، 7.

بالمجتمع هنا الممارسات الاجتماعية والفعل الاجتماعي المنتج للواقع الاجتماعي، ومن هذا المعنى للخطاب يرى بلحيمر: "إن الخطاب متى كان كلاماً منظوقاً ليس إبداعاً خالصاً للمتكلم وحده، ومتى كان مكتوباً ليس نتاجاً للكاتب وحده، بل هو في كل أحواله نتاج مشترك بين المتكلم والمتلقي، والمخاطب، والكاتب والقارئ"<sup>1</sup>، ومنه نستنتج أن الخطاب هو عملية مشتركة من نتاج التواصل والتفاعل الاجتماعيين، وليس هو إنتاج فردي أو إبداع خالص للمتكلم.

الخطاب هو نتيجة ممارسات اجتماعية وفي نفس الوقت ينتج ويبنى ممارسات اجتماعية، يتشارك في إنتاجه المرسل مع المتلقي وبالتالي لكل خطاب سياقه المكاني والزمني والاجتماعي الثقافي.

كما يعرف جيوفري ليتش ومايكل شورت الخطاب بأنه: "تواصل لغوي ينظر إليه باعتباره عملية تجري بين متكلم ومستمع، أو تفاعل شخصي يحدد شكله غرضه الاجتماعي، والنص تواصل لغوي (سواء شفهي أو مكتوب) يُنظر إليه باعتباره رسالة مشفرة في أدائها السمعية أو البصرية"<sup>2</sup>، إذا فالخطاب هو شكل من الأشكال العلاقية التواصلية، تكون بين متحدث ومتلقي، أو هو عبارة عن تفاعل شخصي ويتخذ الشكل المناسب حسب الغرض الاجتماعي له.

وليس كل منظوق أو مكتوب يعتبر خطاباً أو كلاماً، بل هو الموجه للغير بقصد الفهم، يقول طه عبد الرحمان: "لكن حقيقة الكلام لا تقوم في مجرد النطق بألفاظ مرتبة على مقتضى مدلولات محددة، لأن هذا النطق قد يقع عرضاً كما في حال النوم، والترتيب قد يأتي صدفة كما في حال اللعب، والدلالة قد تنتزع عنوة كما في حالة فلتة اللسان، وإنما حقيقته كامنة في كونه ينبي على قصدين اثنين: أحدهما يتعلق

<sup>1</sup> عبد السلام حيمر، مرجع سابق، ص7.

<sup>2</sup> سارة ميلز، الخطاب، تر: عبد الوهاب علوب، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2016، ص15.

بالتوجه إلى الغير، والثاني يتصل بإفهام هذا الغير"<sup>1</sup>، صحيح، الحقيقة في الكلام لا تقتصر فقط على النطق بالكلمات بترتيب منطقي، بل تتعلق أيضًا بالقصد والتوجه نحو الآخرين، وبالقدرة على فهم الآخرين والتفاعل معهم. إن قوة الكلام وصحته لا تأتي فقط من الكلمات التي نطقها، بل تأتي من النية الصادقة والقدرة على التواصل الفعال والفهم المتبادل.

من خلال هذه التعاريف يمكن القول بأن الخطاب هو مجموعة من الرسائل تحمل مضامين ظاهرة وأخرى مستترة، تساهم في بناء الممارسات الاجتماعية وتوجيه الفعل الاجتماعي، وقد تأخذ شكل الكتابة النصية أو كلام شفهي مباشر، "وبهذا تصبح الصورة خطابا والشاشة خطابا والكلمة خطابا والواقع الافتراضي ولو ذهبنا بعيدا فإن الجسد وتأملاته خطابا"<sup>2</sup>، وتتحكم في بنائه إيديولوجية المخاطب والسياق الذي تم انتاجه فيه.



شكل رقم 1: الخطاب جزء من السياق وايدولوجية المؤلف

<sup>1</sup> طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، د.ت، ص213.

<sup>2</sup> حكيمة أوشنان، "مشروع المجتمع لدى الأحزاب السياسية الجزائرية - تحليل خطاب مدونة"، أطروحة دكتوراه علوم في علم اجتماع التنمية، قسم علم الاجتماع، كلية العلم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة2، 2015، ص187.

الخطاب لا ينتج من فراغ بل هو ناتج واقع اجتماعي وثقافي وحتى زمني، فالسياقات مهمة في دراسة أو تحليل أي خطاب، لأن الواقع هو الذي أنتجه، الواقع أنتج أولا المؤلف من خلال التنشئة الاجتماعية، وبني شخصيته المعرفية والفكرية، وبالتالي فإن أي تحليل للخطاب يتناسى السياق المنتج له هو تحليل مبتور، كما أن المنظومة الأيديولوجية لمنتج الخطاب تتحكم في اتجاهه، ولهذا معرفة القائل مهمة عند عملية تحليل الطاب لأن الخطاب هو مجموعة من الأفكار والمضامين تنعكس فيه شخصية منتجه.

أن الخطاب بهذا المعنى يتخذ مظاهر شتى تعكس التنوع الحاصل في الإنتاج المعرفي والأدبي داخل ثقافة معينة (الخطاب الديني/الخطاب الشعري/الخطاب النقدي/الخطاب التفسيري/الخطاب الفلسفي/الخطاب التربوي....) والصفة التي تلحق بالخطاب هي التي تحدد اتجاهه<sup>1</sup>، والخطاب المقصود به في هذه الدراسة هو الخطاب التربوي الصادر عن المفكر الجزائري مالك بن نبي في مجموع كتابته الصادرة عنه منذ أول كتاب صدر له سنة 1946 الموسوم بالظاهرة القرآنية الى وفاته سنة 1973، وهي حوالي 25 كتاب والتي حملت أفكاره فيما سمي بمشكلات الحضارة.

يعرف الخطاب التربوي بأنه: "الخطاب الذي يعتمد على التربيّة، مستعملا لغة أيديولوجية في جوهرها أكثر من سائر الخطابات فهي تمارس أخطر سلطة واعتاها على الاطلاق"<sup>2</sup>، الخطاب التربوي هو كلام مكتوب أو ملفوظ يحمل في طياته معاني ومضامين تربوية، ويستعمل لغة في جوهرها تحمل أفكارا أيديولوجية، لأنها تعمل على تغيير قناعات وأفكار.

---

<sup>1</sup> محمد بازي، صناعة الخطاب، الأنساق العميقة التأويلية العربية، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، 2015، ص26.  
<sup>2</sup> نور الدين زمام و آخرون، الخطاب التربوي وتحديات العولمة، أعمال الملتقى الدولي الثاني المنظم بالتعاون مع قسمي علم النفس وعلم الاجتماع، محير المسألة التربوية في الجزائر في ظل التحديات الراهنة، بسكرة جامعة محمد خيضر، 2015، ص86.

1-3- تحليل الخطاب:

ظهر مصطلح تحليل الخطاب في الستينيات من القرن الماضي مع البنيوية الأمريكية في إطار المدرسة السلوكية في علم النفس على يد الأمريكي زيلينغ هاريس الذي عرف الخطاب بأنه: "ملفوظ طويل، أو هو متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر، بواسطة التوزيعية، وبشكل يجعلها تظل في مجال لساني محض"<sup>1</sup>، ولهذا فانه يرى بأن هذا الخطاب لا بد له من تحليل لمضامينه لاستخراج الكامن والمتستر منها.

وتحليل الخطاب من التخصصات العلمية البيئية الذي تجاوز عدد من الحقول المعرفية، ولهذا هناك صعوبة في تحديد مفهومه، حيث أن تحليل الخطاب لم يعد مقتصرًا على اللسانيات بل تعدى ذلك ليصبح منهجًا مشتركًا بين العديد من العلوم الإنسانية والاجتماعية، وسيقتصر الباحث على التحديدات التي تخدم موضوع الدراسة.

يرى شورمان أن تحليل الخطاب "لا يتعلق فقط بأسلوب التحليل، بل إنه يشكل منظورا بشأن اللغة وعلاقتها بالعلوم الاجتماعية والواقع الاجتماعي، وبعبارة أكثر تحديدًا، فإن تحليل الخطاب عبارة عن مجموعة متصلة من المناهج لدراسة الخطاب، وهذه المناهج لا يترتب عليها مجرد ممارسات لجمع البيانات وتحليلها، وإنما يترتب عليها أيضا مجموعة من الافتراضات النظرية وما وراء النظرية"<sup>2</sup>، في منظور شورمان تحليل الخطاب منظور شامل للغة من علاقاتها وتأثيرها على العلوم الاجتماعية، والواقع الاجتماعي، لذا فتحليل

<sup>1</sup> سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط4، 2005، ص17.

<sup>2</sup> محمد شورمان، مرجع سابق، ص27.

الخطاب ليس عملية لجمع البيانات وتحليل هذه البيانات، ولكن هو مجموعة من الافتراضات النظرية لمعرفة الواقع الاجتماعي.

أما أحمد زايد فيعرف تحليل الخطاب بأنه: " فك شفرة النص بالتعرف على الرسائل التي يود النص أن يرسلها، ويضعها في سياقها التاريخي والاجتماعي، وهو يضم داخله هدفا أو أكثر، وله مرجعية أو مرجعيات وله مصادر يشتق منها مواقفه وتوجهه"<sup>1</sup>، من هذا التعريف يمكن أن نقول أن تحليل الخطاب يهدف إلى :

- فك شفرات النصوص المركبة للخطاب، من أجل معرفة الرسائل التي يحملها.
- معرفة المرجعيات التي يعتمد عليها المخاطب باعتبار أن لكل خطاب مجموعة من المرجعيات الفكرية التاريخية والنفسية وغيرها من المرجعيات.
- معرفة توجهات وآراء المخاطب حول قضايا معرفية، وفكرية واجتماعية سياسية وتربوية.

ولم يكن الاختلاف حول تحديد مفهومه فقط، وإنما لم يتفق المختصين في مجاله حول تحديد طبيعته إن كان منهجا أو أداة، فهناك من اعتبره أداة أو تقنية من تقنيات البحث العلمي، كجورج مونان الذي يعتبره تقنية تبحث عن تأسيس العلاقات أو الصلات بين الوحدات اللغوية للخطاب، بينما يرى هاريس بأنه: " منهج في البحث أي مادة مشكلة من عناصر متميزة ومتراصة"<sup>2</sup>، وهو نفس ما يراه مُجد شورمان حيث يعتبره " يمثل منهجا وليس فقط طريقة للدراسة، ويسجل هذا المنهج نظرة تفسيرية اجتماعية للواقع

---

<sup>1</sup> داود حليقة و نصر الدين شنوف، "تحليل الخطاب في ضوء المناهج الفلسفية والنقدية المعاصرة"، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، جامعة المسيلة 001، عدد 01 (1 يونيو، 2017): ص 86.

<sup>2</sup> الطاهر جصيص، "تحليل الخطاب بين الغموض ومسألة الخلاف"، المجلة الجزائرية للاتصال، جامعة الجزائر 03 16، عدد 22 (1 يناير، 2014): ص 27.

الاجتماعي"<sup>1</sup>، فهو يمثل منهجاً لفهم الواقع الاجتماعي وتفسيره حسب منظور صاحب الخطاب، ولا يقتصر فقط على كونه طريقة للدراسة.

لأنه من خلال تحليل الخطابات اللغوية والنصوص الاجتماعية التي تتحدث وتفسر الواقع الاجتماعي، يمكننا فهم كيفية بناء وانتاج المعاني والثقافات والممارسات الاجتماعية، يسجل هذا المنهج نظرة تفسيرية اجتماعية للواقع الاجتماعي من خلال فهم الخطابات كمصدر للتراث والثقافة والهوية الاجتماعية.

وفي هذه الدراسة تم استعمال تحليل الخطاب كمنهج للتحليل وليس كتقنية، منهجا يستعمل أساليب وطرق تحليل الخطاب، وذلك لأنه كما تم الإشارة إليه سابقا منهج تحليل الخطاب يعمل تفسير الواقع الاجتماعي والممارسات الاجتماعية، منطلقة من السياق الذي أنتجه هذا الخطاب، ويبحث كما أشار هاريس الى تفكيك العناصر المترابطة المشكلة له.

-الفرق بين تحليل الخطاب وتحليل المحتوى:

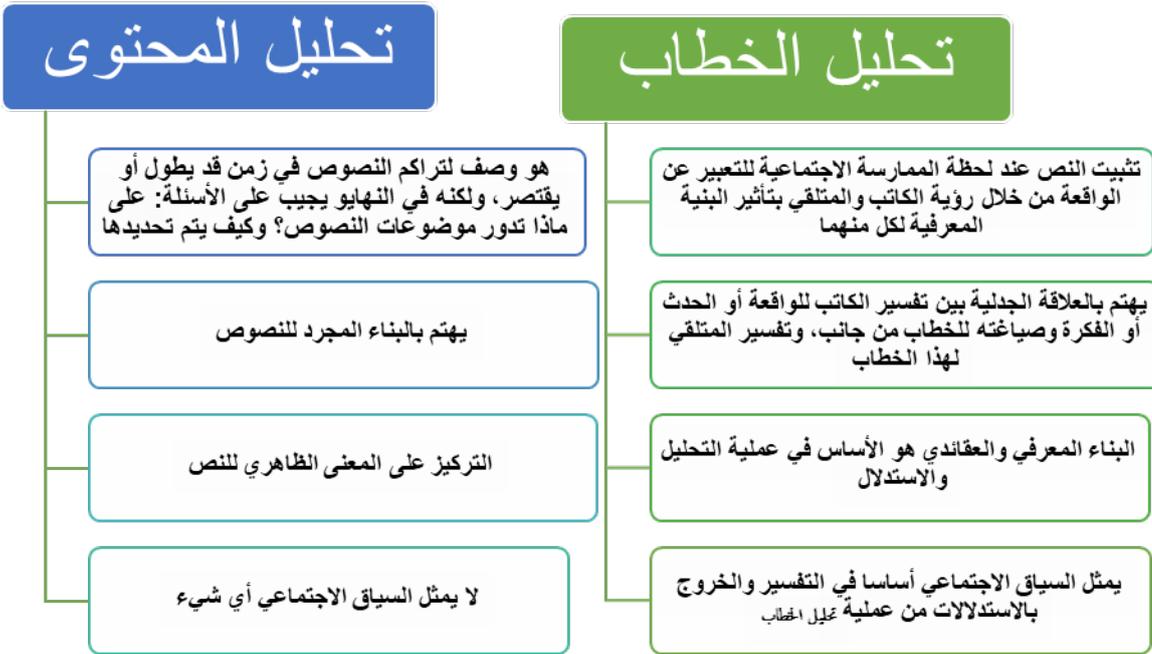
يشارك تحليل الخطاب وتحليل المضمون أو المحتوى في مادة البحث أي ما يسمى بالمحتوى من نصوص ورسائل وخطابات لكنهما يختلفان في الأسس والمبادئ النظرية التي ينطلق كل منهما. ويرى "هوارد ديفز" أن: "الفرق بين تحليل الخطاب وتحليل المحتوى يكمن في أن تحليل المحتوى التقليدي يستخدم كثيراً عدا الكلمات والتصنيفات (المقولات) المعتمدة على الأسماء والكلمات الأساسية (المفاتيح) والأوصاف والتعريفات مركزا اهتمامه على المعنى الظاهر. اما تحليل الخطاب فيأخذ المادة نفسها ليعاملها بشكل مختلف

<sup>1</sup>محمد شومان، مرجع سابق، ص 27.

نسبياً على سبيل المثال: يأخذ تحليل المحتوى التقليدي حساب تردد كلمات أساسية مثل الاشتراكية والحرية بين وسائل إعلام مختلفة أو عبر الزمن، وهذه الكلمات الأساسية (المفاتيح) أو التعبيرات تؤخذ للاستدلال المباشر نسبياً على ظواهر أخرى. وفي تحليل الخطاب النقدي يتم التعامل مع المادة اللغوية بطريقة أخرى أقل آلية وقل اهتماماً بالمعنى الظاهر وأكثر إدراكاً لقوة اللغة وتباينات سياقات الاستخدام اللغوي، وهنا يظل حساب التكرار ضرورياً ولكن كممهّد لدراسة الاستخدام ضمن سياق اجتماعي ومؤسّساتي أوسع حيث لا يكون التكرار أو التردد بالضرورة أفضل مؤشر على الأهمية<sup>1</sup>، إذا من خلال هذا بأن تحليل الخطاب أعمق فهو يهدف في أساسه إلى فك شفرة النص من خلال أولاً معرفة السياقات التي أنتجته من خلال الرجوع إلى الظروف المحيطة بمنتج الخطاب؛ ويحاول معرفة الميول الفكرية والمرجعيات التي يشتق منها مواقفه وتوجهاته الأيديولوجية.

---

<sup>1</sup> طه عبد العالي نجم، مناهج البحث الإعلامي (الاسكندرية: دار كلمة للنشر والتوزيع، 2015)، 252.



شكل رقم 2: يوضح الفرق بين تحليل الخطاب وتحليل المحتوى عند فان دايك<sup>1</sup>

## 2 تقنيات الدراسة :

### 1-2 المقابلة

ان استعمال المقابلة باعتبارها أداة مباشرة تمكن الباحث من جمع معطيات ومعلومات مباشرة من الميدان عن طريق مجموعة من الأسئلة يتم طرحها مباشرة على المعني تعرفها مادلين غرايز بأفهامها: "سيرورة للبحث العلمي تستعمل فيها سيرورة اتصال شفوي، لجمع معلومات لها علاقة بالهدف"<sup>2</sup>.

في هذه الدراسة استعملت المقابلة كأداة مساعدة لمعرفة كيف فهم قراء مالك بن نبي خطابه تم اجراء مجموعة من المقابلات المفتوحة مع أساتذة ومختصين في قراءة فكر مالك بن نبي، من بينهم من هو تلميذ له

<sup>1</sup>عبد العالي نجم، مرجع سابق، ص253.

<sup>2</sup>Madeleine Grawitz, Méthodes des sciences sociales, 5e éd, Précis Dalloz (Paris: Dalloz, 1981), 644.

وعاشره كأستاذ الطيب لحيلح من جامعة الترويج، ومن قرأ وكتب عليه كأستاذ بدران بلحسن من جامعة قطر، والأستاذ عبد الرزاق بلعقروز من جامعة سطيف، والأستاذ التونسي مُجَّد الطاهر الميساوي من جامعة ماليزيا، والأستاذ العربي مزراق من جامعة جيغل، والأستاذ مولود سعادة من جامعة باتنة.

أما طريقة المقابلة فقد كانت عبر الاتصال المباشر أو استعمال وسائل التواصل الاجتماعي "غوغل مييت".

وقد استفاد الباحث من خلال هذه المقابلات من فهم جيد لبعض ما كان مبهما له في فكر مالك بن نبي، ومن التوجيهات و النصائح التي كانت تُعطى له من طرف مختصين لهم خبرة كبيرة في التعامل مع فكر مالك بن نبي

## 2-2- أطر الدراسة:

### - الإطار الموضوعاتي:

باعتبار أن موضوع الدراسة يعتمد على تحليل خطاب مالك بن نبي الذي هو موجود في كتبه المتعددة، تم في المرحلة جمع كل مؤلفات مالك بن نبي.

وبعد قراءة أولى وثانية لها ومقارنته مع كتاب الفهرس الموضوعي لمالك بن نبي للباحث طيار تم الاكتفاء بالكتب التالية التي تخدم الموضوع:

جدول رقم 1: الكتب المختارة للدراسة

عنوان الكتاب	الطبعة	سنة النشر	لغة الكتابة	المترجم
مذكرات شاهد قرن	11	2008	الفرنسية	عمر مسقاوي
مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي	15	2008	الفرنسية	بسام بركة وأحمد شعبو
شروط النهضة	12	2017	الفرنسية	عبد الصبور شاهين
ميلاد المجتمع	10	2015	الفرنسية	عبد الصبور شاهين
مشكلة الثقافة	1	2013	الفرنسية	عبد الصبور شاهين
في مهب المعركة	13	2019	الفرنسية	عبد الصبور شاهين
مجالس دمشق		2017	العربية	-----
تأملات	14	2017	العربية	-----
القضايا الكبرى	1 9	2019	الفرنسية	عمر مسقاوي

- الإطار الزمني:

امتدت الدراسة من شهر ماي 2021 إلى شهر أكتوبر 2023 وتوزعت على المراحل التالية:

- فترة اختيار الموضوع والبحث على الأدبيات المتعلقة به كانت من شهر ماي

2021 إلى شهر ديسمبر 2021

- من جانفي 2022 حتى ديسمبر 2022 تحديد الإشكالية ومفاهيم الدراسة والتأصيل النظري لها.
- من جانفي 2023 حتى جانفي 2023 تحليل خطاب مالك بن نبي مع اجراء مقابلات مع شخصيات لها علاقة بفكر بن نبي.
- من جانفي الى 24 فيفري 2024 تحديد النتائج وتحليلها.
- ومن 25 فيفري الى نهاية مارس 2024 مراجعة مع المشرفة لاستخراج الأطروحة في شكلها النهائي

## الخلاصة:

في هذا الفصل تم التطرق للإطار التصوري والمنهجي للدراسة من خلال بناء اشكالياتها، وتحديد التساؤلات التي تريد الدراسة الاجابة عليها في نهاية البحث، كما تم تحديد الأهداف التي تسعى تحقيقها. بالإضافة لهذا تم التطرق الى الدراسات السابقة التي تناولت الفكر التربوي عند مالك بن نبي والتي استفاد منها الباحث مع تحديد وجه الاستفادة لكل دراسة، وتحديد المنهج المناسب لهذا النوع من الدراسات الوصفية ، وهو منهج تحليل الخطاب، وتحديد المقابلة كأداة من أدوات البحث مساعدة للمنهج المحدد.

كما تم تحديد مفاهيم الدراسة وهي: التربية الاجتماعية التي تعمل على تنشئة الناشئة على قيم المواطنة مثل: العيش المشترك في وطن واحد يتقاسمون فيها المواقف المشتركة مع تحمل كل المسؤولية الاجتماعية التي تجعلهم يؤدون واجباتهم تجاه مجتمعهم بكفاءة وفعالية كبرى.

كما تم تحديد المقصود بقيم المواطنة عند مالك بن نبي والتي حصرها الباحث في العيش المشترك والمسؤولية الاجتماعية والفعالية الاجتماعية.

# الفصل الثاني



السياق التاريخي  
والاجتماعي لفكر

مالك بن نبي

### تمهيد

ان الخطاب لا يأتي من فراغ، بل هو ناتج واقع اجتماعي، يسعى صاحبه من أجل فهم الواقع المعاش وتفسيره من خلال الخطاب، أو تغيير هذا الواقع.

لهذا عند دراسة أي خطاب لا بُد من معرفة صاحبه، والسيّاق التاريخي والاجتماعي الذي أُنتج فيه، من أجل معرفة الحثيات المحيطة بإنتاج هذا الخطاب، فشخصية صاحبه والظروف المحيطة به تتحكم في محتواه.

فحياة مالك بن نبي مليئة بالعوامل المؤثرة في فكره فقد مرت عليه محطات ساعدت على صقل فكره، بالإضافة ظروف واقع الحركة الاصلاحية في العالم الاسلامي ابتداء من الحركة الوهابية مروراً بحركة الأفغاني ومُجد عبده الى حركة الاخوان وحسن البنا حتى الى حركة ابن باديس وجمعية العلماء المسلمين، التي عملت على توجيه فكره من أجل التفكير في معضلات الأمة الاسلامية

## أولاً: - حياة مالك بن نبي:

ان حياة مالك بن نبي لم تكن بتلك الحياة المستقرة نظرا للظروف العامة التي كانت تعرفها الجزائر، والظروف الخاصة التي كانت تعيشها عائلته في ظل الاحتلال الفرنسي، فقد كانت موزعة بين الوطن وخارجه، وهذا كان له تأثير في مساره الفكري وهذا ما سيتم تناوله:

### 1- مولده ونشأته الأولى:

في الفاتح جانفي من سنة 1905 الموافق لـ: 5 ذي القعدة من سنة 1323 هـ وفي مدينة قسنطينة ولد الصديق مالك بن نبي، وهو ابن الحاج عمر بن الحضر بن مصطفى بن نبي، كباقي أطفال المسلمين وأبناء الجزائر عرف مالك بن نبي الكتاب كأول محطة تعليمية يلجأها واستمر فيه حتى أثناء انتظامه في المدرسة الفرنسية، وكان إلى جانب ذلك لا ينفك يتردد على المسجد.

وفي مرحلة الدراسة الثانوية بقسنطينة ظهر بن نبي وهو شديد الشغف بالقراءة والاطلاع، وقد كان إلى جانب تعلمه في المدرسة الفرنسية يتلقى دروسا في العربية في أيام الإجازات المدرسية على شيخ يدعى "عبد المجيد"، ويسمع دروسا في العربية والدين عن آخرين من خلال حلقات المساجد.

بالإضافة إلى متابعته إلى أخبار الأوضاع السياسية والاجتماعية للعالم الإسلامي، حيث كانتا سنتي (1921-1922) مليئتتين بأخبار مصطفى كامل، وعصمت إينونو، "لقد كانت أسطورة الغازي وعصمت إينونو في ضمائرنا مرادفا للخلاص والانتعاق"<sup>1</sup>، حيث كانت هذه الأخبار توظف في ضمائر الشباب الجزائري وهو يتابعها الوعي بضرورة الخلاص والانتعاق من الاستعمار، وكانت تفتح النقاشات بينهم في ذلك المقهى بقسنطينة لصاحبه بن يمينة:

"ومع ذلك فهذه الأفكار والمشاعر كانت تجتمع في مقهى بن يمينة\* لتتلاقى هناك مع تلك التي تولد على بعد خطوات من المقهى. أعني ذلك المكتب الصغير الذي يشغله (الشيخ بن باديس)

<sup>1</sup> مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، دار الفكر، دمشق، ط11، 2018، 64.

\* مقهى بن يمينة: هو مقهى يقع بشارع الأربعين شريف، هي إحدى المقاهي السياسية والثقافية التي ظهرت في الجزائر عامة وفي المدن الكبرى خاصة، والتي كانت تعرف نقاشات حول أوضاع البلاد السياسية والثقافية وذلك لبروح مرحلة جديدة من كفاح الشعب الجزائري ومقاومته للمستعمر، خاصة مع بداية النضال السياسي والاصلاحي مع تيارات ونشاطات الأمير خالد ونجم شمال افريقيا وحركة الاندماجين وميلاد جمعية العلماء المسلمين الذي كان يتطلب ظهور فضاءات جديدة.

ولم أكن قد عرفته بعد، إنما كنت أشاهده يمر أمام المقهى، كان الحديث في مقهى (بن يمينة) بالعربية والفرنسية، أما في مكتب الشيخ فمن الطبيعي أن يكون الحديث بعربية فصيحة.

أما في المدينة فلم تكن اللغة عربية ولا فرنسية، إنما لغة محلية، وهذه الحال كانت في الجزائر جميعها وخاصة في العاصمة، إذ أضاف القوم هناك إلى عاميتهم لهجة غير مستحبة<sup>1</sup>، لقد أخذت آفاق بن نبي تتسع في هذه المرحلة سواء عن طريق قراءاته الكثيرة أو مشاهداته الشخصية، وبدأ يبحث عن تموقعه الفكري من خلال ما يقرأ من كتب، ومستجدات الفكر الإنساني، فقد ذكر أن "هذه القراءات شكلت بالنسبة لي قوة أخرى من التنبيه في المجال الفكري، إذ حالت دون انجرافي في الرومانطيقية التي كانت شائعة في ذلك الجيل من المثقفين الجزائريين"<sup>2</sup>، مطالعة مالك بن نبي كانت للفكرين الغربي الدخيل، والفكر الإسلامي الأصيل، ولكن نظرا للتحصين والأمن الفكري الذي كان يجده من الشيوخ الذي تدرّس عندهم وكذلك الكتب التي كان يطالعها خاصة لأحمد رضا ومُجد عبده حالت دون أن ينجرف في متاهات تبعده عن أصالة دينه، بل كانت زيادة له في علمه وأعطته قوة النقد والتحليل اللتان ميّزتا كتابته.

يؤكد بن نبي على أن مطالعته للفكر الغربي لم تجعله ينجرف بعيدًا عن فكر وأصالة دينه، بل كانت زيادة له في علمه وأعطته قوة النقد والتحليل التي ميّزت كتاباته، وهذا ما جعل له القدرة على دمج العناصر الأصيلة من الفكر الإسلامي مع الفكر الحديث والغربي من جهة وربط الجسور بين مختلف الحقول المعرفية، مما أضاف إلى عمق وتأثير أفكاره

بالإضافة إلى الشغف بالقراءة والمطالعة للفكر الإنساني، كان مهتما بقراءة الجرائد من أجل تتبع أخبار العالم عامة والعالم الإسلامي خاصة، وكان يرى في ذلك وسيلة لصنع الوعي.

وعندما يتم الحديث عن مالك بن نبي القارئ المستمتع، والقارئ المتأمل، لا بد من الإشارة إلى مالك بن نبي الملاحظ المتأمل، ويبدو ذلك واضحا في حديثه عن هواياته "أما هوايتي الأخرى حلال الفرصة بين الدروس فهي أن أبقى في الصف، هناك خارطة حائط كبيرة للصحراء، كنت

<sup>1</sup> مالك بن نبي، مذكرات شاهد قرن، مرجع سابق، ص 92.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 67.

أتسلق كرسياً وأتابع الخارطة باحثاً عن طريق للوصول إلى تمبوكتو، كانت هذه الهواية بوجي من كتاب (أنتينيا) الذي ظهر في تلك الفترة فمنحني هذه الهواية، لقد سيطرت على نفسي طويلاً حتى بعد السنة الثانية من المدرسة التي كانت من وجوه عديدة خاصة في تحديد اتجاهي"<sup>1</sup>،

تبدو تأملات بن نبي أيضاً في تأملاته للواقع الاجتماعي عندما لاحظ أن مقهى بن يمينة يعبر عن الانقسام الأيديولوجي: "في مقهى بن يمينة شعلات في الواقع بالانقسام الأيديولوجي، الذي أوجد انطلاقا من باب المدرسة أو من باب المقهى، حدوداً أخلاقية فاصلة بين أولئك الذين كانوا يعملون في البحث عن طريق أفضل، وأولئك الذين ما يزالون مدمنين على قراءة ألف ليلة وليلة"<sup>2</sup>،

كما يمكن أن يظهر مالك بن نبي المتأمل عندما يتابع بدقة الظواهر الاجتماعية في مدينة قسنطينة، حيث لاحظ الشارع القسنطيني بأنه منقسم انقسام طبقي ووصفه بالانقسام الاقتصادي: "ولكن في شوارع قسنطينة بدأت أستشعر ذلك الانقسام الاقتصادي الذي بدأ تأثيره منذ نهاية الحرب العالمية الأولى، فالنظام الاجتماعي القديم بدأ يتفصح بوضوح، وفي ساحة سوق العصر بين أكوام الملابس الرخيصة الثمن تكونت طبقة بورجوازية جديدة"<sup>3</sup>، وهنا يظهر التفكير الاجتماعي المبني على التأمل والخيال السوسولوجي: "إن التفكير بطريقة سوسولوجية هو التنبؤ لمقاربة تتسم بالاتساع والشمولية، نظرة تتضمن كافة أبعاد الواقع الاجتماعي. بذلك يجب على عالم الاجتماع أن يكون قادراً على التحرر من الظروف الشخصية وأن يضع الأمور في سياق أوسع، إنه ارتقاء من نظرة شخصية تنظر في نفس الاتجاه ومن زاوية واحدة إلى نظرة أوسع تشمل كل اتجاهات زوايا الظاهرة المدروسة. وهذا يعني أن التفكير السوسولوجي الجاد يعتمد في جانب كبير منه على إعمال الخيال السوسولوجي"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> بن نبي، مذكرات شاهد قرن، مرجع سابق، ص 86.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 111.

<sup>3</sup> بالمرجع نفسه، ص 111.

<sup>4</sup> حسام الدين محمود محمود فياض، "الخيال السوسولوجي"، الجديد، 1 يوليو، 2021.

التفكير السوسولوجي يعتمد حسب رايت ميلز على الخيال السوسولوجي ، والذي هو قدرة الباحث على الربط بين الواقع الاجتماعي وبين ذاته، وذلك باستعمال قدرات عقلية أن فكرة "الخيال السوسولوجي" تقوم على الربط بين مستويين من مستويات التحليل: مستوى الماكروسوسولوجي مثل المجتمع أو (البناء الاجتماعي) ومستوى الميكروسوسولوجي مثل الفرد، وذلك انطلاقاً من أن حياة الفرد أو السياق التاريخي والاجتماعي للمجتمع لا يمكن فهم أيّ منهما دون فهم الآخر والعلاقة التي تربط بينهما، فإذا كان الأفراد لا يملكون القدرة على فهم العلاقة بين الإنسان والمجتمع، أو بين تاريخ الإنسان وتاريخ المجتمع، أو بين الذات والعالم المحيط بها، فإنهم بحاجة إلى مجموعة من المهارات العقلية التي تمكنهم من تكوين فكرة جليّة لما يدور حولهم وما سوف يحدث لهم تأثيراً بهذا العالم<sup>1</sup>، وهذا ما كان يميّز كتابات مالك بن نبي التي كانت تريد العمل على الربط بين حياة الفرد والبناء الحضاري للمجتمع.

ولم يمضي وقت على إتهام بن نبي دراسته الثانوية ونظراً لظروفه الاجتماعية بحث عن عمل ليساعد عائلته وخاض تجربة العمل، ولكن وجد صعوبة في الاستمرار فتوقف وهاجر الى فرنسا.

## 2-الهجرة والتعارف على ثقافة الآخرين:

بعد الانتهاء من دراسته بحث مالك بن نبي عن عمل في الجزائر من أجل مساعدة أسرته في قوتها، ولكن باءت محاولات البحث بالفشل ممّا أضطره للسفر خارج البلاد، ويمكن إبراز أهم المحطات التي توقف عندها أثناء هجرته للخارج كالتالي:

-المرحلة الباريسية (1930-1956):

في سنة 1930 سافر مالك بن نبي الى باريس من أجل اتمام دراسته الجامعية وتحقيق حلم بأن يصبح في يوم ما محامي وقد تكاثف الأبوان على منحه فرصة السفر إلى باريس، من أجل ذلك تقدم إلى معهد الدراسات الشرقية لكنه لم يتم قبوله، حيث يقول "ونودي علينا فدخلنا، ولم تبد لي أية صعوبة في الاختبارات ولكن النتيجة كانت خيبة أمل: لم أنجح!!، وليس هذا ككُل في الأمر، بل لقد طلبني مدير المعهد، وفي هدوء مكتبه الوقور شرع يُشعّرني بعدم الجدوى من الإصرار على دخول إلى معهده، فكان الموقف يجلي نظري بكل وضوح هذه الحقيقة: إن الدخول لمعهد

<sup>1</sup>أحمد زايد، علم الاجتماع النظريات الكلاسيكية والنقدية، تحضة مصر للنشر، القاهرة، د.ت، 252.

الدراسات الشرقية لا يخضع - بالنسبة إلى مسلم جزائري - لمقياس علمي وإنما لمقياس سياسي<sup>1</sup>، أدرك بن نبي من خلال كلام المدير لغة المستعمر، التي تعمل بانتقائية عرقية عربي /أوربي وانتقائية دينية مسلم مسيحي، وهذا زاد في وعيه بحقيقة الصراع الموجود، وهو صراع وجود، وكسب النفوذ عن طريق ترك المناصب للعصبيات سواء عصبية عرقية أو عصبية دينية.

كان مالك بن نبي لا ينفك يردد على متحف الفنون والصناعات منذ الأيام الأولى لنزوله باريس فتبهره روائع المتحف بما يحتويه من مبتكرات العلم والتكنولوجيا الحديثة وقد كان لهذه الزيارات أثرها في تنمية تفكيره الجدي، نحو النواحي العلمية والصناعية " وأصبحت أختلف إلى متحف الصناعات والفنون، ولكن بنظرة جديدة للأشياء، لذلك لم يصبح المتحف مجرد مكان جمعت فيه غرائب وعجائب ما أنتجه الفن والصناعة، ولكنه المستودع المقدس الذي أودعت فيه الحضارة، أعلى ما أنتجته عبقريتها العلمية والتكنولوجية، بوصفها شهادات أمام التاريخ على مراحلها المختلفة"<sup>2</sup>، هنا أيضا يظهر مالك بن نبي الملاحظ المتأمل فهو لم ينظر إلى الأشياء بنفس النظرة السابقة التي تبهر الناظر بعجائبيها وغرابها، ولكن أصبحت نظرة المتأمل في عبقرية العلم والتكنولوجيا، فقد كان لا يتأمل المبتعث بقدر ما يتأمل قدرة المبتعث على الابداع باستعمال المعرفة العلمية .

كان مالك بن نبي يستعمل هذا الخيال السوسولوجي في تفسيره للظواهر الاجتماعية التي يلاحظها، ويعطيها توصيفات محددة، ولهذا نجده بالرغم من الصداقة والأخوة التي تجمعهم بحمود بن الساعي لم يمنعه هذا من وصف تجاهله له في باريس بالمرض الذي تعاني منه النخبة الجزائرية<sup>3</sup> في هذه الأثناء وصل إلى باريس حمودة بن الساعي، رأيت في اجتماع الطلبة الوجوديين بمركز لودرو رولان، فشعرت أنه تجنب تعرفي عليه قبل أن أعرفه، وسأكشف هذا المرض المتفشي في النخبة الجزائرية، مرض التجاهل، تلك الظاهرة الاجتماعية التي طالما شغلت بالي فيما بعد"<sup>3</sup>

<sup>1</sup>مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، ص217.

<sup>2</sup>المرجع نفسه، ص219.

<sup>3</sup>المرجع نفسه، ص234.

خلال تواجده بباريس وفي عام 1931 تزوج بفتاة فرنسية التي كانت سندا له في الحياة، كما زاد اهتمامه بالنشاط الفكري والسياسي الوطني، من خلال اتصالاته بالطلبة المنتمين لمنطقة المغرب العربي، حيث كانوا يجتمعون في مركز خاص بهم في الحي اللاتيني يناقشون ويمارسون عملية التوعوية والفكرية والسياسية الاصلاحية

ومن خلال علاقاته المزدوجة بالوحدة المسيحية للشبان الباريسيين —الذين أعجب وتأثر بهم، وبتجمع الطلبة المغاربة في الحي اللاتيني كان يسعى لعقد نوع من الصلة والحوار بين الجانبين من أجل الثقافة، كما أن وجوده بباريس لم يمنعه من متابعة أخبار وتحركات الحركة الوطنية، والحرب العالمية الثانية وكل النشاطات التحررية في العالم، والحركات الاصلاحية في العالم الاسلامي من أمثال حركة الاخوان في مصر وشكيب أرسلان الذي كان يدعو لنهضة عربية اسلامية من إقامته بسويسرا.

هذا النشاط الدؤوب لملك بن نبي لم يتوقف عند هذا الحد بل تعداه إلى إقامة اتصالات مع أبناء المستعمرات المتعطشين للحرية من جهة، ومن جهة أخرى وصل حواراته الفكرية مع الأوربيين والجالية اليهودية التي كانت تنشط بباريس.

هذا الحوار الثقافي والسياسي المتنوع مع مختلف الأطراف المناضلة من أجل الحقوق والحريات، والتواصل الفكري مع أبناء الجاليات في فرنسا، ترك بصمته في بناء المنظومة الفكرية لملك بن نبي.

لم يتوقف مالك بن نبي في دراسته عند الهندسة والعلوم الطبيعية، بل امتد اهتمامه في القراءة إلى كل ماله علاقة بالفكر وعلى رأسها العلوم الاجتماعية والإسلامية التي كان يتقاسم الاهتمام بها مع رفيق دربه "حمودة بن الساعي"، الذي كان منتظم في دراسته للعلوم الاسلامية بالسوربون.

—التوزع بين الجزائر وفرنسا:

بدأ بن نبي يتلقى الصعوبات في حياته بعد أن صارت شخصيته معروفة لدى الرائد الاستعماري، مثل ما عانى والده الذي حرم من عمله بسبب نشاط ابنه السياسي والإصلاحي، حيث لم يجد فرصة في التدريب أو العمل كمهندس سواء في فرنسا أو الجزائر بعد تخرجه.

اشتغل في فترة وجوده بفرنسا بالعمل الصحفي بجريدة "لوموند" إلى جانب اهتمامه بالكتابات الفكرية وتأليف الكتب، في مجال قضايا التحرر في العالم واستنهاض الهمم لمجتمعه المحلي الجزائري أو الاقليمي الإسلامي.

في هذه بدأ مالك بن نبي في اصدار مؤلفاته الفكرية وكان أول اصدار له كتابه (الظاهرة القرآنية) طبع في باريس في عام (1947) قد اوقد شرارة في اعماق الفكر الأوروبي، وفتح نافذة أطل من خلالها العديد من المثقفين والقراء الفرنسيين على القرآن والإسلام نذكر منهم الدكتور (على سليمان بنوا) الذي أسلم معترف بأنه (مدین بالشیء الكثير لكتاب بن نبي: الظاهرة القرآنية).

وأصدر بالفرنسية في هذه المرحلة — بالإضافة إلى كتابه المشار إليه — كتبه التالية: شروط النهضة، وجهة العالم الإسلامي لبيك فكرة الافريقية الاسبوية في ضوء مؤتمر باندونج. بالإضافة إلى العديد من المقالات التي نشرت في مختلف الصحف والمجلات الجزائرية والفرنسية.

#### -المرحلة المصرية 1956-1965-

الهجرة نحو المشرق أمل كان يراود بن نبي منذ وقت مبكر، ففي الوقت الذي كان يعيش في ديار الغربة بأوروبا وجد الفرصة متاحة أمامه لينتقل إلى مصر خاصة وأنها تشهد حياة ثورية جديدة، وكان له ما أراد في سنة 1956 حيث حطت أقدامه بلاد النيل رفقة كتابه فكرة الافريقية الاسبوية في ضوء مؤتمر باندونج.

لقد لفت انتباه مالك بن نبي انجازات يوليو الأولى وهو الذي عاش يبحث عن مواقع التغيير في العالم العربي والاسلامي، حيث وجد في القاهرة مركز الجذب كموقع متميز وقبلة للأحرار باحتضانه قضايا الأمة.

أقام بن نبي في هذه المدينة يساهم اعلاميًا ونشر رسالة " النجدة... الشعب الجزائري يباد" كما وجه خطابا مفتوحا إلى رئيس الوزراء الفرنسي جي موليه وكان في كل ذلك يناضل وحيداً، حتى ظن الكثير أن مالك بن نبي انعزل عن الثورة في الوقت الذي كان هو يرى أن الآخرين لم يكونوا يفهمونه

أثناء وجوده بالقاهرة كان له اتصالات مع كبار المفكرين والمهتمين بقضايا الأمة من المثقفين العرب والمسلمين، وكان ممن أبحر بن نبي عبد الصبور شاهين الذي كان من المروجين للفكر البنابي في مصر والمشرق عموماً، كما كان اتصال مع الوزير اللبناني السابق عمر المسقاوي الذي ترك له من بعد وصيةً ترجمة وكتابة كتبه رفقة عبد الصبور\*.

وجعل لنفسه في القاهرة مجالس فكر جذبت إليها كبار رجال العلم والفكر، وكان حواراً مع العديد من هؤلاء يثير اهتمامات وأصداء واسعة، خاصة مع المهندس أحمد عبده الشرباصي، محمود شاكر، وأحمد حسن الباقوري وغيرهم... كما اختير في هذه الفترة كمستشار للمؤتمر الإسلامي في القاهرة، وشارك في العديد من المؤتمرات والملتقيات السياسية والفكرية، بالإضافة إلى جلساته العلمية مع مجمع البحوث الإسلامية.

كانت إقامته في القاهرة فرصة أحسن استغلالها، حيث حسن خلالها من لغته العربية<sup>1</sup> حديثاً وكتابة، حتى أستطاع أن يصدر أول مؤلفاته بالعربية مباشرة وهو "الصراع في البلاد المستعمرة".

لقد حسب بن نبي أن ثورة يوليو بداية لحركة تغيير اجتماعي من الممكن أن تتطور في عمقها الحضاري، لهذا كان تفكيره منصباً في كيفية إعادة البناء الحضاري للأمة، ويمكن اعتبار كتبه في هذه الفترة تأملات، حديث في البناء الجديد، وميلاد مجتمع — الذي كان مشروعاً لم يكتمل — محاولة لوضع معالم للمرحلة واحتياجاتها.

كانت القاهرة المحطة التي ساعدت بن نبي في زيارة دول مشرقية كسوريا ولبنان، للتواصل مع رجال الفكر والرأي لمناقشة القضايا المصرية للأمة وطرح رؤيته الفكرية للنهوض الحضاري، مما فتح له الباب للمشاركة في عدة جلسات ومؤتمرات في دول المشرق والخليج، وهنا ذاع صيته وأصبح قبلة للعديد من المفكرين الذين يحملون هموم الأمة وكان من بين هؤلاء سعيد جودت.

—العودة إلى الجزائر 1965:

\*أنظر الوصية في جميع كتب مالك بن نبي التي ترجمها عمر المسقاوي

<sup>1</sup>ابراهيم البعشي، شخصيات إسلامية معاصرة ج 2، دار الشعب، القاهرة، د.ت، ص 227.

إزاء حالة الاغتراب التي كان يعيشها بن نبي في الجزائر على الصعيدين الفكري والسياسي، ونتيجة آرائه النقدية الموجهة لحكومة الثورة الجزائرية لم يفكر في العودة إلى أرض الوطن إلا بعد انتقال السلطة للمجلس الثوري بقيادة هواري بومدين.

عاد في سنة 1965 ليتولى مناصب رسمية عديدة (مستشار التعليم العالي، مدير جامعة الجزائر، ومدير عام للتعليم العالي، وقد كان هذا فرصة له لتقديم أفكاره سواء عن طريق الكتب أو الندوات والحلقات العلمية التي كان يشارك فيها أو يعقدها لطلبتها، قدم خلالها زبدة أفكاره حول الثقافة، الحضارة، التربية والتغيير الاجتماعي. حيث أصدر في هذه الفترة كتبه: "أفاق جزائرية"، "مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي"، "المسلم في عالم الاقتصاد"، "يوميات شاهد القرن (الطفل، الطالب)" بالإضافة إلى العديد من المحاضرات والمقالات.

نظم في العاصمة الجزائرية ندوة كانت قبلة للشباب من سائر أنحاء المغرب العربي وأوروبا، وهي ندوة أسبوعية تعقد في داره. في عام (1967) استقالة من منصبه ليتفرغ للعمل الفكري ولتنظيم الندوات، وفي عام (1971) أودع تلميذه وصديقه المحامي اللبناني "عمر مسقاوي" وصيته في الحفاظ على تراثه آذنا له بنشر جميع كتبه ومقالاته وترجمتها، كما أدى فريضة الحج في عام (1972) مارا بدمشق حيث ألقى هناك محاضرة تحت عنوان " دور المسلم في الثلث الأخير من القرن العشرين " وكأنها وصيته الأخيرة، إذ بعد مرور عام على عودته وافته المنية وهو يعبر الصحراء الجزائرية في مهمة ثقافية، عن عمر ناهز الثامنة والستين من عمره رحمه الله.

### 3-العوامل المؤثرة في تكوين بن نبي:

اجتمعت مجموعة من العوامل التي كانت لها تأثير بارز على تكوين شخصية مالك بن نبي

يمكن أن نلخصها في الشكل التالي:



شكل رقم 3:العوامل المؤثرة في تكوين مالك بن نبي

يمكن القول: أن تنشئة "بن نبي" الأخلاقية والدينية التي تلقاها في أسرته وبيئته الجزائرية وتثقيفه الإسلامي، إلى جانب المؤثرات الجمالية والتقنية والعملية التي أخذها من البيئة الفرنسية، قد ترجمت لديه فيما بعد في فكرة أساسية، هي أن مشكلة المجتمع المتخلف هي مشكلة بناء حضارته، وبناء الحضارة لا يتم دون بناء للثقافة، بناء يكون على الأساس التربوي، خاصة في مجتمع يعيش حالة اللاحضارة واللاتقافة.

كان للانعكاسات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية للمحتل الفرنسي انطباعها المحفز لوجدان وفكر "بن نبي" فمنذ الطفولة وهو يسمع ويشاهد هجرة قومه عن مدتهم وقراهم بفعل الضغط الاستعماري من جهة، ونتيجة لرفض مساكنة الأهالي مع المستعمر من جهة أخرى.

كان "بن نبي" يتحسس المتغيرات المفجعة التي كان يحدثها الفرنسيون في حياة الشعب الجزائري، يتحسس تفاقم الفقر والجهل والمرض، وإشاعة الكحول وتخطيم التوازنات الاجتماعية

والاقتصادية ، وتكريس الفوارق بين المستوطنين الأوروبيين والأهالي، إلى غير ذلك من صور سلبية ، وقد كان شعوره بفعل ذلك يتنامى ونحو واع وهو يقرأ ويتابع الصحف ، فينفس عن نقمته بقراءته لصحيفة الإنسانية "L'humanite" الشيوعية التي كانت - كما يقول - : " تتأثر لي من طبيعة الأشياء التي سميت فيما بعد ب "النظام الاستعماري " ، بالإضافة إلى متابعتها لصحف أخرى "كالراية" « Etendard » و "الإقدام " « L'ikdam » التي كانت تضع في فكره - كما يقول - : "الموضوعات السياسية والاجتماعية الأولى الدقيقة عن الأرض والفلاحين وحقوقهم المهذورة"<sup>1</sup>

فضلا عن قراءاته في الصحف الأخرى، مما كان له الأثر في فكره فيما بعد، أما اندفاعاته الشخصية المضادة للمستعمر، فقد بدت في مشاركته لزملائه في ثورة الريف ونشاطاته في كتابة ولصق النداءات الرافضة للوجود الاستعماري.

لقد كانت للسياسة الاستعمارية القائمة على القهر والسيطرة والتحقير المنظم أثرها في اهتمامات " بن نبي " وتوجهاته، فلقد كانت سبب في دعوته لبناء الفرد على أسس وقيم حضارية تجمع بين أصالة الفكرة وفعاليتها\*.

#### 4- مؤلفات مالك بن نبي:

ترك مالك بن نبي تراثا فكريا هو عبارة عن إطار لمشروع فكري يحتاج للمختصين في المجال الفكري لتحليل جزئياته وهذا ما أشار إليه الأستاذ مولود سعادة في مقابلة معه حيث قال: "مالك بن نبي كتب إطار لمشروع فكري نهضوي، فهو منهج عمل، وعلى المختصين تحليل محتوياته لمشاريع عملية قابلة للتطبيق"<sup>\*</sup>، وهو نفس الشيء الذي قاله الأستاذ بدران بن لحسن حيث قال " مالك بن نبي باحث يكتب في المشاريع الفكرية، وليس أكاديمي يكتب من أجل الترقيات"<sup>\*\*</sup>.

كتب بن نبي بالفرنسية والعربية وكتبه مترجمة كلها للغة العربية :

<sup>1</sup> بمالك بن نبي، مذكرات شاهد على القرن، مرجع سابق، ص 160.

\* لمزيد من معرفة العوامل المؤثرة في فكر مالك بن نبي يمكن الرجوع الى كتابه مشاهد للقرن.

\* مقابلة مع الأستاذ مولود سعادة

\*\* مقابلة مع الأستاذ بدران بلحسن، عبر تقنية غوغل ميبت

## الفصل الثاني: السياق التاريخي والاجتماعي لفكر مالك بن نبي —

جدول رقم 2: مؤلفات مالك بن نبي

اسم الكتاب	تاريخ الاصدار	لغة الكتابة	المترجم
الظاهرة القرآنية	1947	الفرنسية	عبد الصبور شاهين
ليبك حج الفقراء	1947	الفرنسية	زيدان خوليف
شروط النهضة	1949	الفرنسية	عمر كامل مسقاوي
العفن	1951	الفرنسية	نورالدين خندودي
وجهة العالم الإسلامي ج 1 وج 2	1951	الفرنسية	عبد الصبور شاهين
الفكرة الافريقيّة الآسيويّة في مؤتمر باندونغ	1956	الفرنسية	عبد الصبور شاهين
فكرة كومونولث إسلامي	1960	الفرنسية	الطيب الشريف
مجالس دمشق			
القضايا الكبرى	1951	العربية	عبد الصبور شاهين
دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين	1960	العربية	
المسلم في عالم الاقتصاد	1972	العربية	
من أجل التغيير	1967	الفرنسية	

## ثانيا: السياق التاريخي والاجتماعي لخطاب مالك بن نبي:

المفكر هو ابن بيئته ولهذا فإن إنتاجه الفكري ليس اجتهادا توليديا محضا، بل هو ناتج عن التفاعل بين الظروف الخاصة بحياته والمؤثرات العامة المحيطة به، حيث يرتبط هذا الإنتاج ارتباطا وثيقا بواقعه الاجتماعي والثقافي وحتى السياسي.

وستحاول هذه الدراسة في تحليلها لخطاب مالك بن نبي معرفة أولا الصورة التاريخية للمجتمع الجزائري في القرن العشرين، أي معرفة الواقع الاجتماعي والظروف والملازمات التاريخية والاجتماعية وحتى الاقتصادية التي أفضت إلى هذا الخطاب الذي تبناه مالك بن نبي، لأن معرفة السياقات التاريخية والاجتماعية والثقافية التي يعيشها الكاتب تساعد على فهم الخطاب الذي أنتجه، باعتباره ناتج لهذا الواقع من جهة، ومحللا له من جهة أخرى.

ثم واقع الحركات الاصلاحية في العالم الإسلامي، وكيف تعامل معها مالك بن نبي.

### 1- المجتمع الجزائري الذي عاشه مالك بن نبي:

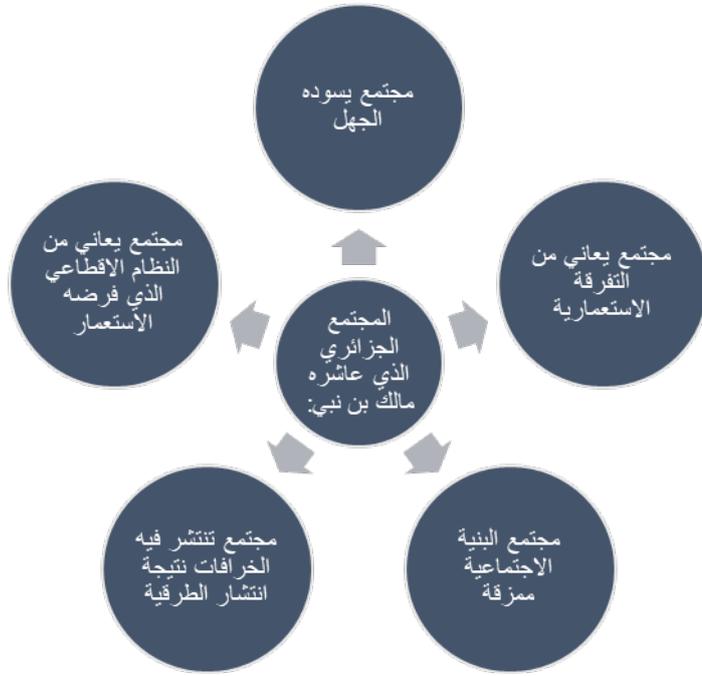
عند التطرق للمجتمع الجزائري يجب أن يوضع في الحسبان أبرز الظواهر الاجتماعية التي كانت موجودة في ذلك العصر، كالموروث التقليدي والدين والاستعمار الفرنسي ومخلفاته مثل التخلف والجهل، لأن ذلك يساعد على فهم طبيعة هذا المجتمع وواقعه الاجتماعي.

#### -الأوضاع الاجتماعية:

عاش مالك بن نبي فترتين مختلفين من تاريخ الجزائر الحديث، فترة الاستعمار الفرنسي، والتي وصفها بأنها "كانت حتى عام 1925 -على الرغم من إسلامها- تدين بالوثنية التي قامت نصبها في الزوايا، هنالك كانت تذهب الأرواح الكاسدة لالتماس البركات، ولاقتناء الحروز ذات الخوارق والمعجزات"<sup>1</sup>، وفترة الاستقلال في أيامه الأولى وكلتا الفترتين تركت أثارها في فكر مالك بن نبي وإنتاجه الفكري.

<sup>1</sup> مالك بن نبي، شروط النهضة، تر: عمر كامل مسقاوي و عبد الصبور شاهين، دمشق: دار الفكر، دمشق، 1986، ص31.

لم يكن الوجود الفرنسي في الجزائر وجود حضاري كما كان يشيع ويبرر لوجوده حيث قال ابن القديس لويس: "ولعل الزمن يسعدنا بأن ننتهز الفرصة لننشر المدنيّة بين السكان ونُنصرهم"<sup>1</sup>، بل كان احتلال واستعمار لكل ما هو جميل داخل البلاد، و من أجل بسط سيطرتها وترسيخ دعائم وجودها، بدأت بمحاولة السيطرة على الأراضي الخصبة ونزع الملكية من أصحابها. في محاولة ابعاد الجزائريين عن أراضيهم وتشريدتهم، كما سعت الى تمزيق البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري، من خلال تدمير الروابط الأسريّة والعلاقات الاجتماعية، ونشر العادات المناهية للدين عن طريق الزوايا التابعة للطريقين، ولقد نبه إلى ذلك البشير الإبراهيمي في عام 1913م حين قال: "في الجزائر استعماران خارجي وهو الاستعمار الفرنسي، وداخلي وهو الطرق الصوفية"<sup>2</sup>.

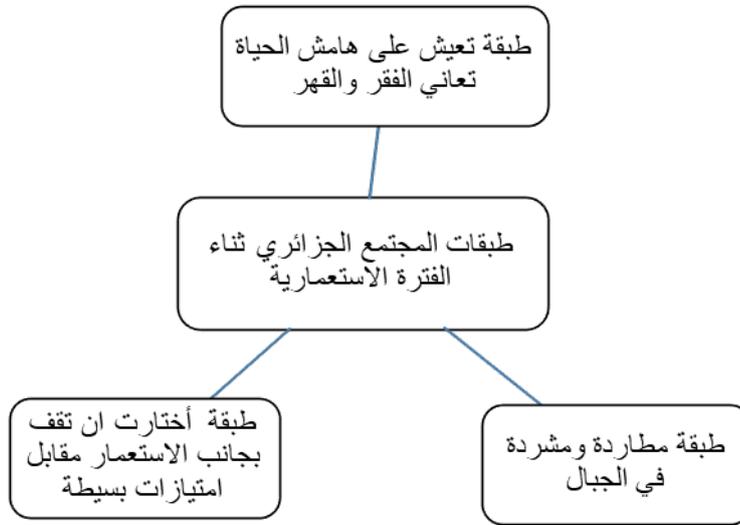


شكل رقم 4: ملامح المجتمع الجزائري الذي عاشه مالك بن نبي

هذه الأوضاع التي عاشها المجتمع الجزائري كانت لها التأثير الجلي على بنيته الاجتماعية؛ حيث صنعت منه مجتمع طبقي يتكون من ثلاث طبقات اجتماعية متفاوتة الأوضاع الاجتماعية والتي نلخصها في الرسم التوضيحي التالي:

<sup>1</sup> محمد طه الجابري، جوانب من الحياة العقلية والأدبية في الجزائر، معهد البحوث والدراسات العربية - جامعة الدول العربية - القاهرة، 1968، ص 83.

<sup>2</sup> عمارة رايح تركي، "الامام عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم" رسالة ماجستير، القاهرة، كلية التربية، جامعة عين الشمس، 1970، ص 73.



شكل رقم 5: طبقات المجتمع الجزائري أثناء فترة الاستعمار

#### -الأوضاع الثقافية والتعليمية:

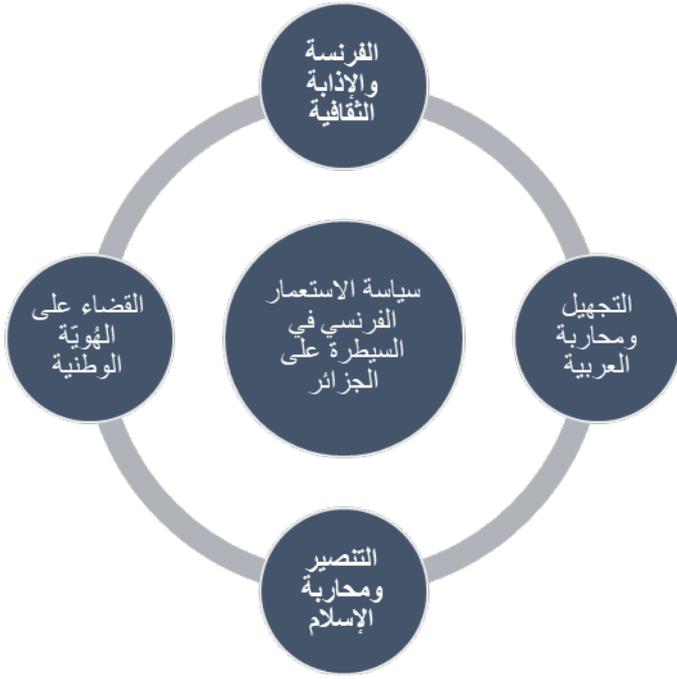
اتبع الشعب الجزائري الإسلام منذ الفتوحات الإسلامية كدين له، والعربية كلغة يتخاطب بها بالرغم من حفاظه على اللهجات المحليّة، في دراسة هانوتو ولوتورنو عن منطقة القبائل التي نقل منها أبو القاسم سعد الله جاء فيها ما يلي: " إن كل فرد في المنطقة يعرف القراءة والكتابة، وللسكان مدارس عامة، واعتزاز قوي يدعم هذه المدارس إذ يرون في ذلك واجبا دينيا ونحوه خاصة، ولغة التدريس هي اللغة العربيّة والمواد كلّها إسلاميّة، وهي تتبع المنهج الإسلامي"<sup>1</sup>.

وكان لهذا تجلياته على أرض الواقع من خلال السلوكيات والأخلاق التي تحكم العلاقات الاجتماعيّة، على الأصدقاء الدينية والاجتماعية والثقافية، وهذا ما أدى إلى انتشار العلوم والمدارس التي تعلم اللغة العربيّة والقرآن الكريم وما يدور في فلكها من علوم وحتى العلوم الرياضيّة، ذكر مُجدد بن ميمون في التحفة المرصيّة ما يظهر انتشار الروح العلمية في الجزائر، حيث كانت الثقافة -لذلك العهد- موزعة على سبعة مراكز، كل منها يقوم بوظيفته، التي أسندت إليه أحسن قِيام، حسب ما تطلبه ظروف العصر، وتقتضيه قوانين إقليم القطر، وعوائد سكانه:

<sup>1</sup>أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ج 03 -1954/1830- (بيروت: دار الغرب الاسلامي، 1998)، 28.

- كتاتيب القرآن وقد خصصت لاستظهار كتاب الله العزيز، وهي أو محل يتلقى فيه الطفل الحروف الهجائية.
- الزوايا وقد كانت تحتل مكان الصدارة بين مراكز الثقافة من ناحية تثقيف المعوزين والفقراء من أبناء الشعب، وتقوم غالبا بتحفيظ القرآن، الفقه، العقائد، وقواعد النحو والصرف، وفنون البلاغة، والمنطق وبعض المبادئ في علم الفلك.
- المساجد: وهي خارج أوقات الصلاة مرتعا لحلقات الدروس اليومية في شتى أنواع العلوم التي كانت سمة العصر.
- المدارس: وهي أمكنة خصصت لإلقاء الدروس بها، ولا توجد إلا ببعض المدن الرئيسية مثل قسنطينة، الجزائر، بجاية، وهران وتلمسان، وكانت بهذه المدارس بيوت الطلبة للإقامة بها.
- الدكاكين التجارية التي تستعمل نهارا للبيع والشراء، وفي الليل للمسامرات الأدبية.
- الأندية المنزلية وهي التي كانت تقام في منازل وجهاء البلاد، وأعيان ذوي النفوذ، ومنازل العلماء أندية ومراتع دروس يومية.
- المكتبات العامة والخاصة وهي التي كانت تضم المخطوطات في مختلف علوم الوقت، كان يرتادها الأساتذة والطلبة من جميع النواحي للمطالعة<sup>1</sup>
- وكان المستعمر بحكم تطلعاته الاندماجية أدرك خطر الإسلام واللغة العربية على تحقيق أهدافه، فأنتهج منذ البداية سياسة قوامها:

<sup>1</sup> محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، ط2، 1981، ص 61/62/59.



شكل رقم 6: سياسة الاستعمار الفرنسي في السيطرة على الجزائر

ترك الاستعمار الفرنسي بعد خروجه من الجزائر وضعا كارثيا على جميع الأصعدة في البلاد، لقد ورث الجزائريون إدارة هشة، اقتصاد متدهور ومدرسة لا تتلاءم مع ثقافة الجزائر وشعبها " ومما يجب ذكره ونحن نستعرض التطور التاريخي الذي عرفته المدرسة في بلادنا منذ أن تسلمتها الدولة في عام 63/62 في إطار استرجاع السيادة والتحويلات التي طرأت عليها وعلى برامجها، في الفترة الأولى هو أنّها واجهت منذ البداية ظروفًا صعبة ومعقدة، وإشكالات عديدة، لم تسمح لها بأن تتأمل وضعها الجديد ومستلزمات هذا الوضع"<sup>1</sup>، إذا كانت الظروف معقدة وصعبة، وإشكالات عديدة إشكالية مناهج تعليم، إشكالية لغة تدريس وإشكالية الطاقم التربوي والإداري الذي سيشرف على التعليم.

رغم الصعوبات المعقدة جراء السياسات الاستعمارية التي تم ممارستها طوال 130 سنة من تدمير للهوية الوطنية والثقافة الإسلامية العربية، ونقص الإمكانيات البشرية والمادية، إلا أنه كانت هناك إرادة صادقة من أجل تجاوز الأوضاع الصعبة الموروثة " هكذا كان وضع المدرسة يوم أن

<sup>1</sup> عبد القادر فضيل، المدرسة في الجزائر - حقائق وإشكالات، ( جسر للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2013، ص 15.

استعادت البلاد حريتها، وهكذا ظل الوطنيون يلمون بأن تستعيد المدرسة شخصيتها وحريتها، وتتخلص من الرواسب التي علفت بها"<sup>1</sup>

ولكن النية الصادقة وحدها حتى ولو وُجِدَت الإرادة التي تدعمها لا تكف في ظل ظروف قاهرة تقف عقبة في الوصول للأهداف المسطرة في أجال قصيرة، هذه الوضعية لخصها عبد القادر فضيل وهو ممن كانوا يشرفون على التعليم عشية الاستقلال في الحقائق التالية:

- افتقار البلاد إلى قاعدة علمية وثقافية تستند إليها في بناء حياتها الجديدة، في المجال العلمي والتعليمي والثقافي.

- انتشار ظاهرة الأمية لدى الصغار والكبار، في المدن والقرى، وبشكل رهيب وبنسبة مرتفعة جدا.

- الفراغ المهول في ميدان الإطارات العاملة في مختلف المجالات الإدارية والتعليمية والصحية التي ترك تهجير العاملين فيها فراغا في البلاد، لأن الإطارات الفرنسية التي تحترق تسير هذه الدوائر رُحِلت قصدا إلى بلادها، حتى تخلق متاعب للإدارة الجزائرية الناشئة.

- أوضاع اقتصادية مزريّة، وبطالة عامة، لأن ثروات البلاد كانت تصدر إلى فرنسا، لتصنع هناك ثم تعود سلعا استهلاكية يتمتع بها المعمرون، وعائد هذه السلع يذهب مرة أخرى إلى فرنسا وإلى خزينتها.

- مؤسسات مخربة، وممتلكات محطمة، وقرى مدمرة، ومكتبات مُتلفة لأن المعمرين حينما يتسوا من بقائهم في الجزائر شرعوا يُطبقون سياسة الأرض المحروقة، فخرّبوا المؤسسات الاقتصادية وأحرقوا المكتبات، ودمروا البنايات ذات الشأن.

- إرث ثقيل من مخلفات سنوات الحرب: الأضرار المادية التي لحقت كثيرا بالمجاهدين والفدائيين، فأثرت في قدرتهم على العمل، أرامل الشهداء أبنائهم القاصرون، وأهلهم وذوهم الذين هم في حاجة إلى رعاية.

<sup>1</sup> عبد القادر فضيل، مرجع سابق، ص9.

- عودة جموع اللاجئين من تونس والمغرب، ومتطلبات التكفل بهم وبأبنائهم ومسؤولية الدولة في هذا المجال.

- متطلبات تنظيم البلاد وإعادة ترميم المؤسسات المخربة، وتشغيل الإدارات الفارغة، وبناء دولة ديمقراطية — كما نص عليها بيان أول نوفمبر — يتوفر في ظلها الأمن والعدل والرخاء، والصحة والتعليم والعمل لكل المواطنين، وبناء دولة بهذه المواصفات ليس بالأمر الهين في تلك الفترة العصيبة.<sup>1</sup>

كانت هذه هي حقائق الوضعية في الجزائر عشية استرجاع السيادة، فهي تعبر عن نفسها دون أن ننسى أن الأطماع الخارجية ما زالت عينها على الوطن وأوضاعه، عين فرنسا التي لا تريد أن ترفع يدها عن الجزائر، عيون الاشتراكيون من أصحاب المعسكر الشرقي ومحاوله استمالة الجزائر لهم، وعيون الرأسماليون من أصحاب المعسكر الغربي الذي يريدون بسط نفوذهم على جميع العالم وخاصة الدول المستقلة حديثا.

هذه الظروف الصعبة جعلت المدرسة تعاني الاضطرابات في انطلاقتها وتعاني من إشكالات مازال أثرها الى يومنا الحالي " هذه البداية كان يطبعها غموض في التوجّه، وتردد في المواقف، ولولا ذلك لما بقيت المؤسسة التعليمية مدة طويلة تعاني الغربة في بلادها، وتعيش حالات من التمزق بين أهلها، ولولا تلك البداية وانعكاساتها النفسية لما تركنا المشكلة اللغوية (المتعلقة بتصحيح الوضع)\* تكبر وتنمو وتتعمق، إلى درجة جعلت التفكير في علاجها والحد من انتشارها أمرا لا يقابل بالرضا دائما، بل كثيرا ما ترفضه بعض الجهات، ويعارضه بعض المسؤولين، وهذا ما زاد في عمق المشكلة"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> عبد القادر فضيل، مرجع سابق، ص 28.

\* مازال الصراع والنزاع حول لغة التدريس واضحا، فبعد التعريب الذي عم كل المؤسسات التعليمية، هناك محاولات التراجع عنه بإدخال اللغة الإنجليزية كلغة تدريس في الجامعة بديلا عن اللغة العربية، وكان أزمة التعليم منحصرة في لغة التدريس وهي أزمة أعمق من هذا بكثير، وتعميم اللغة الأمازيغية الذي جاءت دستورها بعد صراع كبير،

واتخذت توجهات عديدة، سياسية، وايدولوجية

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 29.

## 2- واقع الحركة الإصلاحية في العالم الإسلامي:

إن الصراع الفكري الذي كانت تعيشه البلدان الإسلامية ومحاولات فرض عليها فكر غربي مادي مستمد من الثقافة الغربية في أواخر القرن التاسع، أنتج حركات إصلاحية واجتماعية، تسعى لعملية التغيير الاجتماعي، ولو بأساليب وتوجهات مختلفة، فهناك من كانت حركته تسعى لمقاومة ظاهرة الغزو الفكري، وأخرى اقتنعت بالثقافة الغربية فأصبحت من دعايتها والداعمين لها، وفي هذا يقول طه جابر العلواني: "حتى آلت الأفكار الإصلاحية المتنوعة لدى الأمة إلى المشروعين الأساسيين اللذين ذكرنا كمشروعين للنهضة والبناء:

- المشروع الإسلامي الحركي الحديث الذي مثل رد الفعل السياسي التحرري الإسلامي، وتعبئة الأمة جهادياً لمواجهة الاستعمار، الاحتلال، وانحلال وحدة الأمة حيث اقتضت المواجهة أن يكون مشروعاً تعبويّاً دفاعياً بالدرجة الأولى.

- المشروع التغريبي اللاديني الذي يمثل اتجاه التقليد والمحاكاة للغرب، ظناً من أصحابه أن الأفكار يمكن أن تُستورد وتحقق النهوض، كما تُستورد الأشياء لحاجات الاستهلاك"<sup>1</sup>

## 2-1- المشروع الإسلامي الحركي الحديث:

منذ بداية النشاط الاستعماري داخل البلدان الإسلامية ومحاوله جر الشعوب الإسلامية إلى الثقافة الغربية عن طريق الحملات التبشيرية واستعمال القوة، وجهود المصلحين المخلصين لم تتوقف في التصدي للمستعمر وكشف شبهاته، من خلال الدعوة إلى توحيد الأمة، ورفض الصفوف، والرجوع إلى تعاليم الدين الإسلامي الصحيحة، حيث كان نشاطهم متركزاً حول إيقاظ وعيهم لقضايا ومشكلات الأمة، والدعوة إلى التحرر من التبعية الأجنبية سواء استعمار مباشر أو استعمار فكري، ومن أبرز هؤلاء يمكن أن نذكر:

<sup>1</sup> طه جابر العلواني، إصلاح الفكر الإسلامي، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، 1991، ص 34.

2-1-1- الحركة الوهابية وجهودها الإصلاحية:

تنسب الحركة الوهابية إلى مؤسسها مُحمَّد بن عبد الوهاب 1703/1792، وهي حركة إصلاحية دينية وتعتبر أول نماذج الإصلاح الديني في بلاد الإسلام في العصر الحديث، وأول رد فعل ديني على مفاسد العربي الذي أنتشر خاصة في مجال العقائد<sup>1</sup>، وهي إلى جانب كونها حركة دينية فهي كذلك ذات بعد سياسي لما كان لها من علاقة مع الحكومة التي كانت موالية لها، إذ كانت تحت رعاية السلطة الحاكمة وهو ما ساعدها على بلوغ غاياتها وتحقيق أهدافها الإصلاحية: " فرحل من العيينة إلى الدرعية في شمال الرياض حيث يقيم الأمير مُحمَّد بن سعود الذي رحب به وأظله بحمايته، وهناك تعاهد الشيخ والأمير على أن يبقى الشيخ في مقر الأسرة السعودية، وفي مقابل ذلك يناصر الأمير دعوة الشيخ بقوة السلطان"<sup>2</sup>

ارتكز نشاط الحركة الوهابية على محاربة بدع الصوفية وجمود الأشعرية، التي ساهمت في إضعاف شعلة العقيدة عند المسلمين الشيء الذي ساعد:

- انتشار الشرك وظهوره بين المسلمين: وهو من أعظم من مظاهر الانحراف الديني في الحياة، وهو رأس المنكرات وأعظم الذنوب والسيئات، وللشرك مظاهر كثيرة من أشدها وأعظمها: تعظيم القبور وبناء المساجد والقباب عليها ودعاء أهلها من دون الله، وصرف أي نوع العبادة لها<sup>3</sup>، لهذا جاءت دعوته أساسا للدعوة للتوحيد، ومحاربة كل أنواع الشرك وهي في أصلها امتداد لدعوة ابن تيمية السلفية، فدعا إلى توحيد الله في ألوهيته وفي ربوبيته، ونهى عن التبرك بالقبور والأولياء وبناء المساجد على القبور.

- انتشار البدع والمحدثات في الدين في هذا القرن انتشارا ذريعا، حتى لا تكاد تخلو عبادة من العبادات إلا دخلتها البدعة، وخبث فيها أنوار السنة، إضافة إلى بدع المآتم والجناز والأعراس، كما انتشرت الخرافات والخزعبلات بأنواعها الكثيرة والمختلفة، مع قلة العلم والفهم وغلبة الجهل

<sup>1</sup> علي الحافظ، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة 1798-1914، بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ط5، 1987، ص 39.

<sup>2</sup> مُحمَّد خليل هراس، الحركة الوهابية، بيروت: دار الكتاب العربي، بيروت، ط5، د.ت، ص 12.

<sup>3</sup> عبد الله بن مُحمَّد المطوع، الدعوة الإصلاحية وأعلامها، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض 1420هـ، ص 40.

والمنافع الشخصية للقائمين عليها تعين على انتشارها في المجتمعات<sup>1</sup>، هذا الانتشار جعل مُجد بن الوهاب يحث الناس الى العودة الى الإسلام الصحيح والالتزام بالسنة وأن يكون يقف في حدود ما ثبت أن فعله رسول الله -صل الله عليه وسلم- ولا يزيدن شيئاً عن ذلك.

- غلبة الصوفية وتغلغلها في حياة المسلمين: انتشرت الصوفية وطرقها المتعددة في كل بقاع العالم الإسلامي، وساهمت في الانحراف العقائدي لهذا كانت الدعوة الوهابية تحذر من خطر هؤلاء على الإسلام، وتدحض شبهاتهم التي يتم نشرها بين الناس.

- ضعف الالتزام بشعائر الإسلام الظاهرة، وشيوع المنكرات الكثيرة في السلوك والأخلاق: الانحراف العقائدي جعل استشعار حضور الله في نفوس البشر ضعيف مما جعل التزامهم يضعف، وكثرت المنكرات في السلوك والأخلاق حتى صار الإسلام غريباً في أهله.

أما مالك بن نبي فقد كان موقفه منها كالتالي: **"الوهابية تعني في نظري الفكرة الإسلامية الوحيدة التي تصلح بما فيها من طاقة متحركة، لتحرير العالم الإسلامي المنهار من عهد ما بعد خلافة بغداد"**<sup>2</sup> وهو دلالة على اعجابه بها، فقد اعتبرها الفكرة الوحيدة التي تملك الطاقة المتحركة، لأنه كان يراها امتداداً للحركة التي قادها من قبل ابن تيمية وتم من خلالها تطهير الفكر الإسلامي من الشوائب التي التصقت به وهي لا تمت له بصلة، فعملت على تحرير العقول من الفكر البليد، وحررت البلاد من طغيان التتار، كما حررت المجتمع الإسلامي من التقاليد البالية.

كما كان ينظر إليها باعتبارها تملك الطاقة المتحركة كان يمكنها أن تحرر البلاد الإسلامية من ظلم الاستعمار، وهذه الطاقة هي طاقة العقيدة عندما تطهر من الخزعبلات والخرافات التي أصبحت تسيطر عليها

#### الجهود الإصلاحية لجمال الدين الأفغاني

لقد جاء جمال الدين الأفغاني في زمن كثرت فيه الفتن، عرف بابتعاد المسلمين عن أصول دينهم، وتمزق صفوفهم، وانتشار بعض الأفكار الهدامة، التي تؤثر في عقيدة المسلم وسلوكه مما جعله

<sup>1</sup> عبد الله بن مُجد المطوع، مرجع سابق، ص 42

<sup>2</sup> مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، مرجع سابق، ص 306.

يبتعد عن فضائل الأخلاق، مع استعمار ينهب في الأراضي ويسيطر نفوذه الفكري على مجتمع مسلم تائه يعاني من اليأس وفقدان الأمل، فجاءت جهوده لتصلح كل هذا، ويمكن تلخيص الجهود الإصلاحية لجمال الدين الأفغاني في النقاط التالية:

- دعوة المسلمين للعودة إلى أصول الإسلام ونبذ البدع.
- الدعوة إلى الوحدة الإسلامية، و مقاومة الاستعما، مع الدعوة إلى الأمل ونبذ اليأس.
- الدعوة إلى محاربة الأفكار الدخيلة على الإسلام، والتخلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل.

وبهذه الدعوات كان لجمال الدين الأفغاني مشروعان ، أحدهما إصلاحي فكري يهدف إلى اصلاح الفكر الإسلامي وتمثل ذلك في دعوته إلى نبذ الخرافات والبدع والأفكار الدخيلة على الاسلام والعودة إلى أصوله الصحيحة، والتخلي بالفضائل والأخلاق التي كانت من صميم دعوة الإسلام، أما مشروعه الثاني هو المشروع الإصلاح السياسي والذي كان دعوة إلى مقاومة المستعمر ولكن من خلال جمع صفوف المسلمين ولهذا ركز على الدعوة لتأسيس جامعة إسلامية التي كانت على رأس المشروع، وقد بذل في سبيل الدعوة إليها كل الجهود المادية والمعنوية ، وأوصل فكرتها إلى أكثر من أمير وملك من الفرس والهند، والعرب والعثمانيين، وقد جاء في معرض الدعوة لها بما يلي " واعتصموا بحبال الرابطة الدينية، التي هي أحكم رابطة اجتمع فيها التركي بالعرب، والفارسي بالهندي، والمصري بالمغربي....وقامت لهم مقام الرابطة النسبية"<sup>1</sup>

عن جهود جمال الدين الأفغاني ودعوته يقول مالك بن نبي: " وهكذا كانت كلمة جمال الدين، فقد شقت كالمخراش في الجموع النائمة طريقها، فأحييت مواتها، ثم ألقّت وراءها بذورا لفكرة بسيطة: فكرة النهوض، فسرعان ما آتت أكلها في الضمير الإسلامي ضعفين، وأصبحت قوّة فعالة، بل غيرت ما بأنفس الناس من تقاليد، وبعثتهم إلى أسلوب في الحياة جديد"<sup>2</sup>، يعترف بن نبي لكلمة الأفغاني أنها رغم بساطتها إلا أنها كانت بذرة طيبة أحييت الموات، ورسخت فكرة النهوض

<sup>1</sup>عمارة، مرجع سابق، ص119.

<sup>2</sup>مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 22.

من السبات الذي تعيشه الأمة، والرضا بالأمر الواقع، فكان هذا انبعاث لهم للعيش مع أسلوب حياة جديد، وهو الثورة عن الظلم ورفض التقاليد التي جعلتهم يعيشون القهر والذل من جهة، ومن جهة أخرى رفض الأفكار الدخيلة على المجتمع الإسلامي الوافدة من وراء البحر.

وعن آثار دعوة جمال الدين يقول بن نبي: " وكان من آثار هذه الكلمة أن بعثت الحركة في كل مكان، وكشفت عن الشعوب الإسلامية غطائها، ودفعتها إلى نبذ ما كانت عليه من أوضاع ومناظر، فأنكرت من أمرها ما كانت تستحسن، واتخذت مظاهر جديدة لا تتلاءم حتى مع ثيابها التي كانت تلبسها، فنبذت النرجلية والطربوش والحرز والزرده، ولقد بلغ تأثير تلك القوة الفاعلة الجزائر فأخذت منها نصيب"<sup>1</sup>، كلمة جمال الدين الأفغاني بعثت الحركة في الجسم الإسلامي، مما جعله يثور عن الأوضاع السائدة ويرفع الغطاء عنها، ولم يكن ذلك في المشرق فقط حيث كان نشاطه بل بلغ ذلك الجزائر التي نالت من تلك الدولة، وكانت من آثار هذه النهضة واضح من نبذ كل دخيل على المجتمع حتى في بعض المظاهر التي كانت انتشرت في العالم الإسلامي وفي أبسط صورها المتمثل في اللباس، والزرادات التي كان يقيمها أتباع الطريقة.

هذه القوة الفاعلة لجمال الدين الأفغاني ترجع لكونه رجل الفطرة، أي أنه نقي السريرة، يضاف إلى هذا أنه رجل علم وثقافة، وهذا الذي جعله محط تتابع أنظار الشباب لأنهم يرون فيه ضمير الأمة " لقد كان جمال الدين - إلى أنه رجل فطرة - رجلا ذا ثقافة فريدة عُدَّت فاتحة عهد في العالم الإسلامي الحديث، ولعل هذه الثقافة هي التي دفعت الشبيبة المثقفة على إثره في إسطنبول وفي القاهرة وفي طهران، وهي الشبيبة التي سيكون من بينها قادة حركة الإصلاح"<sup>2</sup>، لقد شهد مالك بن نبي لجمال الدين بالصدق في محاولة النهوض بالأمة وزرع الأمل في مجتمع ركن للسكينة، وايقاظ الضمائر التي ماتت في مجتمع ما بعد الموحدين، هذا المجتمع الذي فقد ديناميكيته الحضارية وأصابه التيه عندما فقد المفاعل الحضاري له وهو الدين.

لقد كان نشاط جمال الدين الأفغاني حسب مالك بن نبي منقسم على جبهتين جبهة اجتماعية، وجبهة فكرية، وذلك من أجل تحقيق هدفين: " كان هدفه الأول أن يقوض دعائم

<sup>1</sup> بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 22.

<sup>2</sup> مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي ج 01، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط 12، 2019، ص 49.

الحكم الموجودة آنذاك، كي يعيد بناء التنظيم السياسي في العالم الإسلامي على أساس (الأخوة الإسلامية) التي تمزقت في (صفيين)، وبددتها النظم الاستعمارية نهائياً، وكان هدفه الثاني: أن يكافح (المذهب الطبيعي) أو (المذهب المادي) الذي يعتقد أنه كامن في تعاليم (أحمد خان) التي كان ينشرها في جامعة (علي كوة)، وأنه راجع إلى التأثير الخفي لأفكار الغرب<sup>1</sup>.

كان الهدف الأول إذاً هو إعادة بناء التنظيم السياسي في العالم الإسلامي الذي يكون عبر إعادة رابطة الأخوة الإسلامية، هذه الرابطة التي تمزقت في أحداث صفيين وما جاء من بعضها من أحداث إلى وصول الاستعمار للبلاد الإسلامية الذي زاد في هذا التمزيق، ولكن مالك بن نبي يرى بأن جمال الدين الأفغاني لم يحسن تشخيص الدافع إلى تلك الثورة، فالثورة الإسلامية لا بد أن تقوم على المؤاخاة لا على الأخوة.

وعندما يتكلم مالك بن نبي عن المؤاخاة فهو يقصد بذلك إعادة تمكين شبكة العلاقات الاجتماعية في العالم الإسلامي عبر توطيد الصلات بين مجتمع غارقاً في خمود شامل، يفتقد للفعالية اللازمة للحركة، وهي فعالية شبكة العلاقات الاجتماعية التي تنسج خيوطها من روح الإسلام على أساس المؤاخاة بين جموع المسلمين ولهذا فهو يرى أنه: "ما كان لثورة إسلامية أن تكون ذات أثر خلاق، إلا إذا قامت على أساس المؤاخاة بين المسلمين، لا على أساس الأخوة الإسلامية، وفرق بين المؤاخاة وبين الأخوة، فإن الأولى تقوم على فعل ديناميكي، بينما الثانية عنوان على معنى مجرد، أو شعور متحجر في نطاق الأدبيات، والمؤاخاة الفعلية هي الأساس التي قام عليه المجتمع الإسلامي.. مجتمع المهاجرين والأنصار"<sup>2</sup>.

أما الجبهة الثانية التي كان يناضل عليها جمال الدين الأفغاني فقد كانت جبهة الأفكار، لأن ضعف المسلمين جعلهم بالإضافة إلى تعرض أوطانهم للاستعمار عرضة لغزو فكري إما عن طريق المستشرقين أو عن طريق المنبهرين بالفكر الغربي من أبناء الإسلام الذين تحولوا إلى مناصرين للفكر الغربي ودعاته، وكان الأفغاني يرى في أحمد خان بجامعة علي كوة أحد هؤلاء الدعاة للفكر المادي أو

<sup>1</sup> مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي ج 01، مرجع سابق، ص 51.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 52.

الدهري كما سماه هو في كتابه "الرد على الدهريين"، لكن مالك بن نبي يرى أن جمال الدين كان مخطئاً في أحمد خان لأنه كان عاملاً قوياً في نهضة الإسلام في الهند.

كما أن مالك يرى بأن جمال الدين الأفغاني قصد من وراء نشاطه تنظيم جموع الشعب وإصلاح القوانين، ولم يقصد إصلاح الإنسان المصاغ في عصر ما بعد الموحدين، والذي من خلال هذه الصياغة أصبح إنسان حامل يفتقد للفعالية الحضارية والديناميكية الاجتماعية، ولهذا فهو يرى بأن "جمال الدين باعث الحركة الإصلاحية ورائدها، ومازال بطلها الأسطوري في العصري الحديث\* فإنه لم يكن مصححاً بمعنى الكلمة"<sup>1</sup>، لأن مالك بن نبي يرى أن الإصلاح لا بد أن يمس الإنسان والحياة الاجتماعية له، وهي نفس الرؤية عند محمد عبده الذي كان يرى بأن الإصلاح لا بُد أن يكون من الفرد لأنه اللبنة الأولى في بناء المجتمع، حيث أدرك أن التغيير يبدأ من الإنسان.

- جهود محمد عبده الإصلاحية:

أراد محمد عبده أن تكون جهوده ارتباطاً بالمعرفة، ولهذا اتجه نزعة علمية وكان يدعو إلى "ضرورة التعامل مع الحضارة الغربية وعلومها المختلفة، على اعتبار أن الدين لا يتعارض مع العلم"<sup>2</sup>، ولهذا كانت جهوده الإصلاحية منكبّة حول:

- الإصلاح الديني من خلال الدعوة إلى الرجوع إلى الإسلام الصحيح والعمل على تحرير الفكر من التقليد ومقاومة البدع والخرافات، وموازنة ذلك مع المدنية الحديثة وروح العصر، مع الدعوة إلى السعي لأن هذا ما جاءت به الشريعة الإسلامية.

- إصلاح اللغة والأدب: من خلال الدعوة إلى إصلاح أساليب اللغة العربية وتحريرها من التصنع الذي يزيدها غموض وتعقيد.

\* نشر مالك بن نبي على هامش الصفحة ما كتبه الكاتب الجزائري علي الهمامي عن السيد جمال الدين الأفغاني في كتاب له عن سيرته فقال: لسوف تذكر البلاد

الإسلامية جميعاً اسم جمال الدين كما تذكر بلاد اسم (هوميروس) بين الخالدين من أبنائها" أنظر وجهة العالم الإسلامي ج 01 ص 52

<sup>1</sup> مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي ج 01، مرجع سابق، ص 52.

<sup>2</sup> بوصفصاف، الفكر العربي الحديث والمعاصر - بن باديس نموذجاً - ج 01، دار مداد يونيفارسيطي براس، قسنطينة، 2009، ص 295.

- الإصلاح السياسي: من خلال الوقوف في وجه الداعين الى فصل الدين عن الدولة والتأكيد على أن أساس الحكم الطاعة والعدل، الطاعة للمحكومين والعدل بينهم من طرف الحاكم. يرى مالك بن نبي في شخص مُجّد عبده المصلح لأنه على عكس أستاذه أدرك أن المأساة الإسلامية كما يسميها ليست سياسية، بقدر ماهي مشكلة اجتماعية" فبعد أن أدرك حقيقة المأساة الإسلامية وجد من الضروري أن ينظر إليها بوصفها مشكلة اجتماعية، في حين أن أستاذه جمال الدين ذا العقل القبلي العفوي قد تناولها من الزاوية السياسية<sup>1</sup>، ولهذا كان يرجع الفضل في نشوء الحركة الإصلاحية يعود إلى مُجّد عبده، لإدراكه حقيقة المأساة الإسلامية.

كان مُجّد عبده يركز جهوده الإصلاحية على تغيير الفرد من خلال تغيير نفسيته، فقد كان مدرك لعمق الأزمة

التي مست الانسان المسلم وأفقده الفعالية الاجتماعية التي تمكنه من النهوض الحضاري ومواكبة روح العصر التطورية، وتغيير نفسية الفرد تكون حسبه عبر الإصلاح العقائدي الذي أفسدته الطريقة وبعض الخرافات التي أصبح الناس يؤمنون بها فتؤثر على نفسياتهم وسلوكهم، وتفقدهم الديناميكية اللازمة للحياة الاجتماعية، وغيّرت النظرة للدين الإسلامي بأنه دين شعوذة ومحارب للعلم والتطور.

وهذا ما كان يعييه مالك بن نبي مُجّد عبده، حيث كان يرى أنه أخطأ في كيفية تغيير نفسية الانسان، عندما ركز جهده على اصلاح علم الكلام الذي يرى فيه بن نبي أنه جرد العقيدة من فاعليتها الاجتماعية وديناميكتها التغييرية، وكان من المفروض يعتمد في دراسة العقيدة على منهج السلف، المنهج الذي أعطى للمسلمين طاقة ذات ديناميكية فعالة، وهو المنهج الذي أنتج جيل أبوبكر وعمر ومن بعدهم جيل صلاح الدين الأيوبي الذي حرر القدس " فلقد ظن أن من الضروري إصلاح علم الكلام بوضع فلسفة جديدة حتى يمكن تغيير النفس، بيد أن كلمة علم الكلام ستصبح قدرا مسلطا على حركة الإصلاح، القدر الذي حاد بها جزئيا عن الطريق، حين

<sup>1</sup> ب مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي ج 01، مرجع سابق، ص 53.

حط من قيمة بعض مبادئها الرئيسية كمبادئ السلقيّة، أي العودة إلى الفكرة الأصيلة في الإسلام فكرة السلف"<sup>1</sup>.

وعندما يتم الحديث عن تغيير النفس فالمقصود بما قدرتها على تجاوز المألوف من الحياة، وهذا لا يستطيع أن يصنعه "علم الكلام" لأنه يركز على الجدل الكلامي، وليس هذا ما يريده مسلم ما بعد الموحدين، فهو ليس يبحث عن وجود الله بقدر ما يشعر بهذا الوجود، لأنه أصلاً مؤمن بوجوده، ولكن هو يبحث عن وجوده هو بين الأمم والحضارات، يبحث عن وجوده الحضاري الذي أفقده "والمسلم حتى مسلم ما بعد الموحدين، لم يتخل مطلقاً عن عقيدته، فلقد ظل مؤمناً، وبعبارة أدق ظل مؤمناً متديناً، ولكن عقيدته تجردت من فعاليتها، لأنّها فقدت إشعاعها الاجتماعي فأصبحت جذبيّة فرديّة، وصار الايمان إيمان فرد متحلل من صلته بوسطه الاجتماعي"<sup>2</sup>، مسلم ما بعد الموحدين مؤمن ولم يفقد إيمانه ولكن إيمانه هو من تجرد من فاعليته، لأنه أصبح إيمان الفرد فاقد للإشعاع الاجتماعي، ولهذا مالك بن نبي يرى أن الإصلاح لا بد أن يكون عبر ارجاع علاقة الفرد بالله قوية، من خلال استشعار وجوده في نفسه هذا من جهة ومن جهة أخرى ارجاع تأثير الايمان في الصلات والعلاقات الاجتماعية.

- جهود عبد الحميد بن باديس الاصلاحية وجمعية العلماء المسلمين:

بعد جولة قادته الى بلاد الحجاز والمشرق العربي التقى خلالها بمجموعة من العلماء العاملين في حقلتي الدعوة والإصلاح، أطلع خلالها على الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية للعالم العربي وعلى الجهود المبذولة في مجال الإصلاح، عاد إلى الوطن ليؤسس رفقة ثلة من العلماء الخبيرين الجزائريين جمعية العلماء المسلمين، وقد تركزت جهوده الاصلاحية في:

- الجهود التربوية والتعليمية: حرص بن باديس على أن تكون جهودها الاصلاحية تركز على النشاط التربوي والتعليمي وذلك منذ تأسيس أول مدرسة له سنة 1930 وهي "مدرسة التربية

<sup>1</sup> مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي ج 01، مرجع سابق، ص 52.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 54.

والتعليم" التي كانت النواة لمشروعه التربوي، ومن بعد مع زملائه في جمعية العلماء المسلمين حيث تم الوصول إلى 150 مدرسة على مستوى الوطن.<sup>1</sup>

- الإصلاح الديني: حيث لاحظ أن الطريقة ساهمت في نشر الخرافات والبدع بين الأوساط الشعبية ولهذا ركز على اصلاح عقائد الناس من خلال حلقات تفسير القرآن.

- النشاط الصحافي: كان ابن باديس يُدركُ منذ البداية أن جهوده لن تكفل بالنجاح إلا إذا مست كل فئات الجزائري برُمَّته، لهذا أنشأ في سنة 1925 جريدة المنتقد، ومن بعدها جريدة الشهاب، ومن أصدر رفقة أعضاء الجمعية أربع جرائد السنة والصراف والشريعة والبصائر التي كانت ومازالت إلى يومنا هذا لسان حال جمعية العلماء المسلمين.

لقد شهدت حياة مالك بن نبي ظهور جمعية علماء المسلمين الجزائريين ونشاط عبد الحميد بن باديس، حيث شارك في نشاطات نوادي التهذيب التي أسستها الجمعية في فرنسا. كما نشر عدة مقالات في جريدة «الشباب المسلم» وصحيفة «البصائر» التابعتين لهذه الجمعية، وكان من المعجبين والمخلصين لها ولنشاطها الإصلاحية إلى آخر حياته، ولكن لم يمنعه من نقد بعض خياراتها السياسية ومواقف بعض رجالها وقادتها المعروفين.

كان مالك بن نبي يشيد بعمل الجمعية ورئيسها عبد الحميد بن باديس ويعتبرها امتداد للحركة الإصلاحية الوهابية، ويعترف لها بأنها استطعت أن تُخمد نار الزردة التي أشعلها الدراويش بمساعدة المحتل، وتعيد روح الإسلام عند الناس "وبالفعل لقد خمدت نيران الزردة (الفتنة)، وزالت حمى الدراويش، وتخلصت منها الجماهير بعد أن ظلت طول خمسة قرون ترقص على دقات البنادير، وتبتلع العقارب والمسامير مع الخرافات والأوهام... وهكذا أتيح للإصلاح أن يُمسك مقاليد النهضة الجزائرية، وأمكنه أن يبعثها خلقا آخر بالروح الإسلامية التي تخلصت من كابوس الأوثان"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> عبد الكريم بوصفصاف و آخرون، معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع والعشرين ج، 01، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، 2002، ص 23.

<sup>2</sup> بمالك بن نبي، شروط النهضة، ص32.

هذه الشهادة كانت من مالك بن نبي لجهود جمعية علماء المسلمين الجزائريين وتعتبر اعترافاً منه على الدور الإيجابي الذي لعبته في تحرير الدين من الخرافات التي شوّهته، وجعلت الجماهير تتبع الدراويش في طرقهم وتقتنع بخرافاتهم التي تعمل تعطيل العقل، كما بن نبي كذلك بالدور الذي لعبه رئيسها ابن باديس ويصفه بأنه: "الأرستقراطي البربري، هذا القسنطيني المتمدن كان لديه أحسن المعاملة مع الناس وكان لديه حس راق في الإخلاص للوطن. وفوق كل هذا كان مؤمناً ورعاً. ومن دون شك فإن هذه السمة هي الأساسية لدراسة دعوة تبقى الآثار القوية للإصلاح الجزائري"<sup>1</sup>.

ولكن بالرغم من هذا الاعتراف لمالك لجهود الشيخ عبد الحميد بن باديس وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في عملية التي قامت به في الجزائر، إلا أنه كانت له الشجاعة أن يقدم لها الانتقاد عندما رأى أنها أخطأت عندما شاركت في المؤتمر السياسي بفرنسا سنة 1936، وكان نقده عنيفاً، حيث اعتبر تلك المشاركة نتيجة عقدة نقص يعاني منها شيوخ الجمعية مما جعلهم يشاركون الوفد الجزائري، وكأن الحركة الإصلاحية أدت ما عليها " لقد كان ممكناً، لو لم يشعر العلماء المصلحون - بكل أسف - بمركب النقص إزاء قادة السياسة في ذلك العهد (ويبدو لنا على ضوء الحوادث الأخيرة، بكل أسف، أن قيادة جمعية العلماء في الجزائر، لا زالت مصابة بهذا النقص الذي يسلبها حق القيام بواجبها أمام الانحرافات السياسية التي تفضل أن تسير معها عوض أن تقومها)\*، فمالؤوهم وسايروهم، ظنا منهم أنهم سوف يذودون عنهم نواب الحكومة، ولقد كان ذلك ممكناً لو لم يكونوا على استعداد للعودة إلى فكرة الزوايا ذات الطابع السياسي، والأصنام المزوقة بأسماء جديدة"<sup>2</sup>.

كان رأي بن نبي في النشاط الإصلاحي للجمعية ومشاركتها في المؤتمر بفرنسا مبني على أساس أن الجمعية لم تراعي المنظور السنني للكون وتعجلت الأمر، ولم يكون رأي من أجل إنقاص

<sup>1</sup> مولود عويمر، "ابن باديس كما يراه مالك بن نبي"، البصائر، 19 أبريل، 2022، <https://elbassair.dz/19141/>.

\* ما يجب أخافه مالك بن نبي على هامش الصفحة.

<sup>2</sup> بمالك بن نبي، شروط النهضة، ص32.

من قيمة شيوخ الجمعية كما أراد أن يصوره البعض، حيث كان يرى العمل التربوي الذي يعمل على اصلاح النفوس هو الذي يغير الواقع وكان على الشيوخ أن يتعدوا عن وحل السياسة.

الجهود الإصلاحية لحركة الاخوان وحسن البنا:

ولقد وضع حسن البنا أهداف حركته التي كان يعتبرها ذات توجه عالمي وربانيّة المبدأ وأهم الأهداف كما جاءت في مجموعة رسائل حسن البنا هي:

- إعداد الرجل المسلم في تفكيره وعقيدته، وفي خلقه وعاطفته، وفي عمله وتصرفه.
- إعداد البيت المسلم في تفكيره وعقيدته.
- إعداد الشعب المسلم، وذلك بنشر الخير ومحاربة الرذائل.
- تحرير الوطن بتخليصه من الاحتلال.
- إصلاح الحكومة حتى تكون إسلاميّة بحق.
- إعادة الكيان الدولي للأمة الإسلامية، بتحرير أوطانها وإحياء مجدها.
- استاذية العالم بنشر دعوة الإسلام في ربوعه، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.<sup>1</sup>

لهذا نجد مالك بن نبي عندما أراد الحديث عن حركة الاخوان المسلمين وصفها بأنها جماعة تلتمس فيها الضمير المسلم، وهي تمتلك زعيما لم يهتم بالفلسفة وعلم الكلام بقدر ما كان اهتمامه بإعادة القرآن الى حياة الناس، فيبث فيهم الفاعليّة والايجابيّة التي تحركهم الى صناعة التاريخ، واستشعرت الحركة دور المؤاخاة في المجتمع المسلم الأول، فكان لها ميثاق حاولت التأليف به بين أعضاء المجتمع، تأليفا يحمل معنى المشاركة في الأفكار والأموال.<sup>2</sup>

نجده في حديثه عن علاقة حسن البنا بالقرآن يرينا مالك بن نبي حسه السوسولوجي، عندما يفرق بين التعامل مع القرآن معاملة نظريّة تعتمد على أمور معرفية ضمن مجموعة من العلوم: اللغة، علم الكلام، الفلسفة، الفقه والتاريخ وهذا التعامل يختص به أصحاب التفسير من شيوخ الأزهر،

<sup>1</sup> يوسف بوراس، الفكر السياسي عند مالك بن نبي (الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، 2013)، 176.

<sup>2</sup> بن نبي، وجهة العالم الإسلامي ج01، مرجع سابق، ص156.

فهؤلاء يمكنهم حسب مالك بن نبي أن يظهروا وجه الحق، ولكن هذا الحق معرفي مرتبط بالمجال الفكري لا علاقة له بالواقع، لأنه يعطي أفكار مجردة لا يمكنها أن تُحدث التغيير الاجتماعي بقدر ما تعطينا مجال معرفي فكري، وبين التعامل معه في الواقع الاجتماعي.

إن ما أدركه حسن البنا هو كيف نجعل الآية تجدد النفس وتعطيها ديناميكية ذات فعالية، من جعله تركيباً اجتماعياً "والحق أن هذا التركيب هو الذي ينشئ العلاقة العضوية بين المبدأ الاجتماعي وموضوعه، وفي هذا المجال يمكننا أن نوازن تعاليم المدرسة الإصلاحية، التقليدية مع تعاليم تلك الحركة الجديدة، فتعاليم المدرسة كانت تنادي مثلاً بالتضامن الإسلامي القائم على فكرة الأخوة، وليست هذه سوى عاطفة أحالتها الحركة الجديدة إلى مؤاخاة، أي عمل أساسي يصبح الناس به إخوة"<sup>1</sup>، فالدعوة إلى المؤاخاة التي هي على وزن مفعلة ويُفصّدُ بها المبالغة في التفاعل والمشاركة، وبالتالي فهو يتحدث عن العلاقة بين اثنين أو أكثر، العلاقات الاجتماعية الفاعلة التي تنتج الروابط الاجتماعية القويّة.

مالك بن نبي كان يرى أن أساس النهوض الحضاري والإصلاحي الاجتماعي هو تتمين العلاقات الاجتماعية عبر تتمين هذه الروابط الاجتماعية وتفعيلها ميدانياً، ولهذا تحدث عن المؤاخاة التي هي فعل وليس فكرة، فالأخوة فكرة يتم تفعيلها عبر المؤاخاة، وهنا تبدو جليّة أفكار مالك بن نبي السوسولوجية.

## 2-2- المشروع التغريبي اللاديني:

في الوقت الذي كانت جهود أصحاب المشروع الإسلامي تنتج نحو دعوة الناس للعودة للدين الصحيح ورفض الأفكار الوافدة من الغرب، كانت جهود أخرى معاكسة تدعو للفكري الغربي باعتباره مشروع حداثي وترفض الأفكار الدينية ومن بين هؤلاء يمكن ذكر:

- طه حسين:

كان طه حسين لا يأبه بالتعليم الأزهري وكان يحتقره ويعتبره قائم على النقل والخرافة وهذا أشار إليه عبد العزيز شرف في كتابه "ولم يلبث طه حسين بعد اتصاله بهذا المفتش - المقصود به

<sup>1</sup> مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي ج01، مرجع سابق، ص 158.

مفتش التعليم الذي وصل الى قريته -، ووصله إلى الأزهر أن ينهي إلينا رفضه التام للعلم التقليدي في القرية: القائم على النقل والحرافة ومجافاة العقل والذوق وقد أقسم لي بعد ذلك أنه احتقر العلم منذ ذلك<sup>1</sup>، كان هذا قبل أن يلتحق بالجامعة المصرية وفي أيامه الأولى في الأزهر، وهذا ما يدل إنه سخطه ليس ناتج عن تأثير الفكر الغربي بل هو نتيجة سخطه عن واقعه الاجتماعي، وربما نتيجة للإصابة بفقدان البصر، والفقر المدقع الذي كان يعيشه.

عندما فتحت الجامعة المصرية أبوابها ألتحق بها طه حسين، لأنه كان يرى في التعليم الأزهري قديم ولا طائل من ورائه، فهو حسبه يحجر على العقول، ولا يساعد على البحث العلمي والابتكار على عكس الجامعة التي كان يرى فيها فرصة لتعلم العلم، وهناك ناقش رسالة الدكتوراه في 15ماي 1914، التي أثارت زوبعة في مصر وكانوا يرون فيها الالحاد والكفر، وفي نفس السنة اختارته الجامعة للسفر إلى أوروبا في بعثة علمية، فغادر القاهرة في نوفمبر، وهناك تعلم اللغة الفرنسية، وألتحق في سنة 1916 بكلية الآداب في جامعة باريس، حيث بدأ يحضر دروس في التاريخ اليوناني، والتاريخ الروماني والتاريخ الحديث، كما كان يتابع دروسا في علم الاجتماع التي يقدمها إميل دوركايم الذي كان يشرف عليه في اعداد رسالته الموسومة ب: "الفلسفة الاجتماعية عند ابن خلدون" الذي توفي قبل أن يُتمها وأكملها مع سُلستان بوجليه<sup>2</sup>.

تركزت كتابات طه حسين في ثلاثة مجالات واسعة:

- الأدب العربي واللغة.

- تاريخ الإسلام والسيره.

- الفكر الإسلام.

كانت هذه المجالات الثلاثة التي أثار فيها طه حسين " سموم الاستشراق وأفسد مفاهيم الأصالة وأحيا روح الشك الفلسفي، وهدم جميع القيم الأخلاقية والاجتماعية التي أقامها الفكر الإسلامي، وقد أطلق لنفسه سبيل الاندفاع لتشويه وجه الفكر الإسلامي بإثارة الشبهات وإذاعة

<sup>1</sup>شرف، طه حسين وزوال المجتمع التقليدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1988، 19

<sup>2</sup>المرجع نفسه، ص 27

أدب الحجان والفساق والجنس، وتزييف اللغة الفصحى، وإعلاء الفكر اليوناني القديم والغربي الحديث في جوانبه المادية والوثنيّة والإباحيّة وترجم القصص الفرنسي الداعر"<sup>1</sup>.

لقد انبهر طه حسين بالفكر الأوربي وحضارته لهذا هاجم كل شيء له علاقة الحضارة الاسلاميّة وأسس لدعوة الاتباع والتقليد لأوربا ولهذا كان يقول: "فإذا كنا نريد هذا الاستقلال العقلي والنفسي والذي لا يكون إلا بالاستقلال العلمي والأدبي والفني، فنحن نريد وسائله بالطبع، ووسائله: أن نتعلم كما يتعلم الأوربي، ولنحكم كما يحكم الأوربي ثم لنعمل كما يعمل الأوربي، ونصرف الحياة كما يصرفها"<sup>2</sup>، كانت هذه دعوة صريحة لتقليد المجتمع الغربي واستيراد حضارتهم، ولم يكتف بذلك بل أخذ في التقليل من الفكر الإسلامي ومهاجمته لهذا قال المستشرق ماسينيون عنه "إنني حين أقرأ بحثاً لطه حسين أقول: هذه بضاعتنا رُذّت إلينا"<sup>3</sup>.

في كتابه الأول الظاهرة القرآنية جاء موقف مالك بن نبي من طه حسين، خاصة بعدما كتب كتابه "الشعر الجاهلي" حيث اعتبره من الذين يريدون أن يجعلوا النهضة الإسلامية تتلقى أفكارها من الحضارة والثقافة الأوربيين قائلًا: "ينبغي أن ندرك أن التطور الثقافي في العالم الإسلامي يمر بمرحلة خطيرة، إذ تتلقى النهضة الإسلامية أفكارها واتجاهاتها الفنية عن الثقافة الغربية، وخاصة عن طريق مصر، هذه الأفكار الفنيّة لا تقتصر على أشياء الحياة الفكرية الجديدة التي يتعودها الشباب المسلم شيئاً فشيئاً، بل تمس أيضاً وبطريقة غامضة، ما يتصل بالفكر وما يتصل بالنفس بالحياة الروحية"<sup>4</sup>.

فمالك بن نبي يرى في أن طه حسين والكثير من أمثاله هم صنيعا المستشرقين الذين يحاولون غرس أفكار غربيّة في روح الثقافة الاسلاميّة، وليس من باب روح العلم كما يدعون ولك إرادتهم متجهة الى الحياة الروحية للشباب المسلم، فمن خلال كتابه "الشعر الجاهلي" الذي امتداد لما كتبه

<sup>1</sup>أنور الجندي، محاكمة فكر طه حسين - مراجعة كاملة لمؤلفات وكتابات طه حسين خلال خمسين عاما في مواجهة ردود أكثر من أربعين علما، دار الاعتصام، د.ت، ص 10.

<sup>2</sup>عُجْد مهدي الاستامبولي، طه حسين في ميزان العلماء والأدباء، المكتب الإسلامي، بيروت، 1983، ص 40.

<sup>3</sup>المرجع نفسه، ص 54.

<sup>4</sup>مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط4، 2000، ص 54.

المستشرق الإنجليزي مرجليوث عن الشعر الجاهلي، الذي نشر مقال عن الشعر الجاهلي في سنة 1925، والذي يحاول من خلاله وضع فرضية أن الشعر الجاهلي ليس حقيقة.

وعندما يتحدث مالك بن نبي عن الاستشراق فهولا يقصده بالمعنى الذي يحاول الكثير تقديمه لنا على أساس أنه الدراسة الأكاديمية للشرق بل يقصد ما قاله إدوارد سعيد في مقدمة كتابه "الاستشراق" الاستشراق أسلوباً غريباً للهيمنة على الشرق، وإعادة بنائه والتسلط عليه<sup>1</sup>، أي أنه نشاط فكري الهدف معرفة الشرق - المقصود بالشرق الإسلام - من أجل السيطرة عليه، فهو ليس إلا أداة في يد الغرب من أجل بسط النفوذ، ولهذا كان مالك يرى في طه حسين وأمثاله مجرد صنائع غربية لفرض ثقافة المستعمر ومنهجه في التعامل مع الأشياء محاولة خلق نموذج ثقافي جديد من خلال تشويه كل ما له صلة بالشرق، وتلميع كل ماله صلة بالغرب.

لقد كان المستشرقون يؤمنون إيمان جازماً أن أفراد المجتمع من يصنعون تاريخه، ولهذا قاموا بإيجاد عناصر محلية تصنع تاريخ الشرق بفكر غربي" بعض هؤلاء المشاركة المتسلمين للمستشرقين يخفون عملهم التخريبي ضد الإسلام، بإيعاز واضح من أوساط استعمارية، تحت رداءة تقديمية جوفاء تحاول سلب الإسلام من كل قيمة حضارية، بل تنسب له حالة التخلف الراهنة في العالم الإسلامي<sup>2</sup>، لهذا كان يرى مالك بن نبي في تلاميذ المستشرقين خاصة في المشرق يقومون بعمل تخريبي للفكر تحت أسماء مزخرفة، مثل التقدم والحضارة والى آخرها من المبررات الواهية.

<sup>1</sup> سعيد إدوارد، الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2008، ص 46.

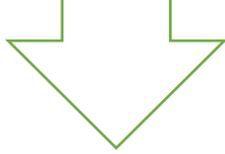
<sup>2</sup> مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1969، ص 23.

### الخلاصة:

في هذا الفصل تم التطرق إلى أهم محطات حياة مالك بن نبي، الدراسية والمهنيّة، والعوامل التي صقلت فكره؛ من خلال التواصل مع المفكرين والرافضين للاستعمار من المسلمين وغير المسلمين، كما تم التطرق لأسفاره خارج البلاد وكيف كان دور في بناء فكره

هذا الواقع الذي وجدته مالك بن نبي، مجتمع يعاني من الظلم والقهر، والتمزق الداخلي في روابطه الاجتماعيّة، ومحاولات جادة لمسحه ثقافيًا وابعاده عن دينه ولغته، مع محاولة جعله فرنسي اللسان والثقافة، ومسيحي الديانة؛ وحركة اصلاحية كان يرى فيها أنها تفتقد لبوصلة عمل؛ - سواء الاسلامية منها المتمثلة في حركة مُجدد عبد الوهاب أو جمال الدين الأفغاني وتلميذه مُجدد عبده، وحركة الاخوان والبنا وحركة جمعية العلماء المسلمين وعبد الحميد بن باديس أو اللادينية منها مثل نشاط طه حسين-، ممّا جعلها تختلف في تشخيص المرض الذي مّس المجتمع، وبالتالي ابتعدت عن الوصفة العلاجيّة المناسبة لعلاج المرض الذي ينخر جسد المجتمع

# الفصل الثالث



الدلالات القصصية  
للتربية الاجتماعية في  
فكر مالك بن نبي



### تمهيد:

إن عملية البحث العلمي تحتاج إلى منهج يرشد الباحث ويوجهه أثناء عملية البحث والتقصي التي يقوم بها، كما يحتاج أيضا إلى مقاربات نظرية تزوده بترسانة من المفاهيم التي تساعد على ضبط موضوع الدراسة، وتعطيه القدرة على التحليل والتفسير للظاهرة قيد الدراسة.

وفي هذا الفصل سيتم تناول مجموعة من المقاربات النظرية التي تفسر موضوع التنشئة الاجتماعية والمواطنة، ولم يتم الاكتفاء بالحقل السوسيولوجي، بل تعدى ذلك إلى مجموعة أخرى من الحقول المعرفية كالفلسفة وعلم النفس والقانون لإيمان الباحث بالتكامل المعرفي بين هذه الحقول.

ثم الدلالات القصدية للتربية الاجتماعية في فكر مالك بن نبي، وكيف فسرها واعطائها بعدا عمليا باعتبار التربية عنده نظرية في السلوك وليس في المعرفة، لأنها تعمل على تثقيف الفرد وتوجيه المجتمع نحو حركة التاريخ والنهوض الحضاري.

أولاً: – النظريات المفسرة للتربية والتنشئة الاجتماعية:

تعتبر تنشئة الفرد وتربيته عملية مركبة تتحكم فيها عوامل نفسية واجتماعية وحتى فيزيولوجية، وذلك لتمكين الفرد من بناء شخصيته الذاتية والاجتماعية والمهاراتية، وتحضيره لعملية الاندماج الاجتماعي كعضو في المجتمع، يمتلك من القيم والمعايير والمهارات ما يجعله يصبح جزء من البناء الاجتماعي يؤدي الدور المنوط به، والتكامل مع الأدوار الأخرى المتوقعة، ولهذا اختلفت النظريات التي فسرت عمليات التربية والتنشئة الاجتماعية:

1- النظريات السوسولوجية:

اهتم أصحاب الفكر السوسولوجي منذ النشأة الأولى لعلم الاجتماع بعملية التربية والتنشئة الاجتماعية، باعتبارهما عمليتان اجتماعيتان تعبيرا عن جزء من التفاعلات الاجتماعية، ومنذ ذلك الوقت والاهتمام بها في زيادة، مما ترك زخما من التراث النظري في هذا المجال.

حيث يرى مصطفى محسن في كتابه "في المسألة التربوية – نحو منظور سوسولوجي منفتح" أنه قبل ظهور الفكر السوسولوجي كان ينظر لمفهوم التربية والتنشئة الاجتماعية من طرف أصحاب الفكر التربوي الكلاسيكي أنهما ذاتا طابع سيكولوجي: " لقد درج الرُواد الأوائل للفكر التربوي الكلاسيكي، في الغالب، على حصر التربية في بعدها السيكولوجي الفردي، وذلك باعتبارها وسيلة لإيصال الأفراد: (الأجيال الناشئة خاصة) إلى أقصى ما يمكن من درجات الاكتمال الروحي والبدني والمهاري والمعرفي وفق الشروط الثقافية والاقتصادية والاجتماعية التي ينتمون إليها"<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> مصطفى محسن، في المسألة التربوية – نحو منظور سوسولوجي منفتح –، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 2، 2002، ص 38.

لكن مع بداية ظهور الفكر السوسيولوجي بدأ ينظر الى العملية التربوية في بعدها الاجتماعي، وظهرت عدة اتجاهات تفسرها على أساس بعدها السوسيولوجي، قد قسمها مصطفى محسن إلى ثلاثة اتجاهات هي:

### 1-1- الاتجاه الإصلاحي الانساني:

يتزعم هذا الاتجاه السوسيولوجي الفرنسي إميل دوركايم الذي تحدث عن التربية والتنشئة الاجتماعية باعتبارها عمليتين ذات بعد اجتماعي، ولهذا عمل على جعل سوسيولوجيا التربية تخصص علمي مستقل من خلال الأبحاث التي قام بها والتراث السوسيو تربوي الذي تركه، كتاب التربية الأخلاقية والتربية والمجتمع، الذي وضع فيهما كيفية انتقال القيم والمعايير الاجتماعية بين الأجيال، وكيف يؤثر المجتمع في الفرد.

ينتمي دوركايم الى علم الاجتماع البنائي "وهو العلم الذي يختص بصفة أساسية بدراسة كيفية تأثير المجتمع في السلوك الفردي والجماعي بدلا من كيفية تأسيس المجتمع بواسطة الأفراد والجماعات، فالعلم الاجتماعي البنائي يهتم على سبيل المثال بكيفية تأثير طبقة الفرد وعائلته (أي الوضع الاجتماعي - البنائي للفرد) على احتمالات نجاحه في المدرسة أو حصوله على وظيفة جيدة"<sup>1</sup>.

ركز دوركايم على الرابط الاجتماعي الذي يربط بين أفراد المجتمع، والنتائج عن التفاعلات بينهم، كما عمل على البحث عن العوامل التي يمكن تقويته، وركز على التضامن الاجتماعي بين أعضاء البناء الاجتماعي كنسق متكامل للحفاظ على استمرارية النظام الاجتماعي السائد، وباعتباره هو المصدر الأساسي للأخلاق، وسعى لتأسيس نظام تربوي انساني إصلاحي يتجاوز الحدود الزمنية والمكانية، يركز على الأخلاق الاجتماعية، التي يتفق المجتمع عليها، من أجل أن تحافظ هذه القيم والمعايير الأخلاقية على

<sup>1</sup> حسام الدين محمود فياض، مؤسس علم الحديث إميل دوركايم - المنهج التفسيري في دراسة الظواهر الاجتماعية كأشياء مكتبة نحو علم اجتماع تنويري، القاهرة، 2018، ص3.

النظام الاجتماعي السائد، هذا التصور "ما يزال سائدا حتى الآن لدى بعض الجهات والمنظمات أو المؤسسات... ذات الطابع الدولي أو الجهوي - الإقليمي... والتي تسعى إلى بلورة تصور إنساني وإصلاحي شمولي يخدم مصالح المجتمعات البشرية عامة"<sup>1</sup>.

### 1-2 الاتجاه البنائي الوظيفي:

يندرج هذا الاتجاه في إطار نظريتين عامتين: البنيوية والوظيفية ونظرا لتقاربهما فقد أصبح الحديث عنهما في القاموس السوسولوجي الرائج غالبا ما يتم بشكل استجماعي يوحد بينهما في تسمية موحدة لها وظيفتها المفهومية والاجرائية المحددة... يرى هذا الاتجاه النظام يتكون من بنية فرعية داخل البنية الاجتماعية الشمولية العامة"<sup>2</sup>.

ينطلق الاتجاه البنائي الوظيفي من افتراض أن المجتمع عبارة عن بناء اجتماعي يتكون من مجموعة من الأنساق المترابطة والمتكاملة وظيفيا، وكل هذه الأنساق ومن ضمنها النسق أو النظام التربوي تخضع لقوانين البناء الاجتماعي الكامل، ولها أدوار ووظائف محددة وموصوفة مسبقا، فأصحاب هذا الاتجاه وعلى رأسهم تالكوت بارسونز يرون أن لكل نسق ملزوماته الوظيفية التي هي:

– التكيف ADAPTATION

– تحقيق الهدف GOAL ATTANMENT

– التكامل INTEGRATION

<sup>1</sup> محسن، في المسألة التربوية - نحو منظور سوسولوجي منفتح -، مرجع سابق، ص 42.  
<sup>2</sup> المرجع نفسه، 42.

- صون الأنماط الكامنة (تدعيم النمط وتصريف التوتر) LATEN PATTERN  
MAINTENANCE<sup>1</sup>

وعملية التنشئة الاجتماعية ماهي في الواقع الأمر سوى اكتساب وتعلم السلوك الاجتماعي، والتكيف مع المجتمع، واستدماج القيم والمعايير، عبر مراحل متباينة في التطور والنمو، من أجل الحفاظ على استقرار الأنساق الاجتماعية وتوازنها، كما أنها عملية لها طابع الاستمرارية مدى الحياة، ولها صلة وثيقة بعملية الضبط الاجتماعي بحيث أن كل منهما يعمل على مقاومة الانحراف والتوترات، ولهذا تعرض بارسونز لمختلف القيم والمهارات المستدججة ودورها في بناء الذات، وتطوير مفهوم الطفل عن نفسه عن طريق علاقاته مع الآخرين (عمليتي التواصل والتفاعل)، واتجاههم نحوه، ويصبح الاندماج والانتماء للجماعات، والاستجابة لمتطلبات النظم، من مقومات العملية<sup>2</sup>، أي أنها عملية تثقيف للفرد حيث تكسبه:

- ثقافة الأسرة التي يتربى يتعرع فيها، ثقافة الجماعة التي تربطه بها روابط اجتماعية.
- ثقافة المجتمع الذي ينتمي إليه التي تبني شخصية الفرد الاجتماعية

### 1-3- الاتجاه الماركسي:

يعود الاتجاه الماركسي كفكر سوسيولوجي في مرجعيته الى كارل ماركس، الذي كانت له مجموعة من الاسهامات الفكرية في المجال الاقتصادي والسوسيولوجي، سيما ما تعلق بالبنى المجتمعية ونواظمها، ومنها

<sup>1</sup>لومان نيكلاس، مدخل إلى نظرية الأنساق، تر: يوسف فهمي حجازي، منشورات الجمل، بغداد، 2010، ص34.  
<sup>2</sup>محمد عبد المعود مرسى، علم الاجتماع عند تالكوت بارسونز بين نظريتي الفعل والنسق الاجتماعي، مكتبة العليقي الحديثة، القصيم 2001، ص162.

النظام التربوي الذي اعتبره من البنى الفوقية التي تعمل على إعادة إنتاج وتشكيل العلاقات والأنماط الاجتماعية – بشكل أو بآخر<sup>1</sup>.

ويندرج تحت هذا الاتجاه أصحاب نظرية إعادة الإنتاج في المجال التربوي، والتي يرى أصحابها وعلى رأسهم الفرنسي بيير بورديو، أن النظام التربوي من الأنظمة التي تعمل على إعادة إنتاج الطبقات الاجتماعية، فهو يرى فيه عبارة عن مجموعة من القوالب الجاهزة، التي تعيد إنتاج العلاقات الاجتماعية، هذه العلاقات التي تنتج الطبقات الاجتماعية، "يعلن كلٌّ من بيير بورديو وجان كلود باسرون في كتابيهما (الورثة les héritiers) و(إعادة الإنتاج reproduction)، أن المدرسة تعمل على إعادة إنتاج العلاقات الاجتماعية الطبقيّة، فهي تعيد إنتاج اللامساواة في التوزيع الرأسمالي الثقافي بين الطبقات الاجتماعيّة"<sup>2</sup>.

يرى بورديو وباسرون أن المدرسة أداة في يد أصحاب النظام الرأسمالي الطبقي من أجل توريث اللامساواة وتكريس النظام الطبقي، ويبدو ذلك جلياً في كتاب "الورثة" الذي تم إنتاجه سنة 1964، حيث يريان المساواة ودمقرطة التعليم التي تتغنى بهما الأنظمة التربوية ماهي في حقيقة الأمر إلا تكريس للطبقية، أما في كتاب إعادة الإنتاج فقد بين كيف المنهاج الخفي والعنف الرمزي المطبق في المؤسسات التربوية، يمارس عملية الاصطفاء الطبقي، حيث تعمل الطبقة المهيمنة على فرض المعايير والرموز الخاصة بها، عن طريق إخفاء والتستر على علاقات القوة التي هي أساس قوتها الاجتماعية.

يرى أصحاب الاتجاه النقدي الحديث أن المدرسة الحالية، هي رأسمالية في روحها، تمارس الوظيفة الاستلابية، حيث أفرغت المدرسة من بعدها الإنساني في نشر القيم الأخلاقية وقيم الخير والجمال، استبدلت ذلك بقيم مادية استهلاكية وبهذا أصبحت "الحضارة الإنسانية الأخلاقية تنهوى وتتساقط

<sup>1</sup> محسن، في المسألة التربوية - نحو منظور سوسولوجي منفتح -، مرجع سابق، ص 42.

<sup>2</sup> علي أسعد وطفة، أصول التربية: إضاءات نقدية معاصرة،: مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت، الكويت، 2011، ص 321.

تحت مطارق عالم مادي متوحش أناني فقد حسه الأخلاقي وانغمس في التيارات الأنانية الاستهلاكية الماحجة، وبدأ يتحول إلى عالم سحافي مفتون بقيم الابتذال التي تتمثل اليوم في أبشع مظاهرها الوحشية المخلة بالأحلاق والقيم كالمثلية الجنسية التي يروج لها بقوة أكثر المؤسسات العالمية فنكا وبطشا<sup>1</sup>.

الحضارة الناتجة عن الرأسمالية المتوحشة التي تخدع في الظاهر بزخارفها المادية، وتسحر الناظرين لها بعين الانبهار، وفي باطنها توجه المجتمعات إلى انحدار أخلاقي، مما جعلها حضارة تدميرية، دمرت الانسان في انسانيته وأخلاقه، انتجت للبشرية ما عبر عنه زيجمونت باومان بالحياة السائلة، الحب السائل والزمن السائل فأصبحت الحياة تجري والانسان يجري ورائها دون أن يعي في أي اتجاه يسير.

حضارة دمرت الطبيعة وأثرت على التوازن الايكولوجي، جراء الاستغلال اللاعقلاني للموارد الطبيعية، حضارة دمرت الطبيعة وجعلت من الانسان فئران تجارب، كما جعلته يعتمد في حياته على التوازن الكيميائي بدل التوازن الطبيعي بسبب الامراض المستجدة والأدوية التي تصاحبها، جعلت الفرد يعيش الأنانية نتيجة تضخم الأنا بسبب التربية على المنهج الفردي ذا البعدي الذاتي.

"المدرسة في سياق الدورة الرأسمالية تتحول إلى مؤسسة لقيم العالم الرأسمالية وتصوراته، وهي في صورتها الرأسمالية هذه تمارس دورها في حرمان الشرائح الأوسع في المجتمع من إمكانيات التعليم الحقيقي"<sup>2</sup>، في سياق الدورة الرأسمالية كما سماها أسعد وطفة، تحولت المدرسة إلى مؤسسة منتجة لقيم العالم الرأسمالي، وهي بذلك تمارس الوظيفة الاستلابية.

<sup>1</sup> علي أسعد وطفة، "الزعة الروحية للتربية في مواجهة الحضارة المادية"، مدارات ثقافية، د.ت،

<https://www.madarathakafia.com/2023/09/mad-details02092023-01.html>

<sup>2</sup> علي أسعد وطفة، رأسمالية المدرسة في عالم متغير - الوظيفة الاستلابية للعنف الرمزي والمناهج الخفية -، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2011، ص28.

## في فكر مالك بن نبي -

استلاب النزعة الروحية الإنسانية من المدرسة، وتحويلها إلى النزعة المادية الجشعة، التي تجعل الانسان عبارة عن آلة، يمكن التحكم فيه، وبالتالي التربية أصبحت تمارس على ثقافة الهيمنة المادية.

الاستلاب الثاني هو حرمان فئة كبيرة من المدرسة والتربية، عملت الثقافة الليبرالية إلى تخصيص التعليم هذا ما أدى حرمان عدد كبير من الولوج للمدرسة والتعلم، وكانت هذه عملية مقصودة ليتجه إلى مراكز التكوين من أجل توفير اليد الماهرة في الصناعة لخدمة أرباب العمل، هذا الاستلاب جعل الهوة الطبقية تزداد حدة، حيث الغني يزداد غنى والفقير يزداد فقرا.

### 2- النظريات السيكلوجية:

كان اهتمام علماء السيكلوجيا بالتنشئة الاجتماعية للفرد لا يقل على اهتمام السوسولوجيين، حتى ولو كانت لهم آراء مختلفة حول نظرتهم للعملية وللغرد في حد ذاته، وسيتم ذكر بعض الآراء النظرية كالتالي:

### 2-1- نظرية التحليل النفسي:

يتزعم هذه النظرية سيغموند فرويد حيث يرى أن جذور التنشئة الاجتماعية عند الأفراد تكمن فيما يسميه بالانا الأعلى، الذي يتطور عند الفرد بدءا من الطفولة نتيجة محاولة تقليد والده وتقمص دوره، الذي هو من نفس جنسه.

يولد الطفل بالهو، الذي يمثل: "كل ما هو فطري أو موروث بما في ذلك الغرائز، ويسميه فرويد بالواقع النفسي الحقيقي وهو جانب لاشعوري عميق لا يعرق شيئا عن القيم والأخلاق"<sup>1</sup>، ويكون هم الطفل الوحيد إشباع مجموعة الغرائز، ولكنه أثناء محاولة الاشباع يتعرض سواء من طرف والديه عادة أو

<sup>1</sup>الراشدان، التربية و التنشئة الاجتماعية، دار وائل للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، 2006، ص146.

## في فكر مالك بن نبي -

غيرهم من القائمين في المجتمع للمنع ، في محاولة لتنظيم هذه الغرائز، أو لتطبيعها وتنشئته على قبول قوانين المجتمع ومساعدته على تحقيق التقبل الاجتماعي والاندماج بيسر في مجتمع الراشدين.

نتيجة لعملية المنع والضبط يتحول جزء من الهو إلى ما يسميه فرويد بالانا الأعلى، وهو ما يسمى بالضمير، الذي يعمل على إخضاع مطالب اللذة للتحكم وفق معايير المجتمع ويرى فرويد أن كل ما يجده الفرد في الأنا صعبا للتحقيق يكبت ويحول إلى ما يسميه فرويد اللاشعور والتي تجد لها تعبيرا في الأحلام والشروود إضافة إلى ما تسببه من متاعب كثيرة ومشكلات عقلية واجتماعية ونفسية.

إن عملية التنشئة الاجتماعية أو التطبيع الاجتماعي عند فرويد هي عملية نمو وتطور فهي عملية نمو حتمية وأساسية متداخلة فيما بينها وذات تأثير بالغ في شخصية الفرد مستقبلا، ومن أهم هذه المراحل:

المرحلة الفمية- المرحلة الشرجية- المرحلة القضيبية -مرحلة الكمون-مرحلة النضج الجنسي<sup>1</sup>.

من خلال ما سبق ذكره نجد أن نظرية التحليل النفسي، ترى أن التنشئة الاجتماعية تتضمن اكتساب الطفل لمعايير وسلوك والديه وعن طريق أساليب تربية كالثواب والعقاب يتكون لدى الطفل الضبط الداخلي أو الضمير الموجه لسلوك الطفل ثم الفرد فيما بعد، وبذلك يعتبر التقليد إذا من أبرز أساليب التنشئة الأسرية في نظر فرويد.

### 2-2- نظرية التعلم الاجتماعي:

يعتبر التعلم القاعدة الأساسية لنظرية التعلم الاجتماعي، ويعتبر الانسان من أقدر المخلوقات على التعلم وأكثر حاجة إليه وذلك لما للتعلم من فائدة في حياته لأنه يحقق له التطبيع الاجتماعي، والاندماج في

<sup>1</sup> الراشدان، مرجع سابق، ص 253.

في فكر مالك بن نبي -

المجتمع، "إن التطبيع الاجتماعي هو ذلك الجانب من التعلم الذي يعني بالسلوك الاجتماعي ويمكن أن ينظر إلى التطبيع باعتباره تعلما يسهم في قدرة الفرد على أن يقوم بأدوار اجتماعية معينة"<sup>1</sup>.

يعتبر التعلم عملية دائمة ومستمرة وخاصة في عملية التنشئة الاجتماعية، التي ينظر إليها أصحاب هذه النظرية على أنها ذلك الجانب من التعلم الذي يهتم بالسلوك الاجتماعي عند الفرد، الناتج عن التفاعل الاجتماعي بين أفراد المجتمع، فهي عملية تعلم لمعايير وقيم مجتمعية تضمن تغيرا وتطبعيا في السلوك، وذلك نتيجة التعرض لممارسات معينة وخبرات من خلال هذا التفاعل.

كما أن مؤسسات التنشئة الاجتماعية تستخدم أثناء عملية التنشئة الاجتماعية بعض الوسائل والأساليب في تحقيق التعلم سواء كان بقصد أو بدون قصد.

وحسب هذه النظرية، فإن التنشئة الاجتماعية عبارة عن " نمط تعليمي " يساعد الفرد على القيام بأدواره الاجتماعية، كما أن التطور الاجتماعي حسب وجهة نظر هذه النظرية يتم بالطريقة نفسها التي كان فيها تعلم المهارات الأخرى، ويعطي أصحاب هذه النظرية أهمية كبرى للتعزيز في عملية التعلم الاجتماعي أمثال دولارد و ميلر بحيث يذهبان إلى أن السلوك الفردي يتداعم أو يتغير تبعا لنمط التعزيز في تقوية السلوك، أما باندورا و ولترز فالبرغم من موافقتهما على مبدأ التعزيز في تقوية السلوك إلا أنهما يشيران إلى أن التعزيز وحده لا يعتبر كافيا لتفسير التعلم أو تفسير بعض السلوكيات التي تظهر فجأة لدى الطفل، ويعتمد مفهوم نموذج التعلم بالملاحظة على افتراض مفاده أن الإنسان ككائن اجتماعي يتأثر باتجاهات الآخرين ومشاعرهم وتصرفاتهم وسلوكهم، وينطوي هذا الافتراض على أهمية تربوية بالغة، آخذين بعين الاعتبار أن التعليم بمفهومه الأساسي عملية اجتماعية

<sup>1</sup>الراشدان، مرجع سابق، ص 59.

## ثانيا التربية الاجتماعية عند مالك بن نبي

### 1- التربية عند مالك بن نبي

يجمع دارسو فكر مالك بن نبي على أنه لم يذكر كلمة "تربية" كثيرا بالرغم من أن مشروعه الفكري مشروعا تربوي، لأنه يركز على عملية التغيير الاجتماعي، وهي عملية تستند في استراتيجيتها على الفعل التربوي، كما أن التربية تعتبر من مفردات النهضة والحضارة، فلا يمكن تصور مشروع نهضوي حضاري دونها، " على الرغم من أن صاحب شروط النهضة لم يخصص ضمن مؤلفاته ولو كتابا يعالج فيه موضوع التربية بالكيفيات المتداولة بين المختصين وفي الأوساط الأكاديمية، فان ذلك لا يمنع اعتبار انتاجه انتاجا في التربية"<sup>1</sup>.

كما يرى الأستاذ الطيب برغوث أن مالك بن نبي أعطى اهتمام كبير للتربية في سائر كتبه وجعلها محور مشروعه لأنها هي التي تحقق الخير للمجتمع، كما أنه يرى من خلال ما كتب أن التربية عملية تؤثر في الثالث الاجتماعي " عالم الأفكار، عالم الأشخاص، عالم الأشياء" وهذا ما يجعلها تملك قيمة كبيرة في المجتمع، وأن أي نشاط لا يؤثر في هذا الثالث لا يملك قيمة\*، من خلال كلام الطيب برغوث يمكننا أن نؤكد على أن فكر مالك بن نبي لم يكن مشروعه النهضة الحضارية، بل كان مشروع تربوي يهدف إلى النهوض بالإنسان الفاعل، من خلال عمل تربوي يؤثر في الأشخاص، والأشياء والأفكار.

<sup>1</sup> محمد بغداد باي، "تربية إنسان ما بعد الحضارة قراءة تربوية نوعية لفكر مالك بن نبي" (أطروحة دكتوراه في علم النفس، وهران، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران 2، 2015)، 159.

\* مقابلة مباشرة مع الأستاذ الطيب برغوث يوم 11 ماي 2023

## الفصل الثالث: الدلالات القصدية للتربية الاجتماعية في فكر مالك بن نبي -

العمل التربوي

يؤثر في عالم الأشخاص

يؤثر في عالم الأفكار

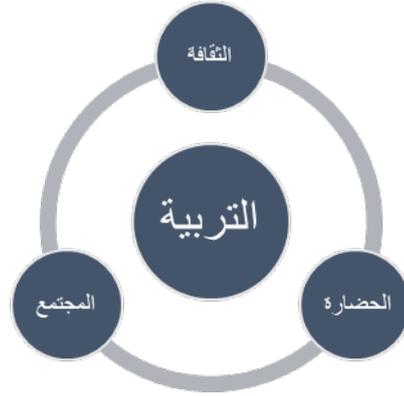
يؤثر في عالم الأشياء

شكل رقم 7: تأثير العمل التربوي في عالم الأشخاص، الأشياء والأفكار

حيث أن أي خطة تنموية تستهدف قدرات الفرد والجماعة، لا بد أن تكون انطلاقتها من مشروع تربوي، من أجل صناعة الفرد الذي يتكيف مع أسلوب حياة المجتمع، وذلك عبر عملية تركيب عناصر ثقافية تجعل من الفرد يواكب تطور المجتمع ويساهم في هذا التطور، من خلال الانسجام بين العوالم الثلاثة عالم الأفكار، عالم الأشياء وعالم الأشخاص، وباعتبار أن الأشخاص هم الفاعلين في العملية التركيبية، كان لا بد من عملية اعدادهم للقيام بالمهمة وتحقيق الأهداف من خلال العملية التربوية.

مالك بن نبي خلال عرضه لمشروعه الحضاري ركز على الجانب التربوي نظرا لأهميته ومحوريته من أجل تحقيق المجتمع المتحضر، ودائما كان كعادته مميّزا في تقديم أنموذجه التربوي وطرحه للموضوع، حيث أنه يعتبر أن اللحاق بالركب الحضاري يمر حتما عبر التركيز على العناصر الأولية للحضارة، لا مجرد تكديس الأشياء عبر استيرادها من منتوجات حضارات أخرى.

التربية عند مالك بن نبي عملية مركزية أو محورية عليها تدور عمليتي الثقافة والحضارة التي يريدانها أي مجتمع يريد أن يصنع تاريخا لنفسه، وهذا يوضحه الشكل أدناه.



شكل رقم 8: التربية هي المحور الذي يدور في فلكه المجتمع والثقافة والحضارة

إن موضوع التربية عند مالك بن نبي الذي تبحث فيه هذه الدراسة هو: "التربية من أجل التحضر"، لأنها تربية توجه الفرد كيف يعيش، أو هي تربية تثقيفية كما قال عنها هو بنفسه، بالرغم أن مُجد بغداد باي قال بأنها "تربية من أجل الحضارة"، كما أن الطيب برغوث يؤكد على أن التربية عند مالك بن نبي هي عملية تثقيفية وهذا ما يظهر جلياً في كتابه مشكلة الثقافة لأن التربية هي التي تولد الثقافة، وفي نفس الوقت الثقافة هي التي توجه العمل التربوي وتمده بالمبادئ والمناهج الثقافية\*.

والمقصود بالتربية من أجل التحضر، التربية على كيفية العيش في وسط الجماعة، التربية على نسج شبكة من العلاقات الاجتماعيّة، لأن التربية هي من تعط معنى للتحضر، وهي التي تحضر الانسان للاندماج في العيش المشترك:

"معنى التحضر أن يتعلم الانسان كيف يعيش مع غيره في جماعة، ويدرك في الوقت ذاته الأهمية

الرئيسية لشبكة العلاقات الاجتماعيّة في تنظيم الحياة الانسانية من أجل وظيفتها التاريخية"<sup>1</sup>.

\*مقابلة مع الأستاذ الطيب برغوث

<sup>1</sup>مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مرجع سابق، ص94.

## الفصل الثالث: الدلالات القصدية للتربية الاجتماعية في فكر مالك بن نبي -

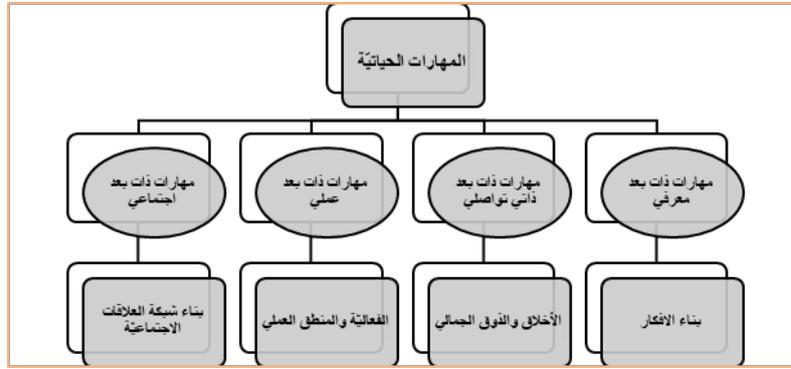
ولهذا يمكن القول ان التحضر عند مالك هو فعل ونشاط تربوي، يهدف الى تحضير الانسان العضو في المجتمع للوظيفة التاريخية، وهي بناء مجتمع متحضر.

والعنصر الأول الذي يعتبر أساسيا في بناء مشروع حضاري هو عالم الأشخاص، الذي يمكنه أن يُحوّل عالم الأفكار الى عالم الأشياء يستفيد منها المجتمع، ويعطي لأفراده الضمانات اللازمة لتحقيق العيش الرغيد، وهذا لن يتحقق إلا عبر عملية تربوية تمكن الأفراد من التحكم في المهارات الحياتية:

-مهارات ذات بعد معرفي (بناء الأفكار)-مهارات ذات بعد عملي (الفعالية والمنطق العملي)

-مهارات ذات بعد ذاتي تواصل (الأخلاق والذوق الجمالي)- مهارات ذات بعد اجتماعي (بناء شبكات

العلاقات الاجتماعية)



شكل رقم 9: أنواع مهارات الحياة

فالتربية إذا هي عملية تحضير الفرد للعيش عن طريق تعلم مهارات الحياة؛ التي تساهم في بناء أفكاره وتجعله يمتلك من مجموع من القيم الأخلاقية والجمالية، توجهه نحو الفعالية والمنطق العملي في دائرة من شبكة العلاقات الاجتماعية، وهذه نظرة حديثة للتربية، وهي تقارب نظرة فلسفة التربية في النظام التربوي الفنلندي التي تعد

## الفصل الثالث: الدلالات القصدية للتربية الاجتماعية في فكر مالك بن نبي -

منظومته أول منظومة في إعداد الجيل وملامح الانسان النموذج الذي يستطيع مجابهة الحياة، حيث جاء في الفقرة الثانية من قانون التعليم الأساسي الفنلندي " إن الغرض من التعليم هو دعم نمو الطفل ليصبح إنسانا مسؤولا أخلاقيا في المجتمع، يمتلك المعارف والمهارات الضرورية لمواجهة الحياة"<sup>1</sup>.

فإعداد الفرد الذي يحمل المسؤولية الأخلاقية والقادر على المشاركة في المجتمع، تعتمد بالأساس على فلسفة قيم أخلاقية وجمالية تمثل جوهر فلسفة حياة المجتمع، ومنوطة بتوجيه وترشيد سلوكه في حياته اليومية.

### 1-1 التربية عملية تثقيفية:

" ولقد سألني أحد أقاربي وقد ولدت له حفيذة فقال: ولدت لي ابنة ابني فلان فكيف تشير على

بتربيتها؟

أدرت الموضوع فتعمدت استشارته مداعبا، لكن مداعبتي تبنى عن الحقيقة، فسألته: منذ كم ولدت؟

قال: منذ شهر، قلت: إذن فات شهر من التربية أو التثقيف"<sup>2</sup>.

كان هذا جواب بن نبي للذي جاء يسأله تربية حفيذة له لها شهر من الولادة، وهذا الجواب نستخلص منه

مقاربتين:

الأولى مقارنة زمنية وهي: أن التربية تبدأ منذ اللحظة الأولى للولادة

الثانية. مقارنة مفاهيمية وهي أن: التربية هي الثقافة.

وما يهمنا في هذا العنصر هو المقاربة الثانية، لأن المقاربة الأولى سوف نعود لها بالتفصيل في عنصر آخر،

فمن خلال مراجعة كتب مالك بن نبي نلاحظ أنه استعمل كلمة الثقافة أكثر من كلمة التربية وهو في سياق

<sup>1</sup> عزام بن محمد الدخيل، تعلمهم، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، ط 04، 2015، ص 25.

<sup>2</sup> مالك بن نبي، مجالس دمشق، بن مرابط، الجزائر 2017، ص 143.

## الفصل الثالث: الدلالات القصدية للتربية الاجتماعية في فكر مالك بن نبي -

الحديث عن العمل التربوي، وهذا ما أشار إليه حسين آيت عيسى في كتابه الفكر التربوي عند مالك بن نبي: "تجدر الإشارة إلى أن ابن نبي كثيرا ما يستخدم كلمتي (التربية) و(الثقافة) بمعنى متطابق، ولا ندرى لماذا يميل إلى توظيف كلمة ثقافة أكثر من كلمة تربية حتى حينما يكون السياق مناسباً للثانية أكثر من الأولى"<sup>1</sup>، كما يرى بن نبي أن العلاقة بين العناصر البنائية للثقافة لا بد أن تصاغ صياغة تربوية، ونفس شيء ما قاله الطيب برغوث عندما صرح بأن إذا اردت أن تفهم معنى التربية عليك بكتاب مشكلة الثقافة، ولهذا سننطلق في محاولة فهمنا للتربية عند مالك من تعريف مالك بن نبي للثقافة.

### 1-2 مفهوم الثقافة عند مالك بن نبي:

خصص مالك بن نبي جزء كبير من انتاجه الفكري للحديث عن الثقافة لأنه يعتبرها هي المسؤولة عن مشكلة السلوك الإنساني، فهي التي تعد السلوك الفعال "لقد تأكد لنا من خلال التجارب التي سلف أن أشرنا إليها في دراستنا هذه أن السلوك الذي ندعوه بالسلوك الفعال، لم يتم تشكيله داخل المدرسة لأن التعليم الفرنسي لم يمنح للجيل الجزائري الذي سبق جيل الثورة عادات الفعالية التي نجدها ضمن السلوك الذي شاهدناه في مواضيع أخرى.

وإذن فهذا السلوك الأخير لا يتشكل على مقاعد المدرسة، ولكن ضمن مجموع الاطار الاجتماعي -

الثقافي الذي يحيط بالفرد"<sup>2</sup>.

إذن سلوك الفرد حسب مالك بن نبي لا يتشكل أي لا يصنع على مقاعد الدراسة، بل ضمن إطار اجتماعي / ثقافي الذي يحيط به، أي بيئته الاجتماعية، فالفرد يتعلم السلوك من خلال التفاعل الاجتماعي وهذا

<sup>1</sup> حسين آيت عيسى، الفكر التربوي عند مالك بن نبي، جسر للنشر والتوزيع، المحمدية، ط1، 2017، ص35.

<sup>2</sup> مالك بن نبي، القضايا الكبرى، دار الفكر، دمشق، ط15، 2019، ص79.

## الفصل الثالث: الدلالات القصدية للتربية الاجتماعية في فكر مالك بن نبي -

ما يُطلق عليه "الثقافة"، فهو يتتقف من خلال عملية التواصل الاجتماعي، وذلك باعتباره كائن اجتماعي/ثقافي، ولعدة اعتبارات يمكن أن نوجزها فيما يلي:

- التكوين الاجتماعي للفرد ليس عملية وراثية لها علاقة بالأصول الخاصة بالفرد، ولا عملية بيولوجية لها علاقة مع البنية الجسمانية له.
- الجماعة الانسانية هي التي تحدد التكوين الاجتماعي للفرد من خلال مجموعة القيم والاتجاهات والمعايير الاجتماعية التي ينشئ عليها
- التصورات الاجتماعية التي تُكوّن لديه الجهاز المفاهيمي حول أسلوب الحياة، الذي يكسبه من خلال نشاطات الحياة اليومية.
- التكوين الاجتماعي له علاقة بالتفاعل داخل المحيط الاجتماعي للفرد.

ولهذا فمالك بن نبي يعرف الثقافة بأنها:

" مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية، التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح لا شعوريا

العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه " <sup>1</sup>، هذا التعريف تم صياغته عبر اربع أبعاد:

- بعد بنائي: من حيث البناء فالثقافة هي مجموعة من الصفات الخلقية، أي الأخلاق وقيم

اجتماعية مثل الذوق الجمالي، والمنطق العملي، والصناعة، وهو يقرر بأن: "الثقافة هي المحيط الذي يصوغ كيان

الفرد، كما أنّها مجموعة من القواعد الأخلاقية والجمالية... الخ" <sup>2</sup>، فالأخلاق هي القوة التي تجعل المجتمع

متماسكا، ولهذا مالك ركز على الدور الاجتماعي للأخلاق في تقوية الصلات بين أفراد المجتمع، ويرى بن نبي أن

<sup>1</sup>مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الوعي للنشر والتوزيع، روية، 2013، ص74.

<sup>2</sup>مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مرجع سابق، ص 32.

## الفصل الثالث: الدلالات القصديّة للتربية الاجتماعيّة في فكر مالك بن نبي -

الروح الأخلاقية مصدرها الدين، وخاصة أن معنى الدين religion في اللاتينية الربط والجمع<sup>1</sup>، وتماسك المجتمع معناها انخراط أعضائه بطريقة لاشعوريّة أو اندماجيّة في العمل المشترك، بروح معنوية عالية، مما يجعل منحى الشعور بالانتماء يرتفع لديهم، وأداء الواجبات يكون يتوتر مرتفع.

فالأخلاق عند مالك بن نبي هي مجموعة مبادئ وقواعد ترشد سلوك الفرد إلى الواجب والمسؤولية الاجتماعيّة تجاه المجتمع وأفراده، وهي كما يعبر عنها تالكوت بارسونز توجه الفعل الاجتماعي نحو الهدف أو الغاية المشتركة، لأن الفعل الاجتماعي له موجّهات قيمية ودوافع من أجل إنجازها، فالفعل الاجتماعي فعل هادف، وليس عشوائي، تتحكم فيه قواعد أخلاقية وقيم اجتماعية، ودوافع نفسية، ولهذا فأصالة القيم ضرورية، وعندما يتم الحديث عن أصالة القيم فالمقصود بها أنها نابعة من فلسفة المجتمع، وليست مستوردة.

- بعد وظيفي: حيث أن الثقافة عند بن نبي تؤثر في سلوك الفرد وأسلوب الحياة، ولهذا ركز على الأبعاد الوظيفية لها، بعيدا عن التأمل الفلسفي البعيد عن الواقع المعيشي، فمالك بن نبي يرى أن: "الثقافة هي نظرية في السلوك وليس نظرية في المعرفة"<sup>2</sup>، وذلك باعتبارها توجه سلوك الفرد نحو أسلوب الحياة داخل المجتمع من خلال عناصرها البنائية أو التركيبية كما يصفها ( الأفكار، الأشياء، الأشخاص، شبكة العلاقات الاجتماعيّة)، أما الطيب برغوت فخلال مقابلة معه فيرى أن الثقافة نظرية في السلوك ونظرية في المعرفة، لأنها توجه السلوك وهي بحاجة لمحددات معرفية من أجل أن تقوم بوظيفة التوجيه والتثقيف، وهو يرى أن ولو مالك صرح بأنها ليست نظرية في معرفة فهي تحمل مضامين معرفية نظرية\*

كما أن مالك بن نبي أبعد على الثقافة إحدى الوظائف التي كانت لاصقة بها، وهي التسليّة، ولكن ليس أبعاد نهائي، حيث اعتبر ان هناك من ورط الثقافة يجعلها وسيلة للتسليّة والترفيه فقط، " هكذا تورطت الكلمة

<sup>1</sup> مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مرجع سابق، ص 79.

<sup>2</sup> مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مرجع سابق، ص 73.

\* الطيب برغوت في مقابلة معه.

## الفصل الثالث: الدلالات القصديّة للتربية الاجتماعيّة في فكر مالك بن نبي -

بحيث ماع مدلولها في مجال لا يعني بالنسبة إلى ما تشير اليه كلمة (أزمة ثقافية)، فالأزمة الثقافية لا اتصال بينها وبين المجال الترفيهي، ومجال التسلية طبعاً فنحن لا نواجه أزمة ثقافية، لأننا لا نحسن كيف نتسلى أو كيف نرفه، بل ربما لأننا لم نحسن العمل في نطاق ما أسميه (العمل المشترك) العمل الذي تتجمع في نطاقه وتتكاثر الأيدي والعقول والضمائر"<sup>1</sup>.

إذا فالثقافة وظيفتها تربية تعمل على تكوين الفرد وبناء شخصيته، من خلالها يبنى أفكاره الاجتماعيّة ويتعلم العيش المشترك، وهي ليست العلم، لأنها ليست نظرية في المعرفة، وأعطى مالك بن نبي مثال على التماثل في الفعل الاجتماعي والسلوك بين الطبيب الأوربي والراعي الأوربي، بالرغم من اختلاف مداركهم المعرفيّة إلا أنّهما يمارسان أفعالهما الاجتماعيّة في الحياة اليوميّة مثل بعضهما، في حين نجد اختلاف في السلوك بين طبيب أوربي وطبيب أفريقي بالرغم من التقارب العلمي.

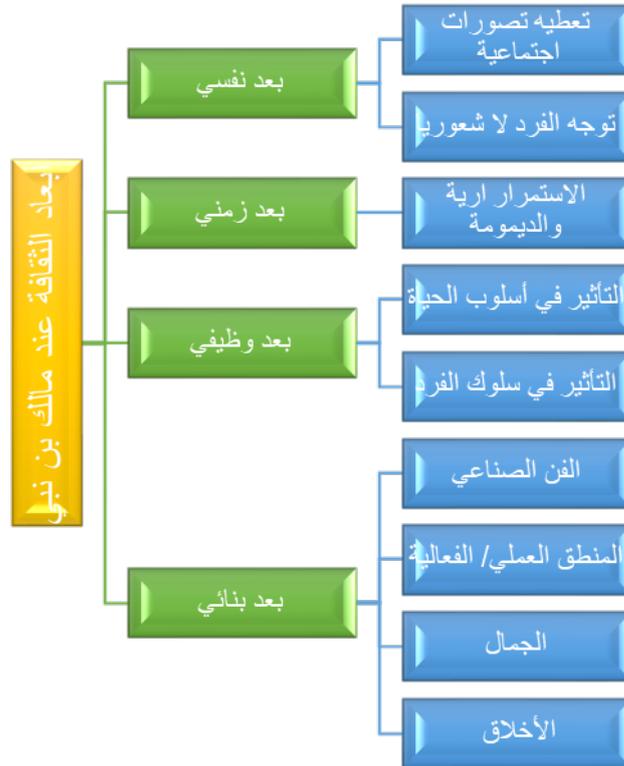
فالثقافة هي المسؤولة على السلوك الاجتماعي لا العلم، وتعتبر الثقافي رأسمال اجتماعي يكتسبها الفرد من محيطه الاجتماعي لا من المدرسة، وهي المسؤولة على إعطاء الفرد والمجتمع الفعاليّة الاجتماعيّة، فنجاح مشروع الدكتور شاخث الاقتصادي في ألمانيا وفشله في إندونيسيا يرجع إلى الرأسمال الثقافي وليس إلى الرأس المال المادي، فإندونيسيا تفوق ألمانيا من حيث الإمكانيات الماديّة.

- بعد زمني: الثقافة هي منهج حياة تبتدئ مع الفرد منذ ولادته، وتستمر معه حتى مماته، أي أنّها عملية لها طابع الاستمرارية مع الزمن والديمومة، وليس بمرحلة عمريّة محددة كما أراد أن يربطها البعض بالطفل والمدرسة باعتبار أنّ التثقيف هو عمليّة تربية، وهي ليس لها ارتباط مع بزمن أو سن محدد فكل موقف أو تفاعل اجتماعي يتعلم منه الفرد سلوك جديد.

<sup>1</sup> بن نبي، مجالس دمشق، مرجع سابق، ص 128.

## الفصل الثالث: الدلالات القصدية للتربية الاجتماعية في فكر مالك بن نبي -

- بعد نفسي: عملية التثقيف تجعل الفرد يكتسب أخلاق وقيم المجتمع، وتصبح جزء من شخصيته وتوجه بطريقة لاشعورية أفعاله الاجتماعية، من خلال التصورات الذهنية التي أصبح يحملها عن واقعه المعاش وبيئته الاجتماعية من خلال التفاعل الاجتماعي اليومي.



شكل رقم 10: أبعاد الثقافة عند مالك بن نبي

### 3-1- التربية عملية توجيه:

التربية عند مالك بن نبي هي مجموعة من التوجيهات تجعل المجتمع يدير طاقاته نحو الفعالية، والتوجيه هو: "قوة في الأساس ووحدة وتوافق في السير، ووحدة في الهدف فكم من طاقات وقوى لم تستخدم، لأننا لا نعرف كيف نكتلها، وكم من طاقات وقوى ضاعت فلم تحقق هدفها، حين زحمتها قوى أخرى، صادرة عن نفس المصدر، متجهة إلى نفس الهدف.

## الفصل الثالث: الدلالات القصدية للتربية الاجتماعية في فكر مالك بن نبي -

فالتوجيه هو تجنب هذا الاسراف في الجهد وفي الوقت، فهناك ملايين من السواعد العاملة، والعقول المفكرة في البلاد الاسلاميّة، صالحة لأن تستخدم في كل وقت<sup>1</sup>، هو قوة في أساسه لأنه يوحد الجهود في السير نحو الهدف المشترك، ويكتل الطاقات ولا يجعلها مبعثرة فتضيع دون أن تحقق الهدف الذي تسعى من أجله. والهدف من التوجيه هو اقتصاد في الجهد، والوقت، والموارد، وتجميع العقول المفكرة والسواعد، في هدف مشترك، وحسن إدارتها نحو تحقيق النهضة الحضاريّة، وأول توجيه يترى عليه الفرد هو:

### - توجيه الطاقة الحيوية:

للإنسان طاقات أو حاجات حيوية يسعى لإشباعها، ولا بد على هذه الطاقات أن تنسجم مع احتياجات المجتمع، واندماج الفرد الاجتماعي يمر عبر الالتزام بحاجات وقيم المجتمع ضمن القواعد والضوابط المتفق عليها، فالفرد تحركه مجموعة من الدوافع، دافع غذائي، دافع التملك، ودافع تناسلي.... إلخ، لو يستجيب لهذه الدوافع يصبح المجتمع يخضع لقانون الغاب، ولو أراد المجتمع أن يبلغها يحدث ما يسميه فرويد بالكبت ويحدث هدم للمجتمع.

يرى مالك بن نبي أنه: "يجب على الفرد تلبية حاجاته الحيوية مهما كان نوع الحياة التي يجيها"<sup>2</sup>، ولكن تلبية تكون ضمن ضوابط اجتماعية، حيث يتكيف الفرد مع الواقع الاجتماعي المعاش، هذه الضوابط لا تلغي حاجات الفرد الحيوية حتى يصير يحي حياة رهبانية، ولا تتركها متحررة فينزلق الإنسان وراء غرائزه حتى يصبح يعيش حياة بهيمية، بل تعمل على تنظيمها "عندما نلغي الطاقة الحيوية فإننا نهدم المجتمع، وعندما نحررها تحريرا كاملا فإنها تهدم المجتمع، لذلك يجب على الطاقة الحيوية أن تعمل بالضرورة ضمن هذين الحدين"<sup>3</sup>.

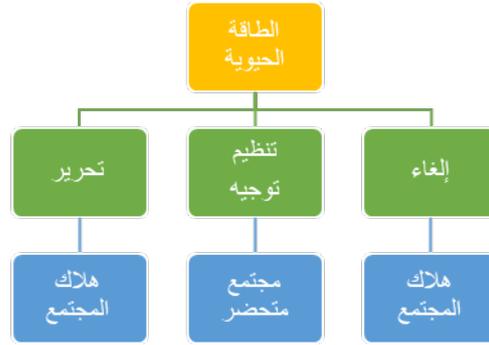
<sup>1</sup> مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 78.

<sup>2</sup> مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة بسام بركة و أحمد شعبو، دار الفكر، دمشق، ط15، 2018)، ص 49.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 51.

## الفصل الثالث: الدلالات القصديّة للتربية الاجتماعيّة في فكر مالك بن نبي -

يتم التعامل مع الطاقات الحيويّة للفرد بمبدأ الوسطيّة لا إفراط ولا تفريط، لأن ترك العنان لها فيه هدم للمجتمع والأخلاق، وكتبها يؤدي إلى الأزمات النفسيّة للأفراد وبالتالي تغيب الفعاليّة الاجتماعيّة لديهم وهذا أيضا هدم للمجتمع



شكل رقم 11: كيفية التعامل مع الطاقة الحيوية عند مالك بن نبي

### - توجيه الأخلاق:

لا بد أن يوجه الفرد من خلال التربية نحو الأخلاق الاجتماعيّة، الأخلاق التي تنشئ الفرد على الالتزام بواجب المسؤولية الاجتماعيّة، هذا الالتزام الذي يحقق للمجتمع تماسكه، ويزيد من قوة فعاليّته الاجتماعيّة، لأن الفعاليّة كقيمة اجتماعية هي هدف كل فعل اجتماعي، يكون لها أثر أكبر كلما كانت موجهة بمبدأ أخلاقي، ينظم العلاقات الاجتماعيّة.

تنظيم العلاقات الاجتماعيّة، يساعد على الاستثمار في المواهب التي تمتلكها العقول المفكرة والسواعد العاملة، ويحقق لهم الإطار الاجتماعي الملائم لإبراز قدراتهم ومواهبهم، ولهذا فالمبدأ الأخلاقي موجه لكل أفراد المجتمع، فهو كما يواجه راعي الغنم، يواجه الطبيب في عيادته.

ـ توجيه الذوق الجمالي:

تعمل الثقافة على توجيه الذوق الإنساني إلى كل ما هو حسن وجميل، من الكلام، من الصور، من اللباس، من الطعام وإلى كل ما يُدخِلُ الراحة والطمأنينة في النفس البشريّة، ويجعل صدر الفرد منشرحاً.

ويرى مالك بن نبي أن المبدأ الأخلاقي والذوق الجمالي يوجد صلة بينهما خاصة تكون في الواقع علاقة عضويّة ذات أهميّة اجتماعيّة كبيرة، حيث إن هذه العلاقة تحدد طابع الثقافة كله، كما أنها ترسم اتجاه الحضارة، حينما تضع هذا الطابع الخاص على أسلوب الحياة في المجتمع وعلى سلوك الأفراد فيه<sup>1</sup>.

1-4 التربية عمليّة تغيير:

تم الإشارة من قبل أن التربية أو الثقافة هي مجموعة من الأخلاق والقيّم الاجتماعيّة، توجه سلوك الفرد الاجتماعي، حيث أن المبدأ الأخلاقي هو المحرك الأساسي وباعث روح الفعالية في نفسيّة الفرد، فتذمر مالك بن نبي من المجتمع الراكد الذي تحكّمه الأفكار الميتة، واضحا من خلال كتبه، ولهذا كان يدعو أن يتم:

- التركيز على تغيير الانسان من أجل تغيير الواقع، وهذا التغيير يبدأ أولاً بتغيير العناصر البدائية في الفرد وتحويلها إلى نزعات اجتماعيّة.

- ربط الأفكار بالمنطق العملي، مالك بن نبي يرى أن الأفكار بمخرجاتها وفعاليتها، ولهذا ربط الفكرة الفعالة بقدرتها على التجسيد في الواقع، فالفكرة البعيدة على الواقع هي فكرة غير قابلة للتجسيد وهي فكرة ميتة بتعبير مالك بن نبي.

<sup>1</sup> بدران بن الحسن، الظاهرة الغربية في الوعي الحضاري، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 2000، ص 92.

## الفصل الثالث: الدلالات القصديّة للتربية الاجتماعيّة في فكر مالك بن نبي -

تغيير الفرد من الاهتمام بـ: "الأنا" الى الاهتمام بـ: "نحن"، حيث يعتبر تضخم الأنا هو مرض اجتماعي يؤدي بالمجتمع إلى الهلاك" ويتجلى هذا المرض في العلاقات بين الأفراد، وأكبر دليل على وجوده يتمثل فيما يصيب "الأنا" عند الفرد من تضخم، ينتهي إلى تحلل الجسد الاجتماعي لمصلحة الفردية"<sup>1</sup>.

ولهذا يمكن القول إن التربية هي عملية تغييرية، تهدف الى تغيير الانسان كي يكون عنصرا فعالا نشطا في وسطه الاجتماعي، مفضلا المصلحة العامة على مصلحته الفردية، ولهذا كانت جهود مالك بن نبي كلها مركزة على صناعة الانسان الاجتماعي (الرجال): " فمن الرجل تنبع المشكلة الإسلامية بأكملها وخاصة في الجزائر، فالمسألة هي أنه يجب أولاً أن نصنع رجلاً يمشون في التاريخ، مستخدمين التراب والوقت والمواهب في بناء أهدافهم الكبرى"<sup>2</sup>، صناعة الرجال الذين يصنعون التاريخ يمكنهم استخدام التراب والوقت والسواعد الممكنة لتحقيق أهداف المجتمع، ومصطلح صناعة الانسان هو مصطلح قرآني استعمله الله عز وجل مخاطبا النبي موسى عليه الصلاة والسلام (ولتصنع على عيني).

فالعناصر المذكورة فيها إشارة إلى أهمية إيجاد الإنسان الذي يصنع التاريخ أولاً، وهو الغائب في هذه المرحلة، وفيه إشارة إلى ضرورة استغلال وتسخير عاملي التراب والوقت في عملية صناعة التاريخ، فالعلاقة الموجودة بين الانسان والكون هي علاقة تسخيريه، ولن يتأتى ذلك إلا من خلال بناء المواهب القادرة والمؤهلة، والتي تملك من المهارات الفنيّة ما يمكنها من تحقيق ذلك في الواقع.

<sup>1</sup> بن نبي، ميلاد مجتمع، مرجع سابق، ص 43.

<sup>2</sup> بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 82.

## 2- مفهوم التربية الاجتماعية عند مالك بن نبي:

استعمل مالك بن نبي في كتابه ميلاد مجتمع مصطلح "pédagogie social" في نسخته الفرنسية، لكن المترجم استعمل مصطلح "التربية الاجتماعية"<sup>1</sup>، بالرغم أن كلمة بيداغوجيا لا توجد كلمة تقابلها في اللغة العربية وفي هذا يقول علي أسعد وطفة في كتابه أصول التربية: "المفهوم ولد ونشأ في أحضان الفكر الغربي، وهو يحمل إشكاليات الفكر الغربي عينه التي لا نجد لها ما يجانسها أحيانا كثيرة في الحياة الفكرية التربوية العربية، ويضاف إلى ذلك أن مفهوم "pédagogie" لا يوجد مقابل له في اللغة العربية، وهو لم يأت عرب في المستويات الأكاديمية، أو في المستويات المعرفية العامة أو في المستويات الرسمية، حيث لا نجد تعريبا محدد لهذا المفهوم الإشكالي في مصادره الأجنبية"<sup>2</sup>، كما يرفض علي وطفة أن تترجم كلمة بيداغوجيا بكلمة تربية، وذلك حتى لا يحدث الالتباس بين المفهومين، ويفضل أن يتم الحفاظ على كلمة بيداغوجيا بدلا من ترجمتها لما تحمله من حمولة فكرية في الفكر الغربي ينبغي الحفاظ عليها.

بالرغم من هذا الإشكال إلا أن مترجم كتاب ميلاد مجتمع أستعمل كلمة تربية مقابل كلمة بيداغوجيا، وهي التي تعني في المعاجم الأجنبية ما يلي:

■ جاء في لاروس الفلسفي أن البيداغوجيا هي: "علم التربية، فن التدريس، وتدريب الأفراد، وهي لا تعني فقط نقل المعرفة، ولكن لتشكيل الرجال وتعليم الأفراد كيف يعيشوا، وفن توجيه الأطفال من أجل تأهيلهم وإعادة تأهيلهم في وسطهم الاجتماعي"<sup>3</sup>

■ وجاء في لاروس اللغوي: البيداغوجيا هي: العلم أو طريقة تعليم الأطفال وتدريبهم<sup>1</sup>

\* في مقابلة مع الأستاذ التونسي محمد الطاهر المساوي من جامعة ماليزيا أكد لنا بأنه عند التقائه بعمر مسقاوي أخيره بأن النسخة العربية لميلاد مجتمع أشرف مالك بن نبي على ترجمتها.

<sup>2</sup> علي أسعد وطفة، أصول التربية: إضاءات نقدية معاصرة، مرجع سابق، ص56.

<sup>3</sup> Didier Julia, Dictionnaire de la philosophie, Nouv. éd. rev. et corr, Références Larousse (Paris: Larousse, 1997), 208.

## الفصل الثالث: الدلالات القصدية للتربية الاجتماعية في فكر مالك بن نبي -

■ جاء في المنهل: البيداغوجيا هي علم التربية وعلم أصول التدريس<sup>2</sup>

ويرى عمر نقيب أنه يمكن التمييز بين استعمالين للبيداغوجيا يتكاملان فيما بينهما، كما يساعدان في

التمييز بين ما هو نظري في البيداغوجيا، وما هو دراسة وتطبيق داخل حقلها وهما:

■ الحقل المعرفي الذي قوامه التفكير في أهداف وتوجهات الأفعال والأنشطة المطلوب ممارستها في وضعية التربية والتعليم، على الطفل والراشد.

■ النشاط العملي الذي يتكون من مجموع الممارسات والأفعال التي ينجزها كل من المدرس والمتعلمين داخل الفصل.

أما عند الإغريق، فتشير البيداغوجيا إلى مجموع الخطابات والممارسات التي كانت ترمي إلى تدبير انتقال

الطفل من الحالة الطبيعية إلى حالة الثقافة لتوجد منه مواطنا صالحا، كما أن البيداغوجيا لفظ عام ينطبق على كل ما له ارتباط بالعلاقة القائمة بين مدرس و تلميذ بغرض تعليم او تربية الطفل او الراشد<sup>3</sup>.

من هذه التعاريف يمكن القول إن البيداغوجيا هي مجموعة من الممارسات التربوية التي تهدف إلى:

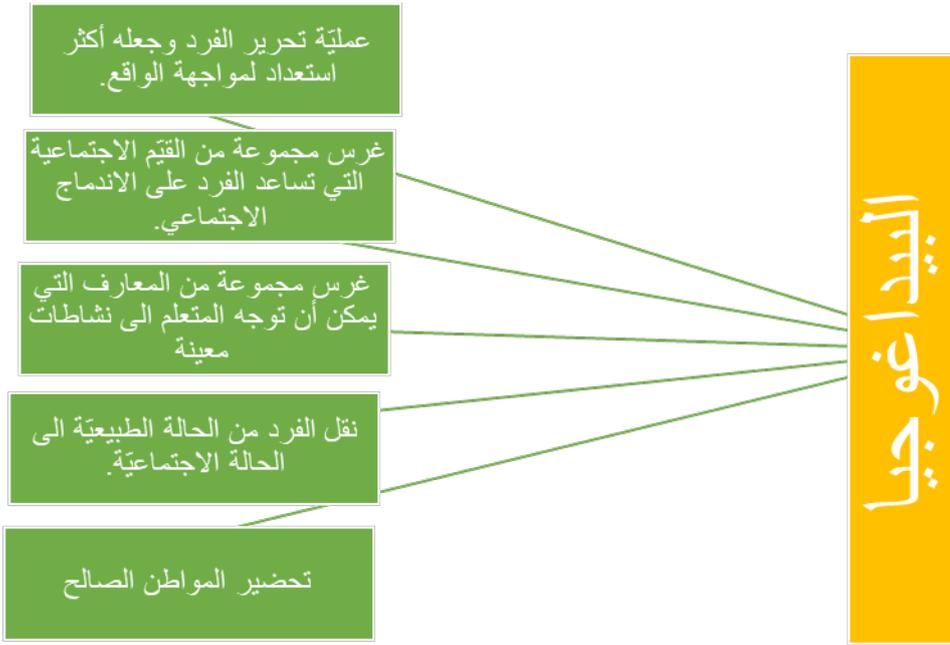
- غرس مجموعة من المعارف التي يمكن أن توجه المتعلم الى نشاطات معينة.
- غرس مجموعة من القيم الاجتماعية التي تساعد الفرد على الاندماج الاجتماعي.
- عملية تحرير الفرد وجعله أكثر استعداد لمواجهة الواقع.
- نقل الفرد من الحالة الطبيعية الى الحالة الاجتماعية، لتحضيره ليكون مواطنا صالحا.

<sup>1</sup> Dictionnaire de français (Paris: Larousse, 2008), 308.

<sup>2</sup> سهيل إدريس، المنهل قاموس فرنسي-عربي، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، ط34، 2005، ص 887.

<sup>3</sup> عمر نقيب، مدخل إلى علوم التربية، شركة الأصالة للنشر، المحمدية، 2018، ص 66.

## الفصل الثالث: الدلالات القصدية للتربية الاجتماعية في فكر مالك بن نبي -



شكل رقم 12: ماهية البيداغوجيا

### 1-2 التربية الاجتماعية منهج هداية للمجتمع:

يقول مالك بن نبي في بداية حديثه عن التربية الاجتماعية في كتاب ميلاد المجتمع أن: "التربية الاجتماعية

منهجها يهدي سير مجتمع ما"، هذا في النسخة المترجمة أما في النسخة الأصلية فجاءت العبارة كالتالي:

**Est-il possible de dégager de ce qui précède l'idée d'une pédagogie sociale, c'est-à-dire une méthode pour guider la marche d'une société?<sup>1</sup>**

فماذا يقصد مالك بن نبي بهذا؟ للإجابة على هذا السؤال يجب أن يتم تحديد مفهوم المنهج ومفهوم

الهداية ومفهوم المجتمع.

<sup>1</sup> malek bennabi, naissance d'une societe (algerie: samar, 2008), 97.



شكل رقم 13: منهج التربية الاجتماعية

مفهوم المنهج:

المنهج في اللغة العربية هو الطريق البين الواضح، والوضوح معناه ان هذا الطريق ليس لديه سبل تضل المجتمع وأفراده، بل هو طريقا واضح بين المسلك يسلكه المجتمع في سيرورته التاريخية، وتثير منهج الكثير من الجدل والاشكال المعرفي، ولكن هذا ما يمنع من حصر أهم الملامح الأساسية للمفهوم.

كما أن المنهج هو ترجمة للكلمة الفرنسية *méthode* والتي في حقيقتها يونانية وتعني التتبع والتقصي والبحث، وتعرفه مادلين غراوتيز بأنه " مجموعة العمليات الذهنية التي يحاول من خلالها علم من العلوم، بلوغ الحقائق المتوخاة مع إمكانية بيانها والتأكد من صحتها"<sup>1</sup>، إذا هو مجموعة من العمليات الذهنية أو العقلية لها علاقة مع العلم والفكر، يسعى لبلوغ الحقائق، وهو ليس المنهجية التي هي عبارة عن مجموعة من العمليات أو الطرق الإجرائية لإجراء عملية التقص والبحث العلمي.

إذا فالمنهج هو عبارة عن مجموعة من العمليات تنطلق من شروط معينة لتصل إلى هدف معين، والهدف دائما هو معرفة الحقيقة الموضوعية، أو فهمها من أجل تغييرها أو الحفاظ عليها، لهذا عبد الوهاب المسيري يرى بأن مشكلتنا اليوم ليس تقصي المعلومات بقدر ما هو مشكل منهج، حيث يقول في مقدمة أحد كتبه: " نحن كتبنا هذه الدراسة آمليين ألا نقدم الحقائق والمعلومات وحسب ، وإنما لنطرح كذلك، وبالدرجة الأولى، منهجا في رصد الواقع وطريقة في التفسير والتفكير، إذ ما يهم ليس كم الحقائق الذي يحشد، وإنما طريقة النظر فيها

<sup>1</sup> Madeleine Grawitz, Méthodes des sciences sociales, 5e éd, Précis Dalloz (Paris: Dalloz, 1981), 348.

## الفصل الثالث: الدلالات القصدية للتربية الاجتماعية في فكر مالك بن نبي -

وتحليلها"<sup>1</sup>، فالمنهج إذا هو أسلوب وطريقة في رصد الواقع من أجل معرفة حيثياته وطريقة في التفكير وعرض الحقائق والمعلومات وتحليلها.

ومالك بن نبي يرى أن انجاز أي عمل مشترك لا بد أن يكون له منهج يتم في ضوءه إنجاز ذلك، إذ أن العمل من دون منهج يعني الاستحالة والخطر، "والمنهج الفعال هو الذي ينسجم مع الأساس الذي يركز عليه المبرر، وينطبع بروح ذلك الأساس - أي العقيدة - فإذا كان المنهج على خلاف مع ذلك الأساس فإنه يفقد فاعليته، بل يؤدي إلى تعطيل العمل المشترك، لأن الاختلاف بينهما يساوي الاختلاف بين المبررات نفسها"<sup>2</sup>، فالتربية الاجتماعية باعتبارها منهج لعمل مشترك ناتج لوعي مشترك واهداف مشتركة لا بد أن تكون على وفاق مع المبررات التي أدت إلى وجودها ووافق مع عقيدة وفلسفة المجتمع.

فالمنهج لا بد أن يكون مبني على أساس عقيدة المجتمع أو فلسفته فالخلاف بينهما قد يفقد لهذا المنهج فاعليته الميدانية، وكذلك لا بد لهذا المنهج ان يكون على توافق وملائمة مع مبررات العمل، فالهدف من وجود المنهج هو تحقيق النجاح والأهداف المسطرة التي أعطت المبررات لذلك النشاط الإنساني، والتربية الاجتماعية عند مالك بن نبي هي منهج جاء من أجل إيضاح الطريق للمجتمع، وتحقيق أهدافه ونهضته المرجوة، جاءت لتحرير المجتمع من التبعية والأخذ بيديه من أجل بناء حضارة تحقق لأفراده الضروريات اللازمة للعيش المشترك.

وعندما يركز مالك بن نبي على ضرورة توافق المنهج مع عقيدة أو فلسفة المجتمع فهو يريد أن يبين أن التقليد الذي وقع فيه كثيرا من المفكرين المسلمين في اتباع مناهج الحضارة الغربية، أو الحفاظ على مناهج القدماء لا بد ألا يبقى سائدا من أجل استخراج منهجا وسطا لا يتعارض مع عقيدة المجتمع، ويراعي روح العصر والتقدم المعرفي.

<sup>1</sup> عبد الوهاب المسيري، تحرير سوزان حري، الثقافة والمنهج، تحقيق حري، سوزان، دار الفكر، دمشق، 2009، ص 227 .  
<sup>2</sup> عبد الله بن أحمد العويسي، مالك بن نبي حياته وفكره، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت 2012، ص 278.

## الفصل الثالث: الدلالات القصديّة للتربية الاجتماعيّة في فكر مالك بن نبي -

كما يرى بن نبي أن تصور المنهج هو ناتج عن فهم حركية وديناميكية الظاهرة حيث يقول "فإذا أمكننا أن ندرك ميكانيكية الظاهرة أمكننا أن نتصور المنهج"<sup>1</sup>، فتصور المنهج الملائم هو ناتج عن ادراك والفهم لحركة الظاهرة، والتربيّة الاجتماعيّة باعتبارها منهج لا بد أن يكون تصورها مبني على أساس حركيّة المجتمع أي تساير التطورات التي تحدث فيه.

ولهذا يمكن أن نقول إن بن نبي يرى أن لتحقيق التربية الاجتماعيّة فعاليتها في المجتمع لا بد أن يكون تصورها نابع من فهم ديناميكية المجتمع، وأن تكون على وفاق مع عقيدته وفلسفته، مع مراعاة التطورات العلميّة في مجال التربية واكتساب المعرفة دون التماسك بمنهج الأولين في الحياة وتفكيرهم إذا كان ذلك لا يخالف أساسيات عقيدة المجتمع، وتعمل ضمن مبررات وجودها، أي نابعة من عمق المجتمع وليست مستوردة من هنا وهناك، وهذا يعني أن تكون رؤية واضحة للهدف المنشود، حتى تستطيع هذه الرؤية أن توجه المنهج توجيهها صحيحا أو كما قال مالك بن نبي حتى يكون منهج هداية.

والهداية هو مفهوم اسلامي يستعمل ضد الضلال ويقصد به الارشاد إلى الطريق الصحيح، أو الطريق الناجح الذي يوصل الفرد إلى نهاية ناجحة أو سعيدة، ولهذا قال تعالى: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) (الإسراء: 9، أي يرشد إلى الطريق المستقيم فاستعمال مالك بن نبي لمفهوم الهداية هو توضيح لمرجعياته الفكرية والعقائدية وانتمائه الإسلامي، كما يريد أن يوضح في بداية حديثه على أن التربيّة الاجتماعيّة هي منهج هداية.

الهداية في اللغة: تعني الدلالة والإرشاد. الهداية في الاصطلاح: هي سلوك الطريق الذي يوصل الإنسان إلى غايته، وهي اتباع شرع الله. وسمي اتباع شرع الله هداية؛ لأنه يرشد الإنسان إلى الحق، ويصره به، فيميز بين الخير والشر.

<sup>1</sup> مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، مرجع سابق، ص 62.

## الفصل الثالث: الدلالات القصدية للتربية الاجتماعية في فكر مالك بن نبي -

وهنا يمكن القول إن مالك بن نبي يرى أن التربية الاجتماعية أو البيداغوجيا الاجتماعية هي مجموعة من الطرق والأساليب التي تهدي المجتمع للطريق الأصح والأسلم الواجب اتباعه للوصول للهدف المسطر.

ويمكن أن نطرح السؤال هنا منهج هداية لمن؟ مالك بن نبي أجاب على السؤال بأنه منهج هداية للمجتمع الذي هو مجموعة من الأفراد تشكل جماعة إنسانية تكون في نشاط دائم، هذه "الجماعة الانسانية، التي تتطور ابتداء من نقطة يمكن أن نطلق عليها مصطلح (ميلاد)"<sup>1</sup>، وجود نقطة انطلاق يعني وجود حركة أو سير لها نحو هدف أو غاية عبر طريق أو مسلك، من شروط هذا المسلك هو الوضوح والاستقامة، والتربية الاجتماعية هي المنهج أو المعالم الارشادية التي تهدي المجتمع في مسيرته نحو بناء مجده، وهذا في قول مالك بن نبي في النسخة الأصلية بالفرنسية: أن بيداغوجية التربية منهج يرشد المجتمع

والمعالم الارشادية هي مجموعة البرامج التربوية، والخبرات الاجتماعية سواء كانت فردية أو جماعية التي يستفيد منها أعضاء الجماعة في تكوين شخصيتهم الاجتماعية التي تمكنهم من العيش في وسط اجتماعي يتفاعلون مع باقي الأفراد المشكلون لهذه الجماعة، والتي تستطيع أن تتطور.

### مفهوم المجتمع:

يرى بن نبي ان الجماعة التي يمكن ان تتغير هي التي يمكننا أن نطلق عليها وصف مجتمع، فهي استطاعت ان تتجاوز الوضعية الطبيعية التي وجدت عليها من خلال الحركة، بإدخال متغيرات على البنات الداخلية لها، وأصبحت تعطي لنفسها دلالات تاريخية وسوسيوثقافية، فالجماعات التي لا تتغير لا يمكن الحديث عنها بأنها تشكل مجتمعات.

<sup>1</sup> مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مرجع سابق، ص16.

## الفصل الثالث: الدلالات القصدية للتربية الاجتماعية في فكر مالك بن نبي -

هذه السيرورة تكون في علاقة جدلية مع الزمن أو التاريخ وهي التي تجعل هذه الجماعة تتطور أو تتغير، " والتاريخ في أي مستوى من الحضارة يتم إنجازها، إنما يمثل النشاط المشترك للأشياء والأشخاص والأفكار المتاحة في ذلك الحين بالذات، أي في الأوان نفسه الذي يواكب عملية إنجازها"<sup>1</sup>، فهذا النشاط الإنساني الذي يجمع بين الأشياء والأشخاص والأفكار في آن واحد هو الذي يميّز المجتمعات، لأنه يحقق ما يسمى بالتغيير الاجتماعي، والذي هو كل تحول يحدث في النظم والأنساق والأدوار والمراكز الاجتماعية، سواء من الناحية الديناميكية أو الوظيفية خلال مراحل زمنية متتالية، فالجماعات التي لا تستطيع تحقيق التغيير الاجتماعي في علاقاتها الجدلية مع التاريخ لا يمكن إطلاق عليها مصطلح "المجتمع"، لأن التغيير هو سمة من سمات المجتمعات البشرية، ووسيلة من وسائل التحدي لتحقيق النمو والبقاء.

عملية التغيير الاجتماعي هي عملية إنسانية ومهمة الانسان فوق الأرض، فالإنسان في هذه المعمورة له رسالة حياتية يؤديها، وعن طريق إنجاز هذه المهمة يتم صنع التاريخ، فالشعوب تصنع تاريخها على أوطانها من خلال ما تنتجه من أفكار وأشياء، فعلاقة الانسان مع عالم أفكاره وعالم أشيائه علاقة تفاعلية إنتاجية، لا علاقة تكديس كما تفعل بعض الشعوب حيث تظن أن تكديس الأشياء يبني حضارة، ويصنع تاريخ.

مالك بن نبي يركز على عملية التغيير الاجتماعي باعتبارها تعمل على خلق الديناميكية اللازمة لبناء ما يسمى بـ: "شبكة العلاقات الاجتماعية"، فالفرد في الفكر البنبي لا يمكن له ان يساهم في التغيير دون أن ينضم الى شبكة من العلاقات الاجتماعية، فالنزعة الاجتماعية والسعي الى المشاركة الفعالة في النشاط المجتمعي ضمن الجماعة الإنسانية التي ينتمي إليها هي التي تحقق هذا التغيير فلا يمكن لمجموعة من الأفراد أن تحقق التغيير المنشود وبناء ما يشكل المجتمع دون هذه الشبكة من العلاقات الاجتماعية التي تتجدد من خلال النشاط الحركي وتفاعل عوالمها الثلاثة.

<sup>1</sup> مالك بن نبي، القضايا الكبرى، مرجع سابق، ص98.

## الفصل الثالث: الدلالات القصدية للتربية الاجتماعية في فكر مالك بن نبي -

ولهذا يرى مالك بن نبي أن العمل الأول في تحقيق التغيير الاجتماعي هو تغيير الفرد من فرد الى شخص وذلك عن طريق تغيير صفاته البدائية، لأن الشخص هو الذي يبني حضارة "الشخص في ذاته ليس مجرد فرد يكون النوع، وإنما هو الكائن المعقد الذي ينتج حضارة، وهذا الكائن هو في ذاته نتاج الحضارة، إذ هو يدين لها بكل ما يملك من أفكار وأشياء"<sup>1</sup>، وعملية تغيير الفرد منوط بالثقافة "إن الثقافة هي المحيط الذي يصوغ كيان الفرد، كما أنها مجموع من القواعد الأخلاقية والجمالية... الخ"<sup>2</sup>.

فالعلاقة انعكاسية بين الفرد والمجتمع بثقافته وحضارته، فالفرد هو ناتج تلك الثقافة والحضارة، تصوغه الثقافة عن طريق مجموع من القواعد الأخلاقية والجمالية حيث توجه سلوكياته نحو الفعالية الاجتماعية التي تنتج حضارة جديدة تمكنه من العيش في وضع يسمح له باستغلال كل الإمكانيات المتاحة "الحضارة هي مجموعة الشروط التي تكون في مجتمع ما، من ناحية إرادة تقديم جميع الضمانات، إرادة تكفل جميع حاجات الفرد المنتمى إلى هذا المجتمع، ومن ناحية ثانية توفر الإمكانيات المادية لاحتضانه ورعايته طيلة حياته"<sup>3</sup>، وهو بتفاعله مع عالمي الأفكار والأشياء يصنع حضارة جديدة.

لأن الحضارة عند مالك بن نبي هي إرادة المجتمع في تقديم ضمانات لتوفير الحياة الكريمة للأفراد منذ الولادة حتى الممات، ويسعى لتوفير الإمكانيات المادية التي تمكنهم من تحقيق هذا، ولهذا كل مجتمع يختلف عن الآخر في الصورة النمطية لهذه الحياة الكريمة

يتعدى مالك بن نبي التوصيف التقليدي للمجتمع الذي هو عبارة عن مجموعة من الأفراد الذين يعيشون معاً في نظام اجتماعي محدد، يتشكل بواسطة العلاقات الاجتماعية دون وجود تفاعلات تجري بين فئاته وأفراده مع عالم الأشياء والأفكار، "في التاريخ القريب أي في الأربعين سنة أو الخمسين سنة التي مضت، أدى بنا إلى

<sup>1</sup> بن نبي، ميلاد مجتمع، مرجع سابق، ص 29.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 32.

<sup>3</sup> مالك بن نبي، في الحضارة و في الإيديولوجيا، مرجع سابق، ص 54.

## الفصل الثالث: الدلالات القصدية للتربية الاجتماعية في فكر مالك بن نبي -

غلطات ارتكبتها، لأننا لم ندقق في مصطلحات الاجتماع، ففهمنا أن المجتمع هو عبارة عن عدد من الأفراد، يعيشون كما يشاؤون مهما كانت الصلات بينهم، ليس هذا هو المجتمع"<sup>1</sup>، يؤكد بن نبي أن اعتبار عدد من الأفراد، دون تحديد ومعرفة الصلات التي تجمعهم مجتمع غلطة تم ارتكابها، لأن هؤلاء لا بد أن يكونوا مكيفين مع أسلوب حياة المجتمع.

كما يقول: "إن المجتمع ليس مجرد عدد من الأفراد، وينبغي هنا أن وحدة المجتمع ليست الفرد، ولكنها الفرد المشروط - المكيف - فإن الطبيعة تأتي بالفرد في حالة بدائية، ثم يتولى المجتمع تشكيله، ليكيفه لأهدافه الخاصة"<sup>2</sup>

فالتعريفات كالتي أشار إليها عاطف غيث لا تشكل عند بن نبي مجتمع: " ليس هناك تعريف محدد ومقبول لمصطلح المجتمع لأن الاستخدامات الثلاثة الشائعة له تشير إلى جوانب هامة من الحياة الاجتماعية، فالمعنى العام يعني مجموع العلاقات الاجتماعية بين الناس، أو هو كل تجمع للكائنات الإنسانية، من الجنسين، ومن كل المستويات العمرية يرتبطون معا داخل جماعة اجتماعية لها كيان ذاتي ونظمها وثقافتها المتميزة، أو أنه النظم والثقافة التي تتحقق عند جماعة من الناس و هذا التعريف وثيق الصلة بالتعريف السابق، و هما يشيران إلى عنصرين أساسيين في التحليل السوسولوجي، أن الإنسان يعيش في جماعات، وأن سلوك الناس يتأثر بالمعايير والقيم"<sup>3</sup>.

ويمكن تصنيف المجتمعات حسب مُجَدِّ عاطف غيث بناءً على العديد من العوامل، بما في ذلك الثقافة والتقاليد والاقتصاد والدين. وتشكل العلاقات الاجتماعية دورًا حيويًا في تحقيق التكافل والترابط بين الأفراد، ومن المهم العمل على تعزيز قيم التسامح والتفاعل الإيجابي لتحقيق المزيد من التعايش السلمي بين أفراد المجتمع.

<sup>1</sup> مالك بن نبي، تأملات، ترجمة مسقاوي، عمر كامل، دار الفكر، بيروت، ط14، 2017، ص157.

<sup>2</sup> بن نبي، ميلاد مجتمع، مرجع سابق، ص65.

<sup>3</sup> مُجَدِّ عاطف غيث، مرجع سابق، ص416.

## الفصل الثالث: الدلالات القصدية للتربية الاجتماعية في فكر مالك بن نبي -

كما أن تعريف مالك بن نبي يقترب من مفهوم ماكيفر الذي عرفه من قبل بأنه "نسيج من العلاقات الاجتماعية، وأخص صفات المجتمع أنه لا يثبت على حال"<sup>1</sup>، فقد بين أن الصفة الأساسية للمجتمع هي الحركة والديناميكية التي تعمل على تغيير نسيج العلاقات الاجتماعية، فهذه العلاقات لا تثبت على حال وتغيرها يغير واقع وحال المجتمع.

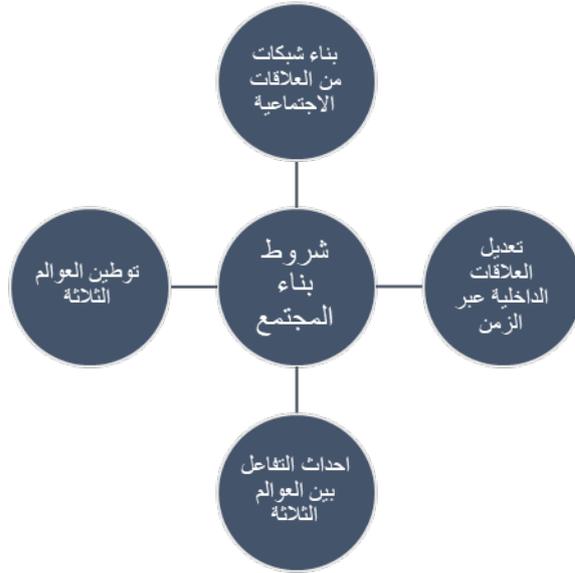
و حركة سير المجتمع قد تكون في الطريق الصحيح وبالتالي تحقق التنمية والتقدم، وقد تكون في اتجاه معاكس فيحدث التخلف والتقهقر وهو ما أشار إليه مالك بن نبي بقوله: "إِنَّ تَطَوُّرَ الْجَمَاعَةِ يُؤَدِّي بِهَا إِلَى شَكْلِ رَاقٍ مِنْ أَشْكَالِ الْحَيَاةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ، وَإِنَّمَا أَنْ يَسُوَّقَهَا عَلَى عَكْسِ ذَلِكَ إِلَى وَضْعٍ مَتَخَلِّفٍ"<sup>2</sup>، أن الحركة والديناميكية من سمات الجماعات الإنسانية، وقد قسمها أوجست كونت من قبل إلى قسمين: المجتمعات الديناميكية و المجتمعات الاستاتيكية، أي المجتمعات التي في حركة دائمة ومستمرة، وأخرى ثابتة ومستقرة، ولكن مالك بن نبي يرفض اطلاق وصف المجتمع على المجتمعات البدائية التي هي في حالة استاتيكا دائمة، "فتجمعات الأفراد الذين لا يعدل الزمن من علاقتهم الداخلية، ولا تتغير أشكال نشاطهم خلال المدة، لا تعد من التجمعات الخاصة التي نقصدها بمصطلح (مجتمع).

والجماعات الانسانية المقصودة منذ (ليني بريل)، بعبارة (المجتمعات البدائية) التي لا تتغير صورة حياتها، كما لا تتغير مستعمرات النمل خلال آلاف السنين، هذه الجماعات خارجة عن نطاق التحديد"<sup>3</sup>، فالجماعات الإنسانية التي تدخل في تحديد المجتمع حسب مالك بن نبي لا بد أن تتوفر فيها الشروط في الرسم التوضيحي التالي كالتالي:

<sup>1</sup> م. ماكيفر و شارلز لزيج، المجتمع، ترجمة علي احمد عيسى (القاهرة: مطبعة النهضة المصرية، 2000)، 16.

<sup>2</sup> بن نبي، ميلاد مجتمع، مرجع سابق، ص 18.

<sup>3</sup> المرجع نفسه 16.



شكل رقم 14: شروط بناء المجتمع

## 2-2 التربية الاجتماعية مجموعة من القواعد:

يقول مالك بن نبي: "إذا قلنا إن هناك تربية اجتماعية فإن قواعدها العامة ينبغي أن تستسقى من علم

التاريخ، وعلم الاجتماع، وعلم النفس"<sup>1</sup>

القواعد التاريخية: ان القواعد الأساسية للتربية الاجتماعية عند مالك بن نبي هي قواعد تاريخية تستسقى

من علم التاريخ، ذلك العلم الذي يعرفه جاسم محمد سلطان بأنه " هو ذلك الفرع من المعرفة الإنسانية الذي

يستهدف جمع المعلومات عن الماضي وتحقيقها وتسجيلها وتفسيرها، فهو يسجل أحداث الماضي في تسلسلها

وتعاقبها، ولكنه لا يقف عند تسجيل هذه الأحداث، وإنما يحاول -عن طريق إبراز الترابط بين هذه الأحداث

وتوضيح علاقة السببية بينها- أن يفسر التطور الذي طرأ على حياة الأمم والمجتمعات والحضارات المختلفة، وأن

يبين كيف حدث هذا التطور ولماذا حدث"<sup>2</sup>، فعلم التاريخ اذا ليس عملية تسجيل الحوادث عبر تسلسلها الزمني

<sup>1</sup> بن نبي، ميلاد مجتمع، مرجع سابق، ص 85.

<sup>2</sup> جاسم محمد سلطان، فلسفة التاريخ الفكر الاستراتيجي في فهم التاريخ، مؤسسة أم القرى للترجم والتوزيع: المنصورة، 2005، ص 9.

## الفصل الثالث: الدلالات القصدية للتربية الاجتماعية في فكر مالك بن نبي -

فقط، بل هو علم يتعدى ذلك إلى محاولة إبراز الأحداث والروابط التي تربطها ببعض البعض، وهذا ما يساعد على تفسير حركة المجتمعات.

واعتبره من قبل ابن خلدون "فن عزيز المذهب جم الفائدة، شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على الماضيين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم، حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا، فهو محتاج إلى مآخذ متعددة ومعارف متنوعة، وحسن نظر وثبت يفضيان بصاحبهما إلى الحق"<sup>1</sup>، فالتاريخ عند ابن خلدون ليس مجرد نقل الأخبار والوقوف على ماضي الأمم وأخلاقهم وسير الأنبياء، فهم فن جم الفائدة ولكن لا تتم الفائدة إلا بحسن النظر فيه والتثبت من الأخبار باستعمال قواعد السياسة وطبيعة العمران.

فعلم التاريخ علم يعتمد على التحليل والنقد للأحداث ولا يقف أمامها مجرد الوصف، فكل الحوادث التاريخية تحمل في طياتها أسباب حدوثها يحاول علم التاريخ استخراجها واستنباط القوانين التي تحكمها وذلك من أجل معرفة المسببات الحقيقية للحدوث موضوع الدراسة.

ينظر مالك بن نبي الى التاريخ ليس كحوادث تاريخية بل كقواعد تحمل الصورة النظرية والواقعية لثوابته، وهذه القواعد التي يطلق عليها السنن الكونية أو السنن الالهية هي التي تسيّر الكون، والوعي بهذه القواعد أو السنن الكونية هو منظور قرآني، لهذا قال تعالى: "قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ" آل عمران 137، وقوله تعالى: "فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا" فاطر 43، فهذا الكون تسييره قواعد وسنن ثابتة، وهي التي تؤثر في حركة مصير المجتمعات، والاستخلاف في الأرض، "هذا هو مركز اهتمام القرآن، وهذا لب المنظور السنني الكوني

<sup>1</sup> عبد الرحمان بن خلدون، مقدمة بن خلدون، دار الفجر للتراث، القاهرة، ط2، 2010، ص 21.

## الفصل الثالث: الدلالات القصدية للتربية الاجتماعية في فكر مالك بن نبي -

الشمولي التكاملي الذي جاء بيني الوعي البشري به<sup>1</sup> فالإمام بالسنن الكونية والقواعد العامة الثابتة التي تتحكم في حركة المجتمعات هو وعي يتربى عليه الأفراد من أجل التحكم في تطور الجماعات الانسانية، وحركة العلوم الكونية والاجتماعية والانسانية، لأن هذه السنن هي قواعد أو قوانين من ميزتها الثبات النسبي.

والقواعد التاريخية هي قواعد عامة ثابتة تنطبق على الكل، ويتركز الفكر البنني على مراحل تطور المجتمع،

حيث أن المجتمعات في جدليتها مع الزمن تمر بمراحل لخصها في الشكل التالي:



شكل رقم 15: مراحل الحضارة عند مالك بن نبي \*

**مرحلة الروح:** هي مرحلة أولى ويرى أنها يمكن أن تفسر بلغة علم الاجتماع بأنها مرحلة التضامن القوي بين أفراد المجتمع، ومثلها بكثافة شبكة العلاقات الاجتماعية، أي تكون روابط هذه الشبكة متينة، وهي التي عبر عليها القرآن بالبنيان المرصوص، واستعمال مصطلح البيان المرصوص دليل على ذلك القوة والايجابية، وهذه المرحلة هي أنشط المراحل، والعصر الذهبي لكل مجتمع، لأن فيها يعيش الفرد مرحلة يحس بالمصير المشترك مع من يقاسمهم العيش، ويقوي الشعور بالارتباط الوجداني بهم، وقوة هذا الرباط مما يجعله يعمل على المحافظة على هذا الوضع، وتصبح الاجتماعية تسودها طابع القداسة يمكنها أن تحقق الاستمرار

<sup>1</sup> الطيب برغوث، مدخل سنني إلى النظرية الكلية في فقه العمران في ضوء القرآن الكريم، دار النعمان للطباعة والنشر، برج الكيفان، 2017، ص 21 .  
\* أنظر كتاب شروط النهضة لمالك بن نبي

## الفصل الثالث: الدلالات القصدية للتربية الاجتماعية في فكر مالك بن نبي -

ومن ميزات هذه المرحلة الديناميكية النشطة، ولا يسمح فيها لأي تقاعس وسكون، حيث يدرك الأفراد الأهمية الكبرى للتواصل مع الآخر ومعنى العيش في جماعة والمحافظة عليها عن طريق الحركة والنشاط الفعال، "العلاقة الاجتماعية التي تربط الفرد بالمجتمع هي في الواقع ظل العلاقة الروحية في المجال الزمني<sup>1</sup>

**مرحلة العقل:** إذا كان في المرحلة الأولى يسعى أفراد المجتمع الى نسج شبكة العلاقات الاجتماعية وتمتين روابطها، ففي المرحلة الثانية والتي سماها مالك بن نبي بمرحلة العقل يسعى للتمتع بها، ويمكن لبعض الأفراد ان يكونوا في سعة من أمرهم فليخلدوا للراحة والسكون وهي المرحلة التي وصفها ابن خلدون بمرحلة الترف، وفي هذه المرحلة تبدأ النزعة الروحية في فقد سيطرتها على السلوك الاجتماعي والفرد في فاسحة المجال للنزعة العقلية التي تترك الحرية للغرائز " هذا العقل لا يملك سيطرة الروح على الغرائز، وحينئذ تشرع الغرائز في التحرر من قيودها بالطريقة التي شاهدناها في عهد بني أمية إذ أخذت الروح تفقد نفوذها بالتدريج، كما كف المجتمع عن ممارسة ضغط على الفرد"<sup>2</sup>.

مرحلة العقل تمتاز بالسعة في العيش، بحيث بفضل تطور العلوم وتنوع الصنائع يبدأ تعيّر في الطباع التي لها علاقة بالاستهلاك والتكديس، وتفقد الروح فيها نفوذها بالتدرج، وتبدأ النفس تميل الى الترف مستجيبة لنداء الغرائز، وتقل الضوابط الاجتماعية التي تضبط سلوكيات الفرد.

### مرحلة الغريزة:

فالمرحلة والتدرج وعدم القفز عن المراحل من شروط وقواعد التربية الاجتماعية عند مالك بن نبي، لتحقيق هذه التربية لأهدافها لا بد أن تلتزم بإحدى سنن التغيير الاجتماعي، وهي المرحلية حتى يستطيع المجتمع تفجير

<sup>1</sup> بن نبي، ميلاد مجتمع، مرجع سابق، ص 56.

<sup>2</sup> بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 76.

## الفصل الثالث: الدلالات القصدية للتربية الاجتماعية في فكر مالك بن نبي -

الطاقة الحيوية لدى أفرادها، هذه الطاقة التي يمكنها ان تلعب الدور الأساسي في تحقيق الفعالية الانجازية لمشروع النهضة الحضارية للمجتمع.

يتنقل المجتمع تدريجيا من مرحلة سيطرة النزعة الروحية على الطاقة الحيوية وتنظيمها الى المرحلة العقلية التي يقل فيها السيطرة على الغرائز، حتى يدخل في مرحلة أخرى فتصبح الغرائز المتحكمة في سلوكيات الفرد" في هذه الوضعية يفقد الدين أي نوع من الاشعاع الاجتماعي، ويتوقف عن أداء وظيفته الاجتماعية والتربوية المتمثلة في تكييف الطاقة الحيوية البشرية وتأهيلها وتوجيهها للمساهمة في تجسيد المثل العليا للمجتمع في التاريخ"<sup>1</sup>، مرحلة يفقد الدين فيها وظيفته الدينية والتربوية في توجيه الأفراد وتكليفهم مع فلسفة المجتمع الأخلاقية وقيمه، وبهذا يفقد اشعاعه الاجتماعي والتأثير في سلوكيات الأفراد، ويُفسح المجال للغرائز كي تتحكم في تصرفات الأشخاص لتصبح الموجه لهم، ويبدأ تضخم الأنا على حساب نحن، فيغرق المجتمع في انحطاط أخلاقي وثقافي، ويفقد الفعالية الاجتماعية والتنظيمية للمجتمع.

**القواعد الاجتماعية:** وهي القواعد التي تستسقى من علم الاجتماع، ذلك العلم الذي يحاول فهم الحياة الاجتماعية، واستخراج القواعد العامة التي تحكم العلاقات الاجتماعية، ويحاول رصد حركة النشاطات الثقافية والاجتماعية والعمرانية للمجتمع، أي رصد التغيير الاجتماعي الذي يحصل في البناءات الاجتماعية، كما يركز على معرفة الخصائص الفكرية والثقافية والظواهر الاجتماعية، وقد سماه من قبل ابن خلدون بال عمران البشري الذي يدرس الاجتماع البشري باعتبار أن الانسان مدني بالطبع، أي لا بد له من الاجتماع الذي هو المدينة في اصطلاح الحكماء وهو معنى العمران.

ويعرف انتوني غيدنز علم الاجتماع بأنه "علم معني بدراسة الحياة الاجتماعية والجماعات والمجتمعات الانسانية، إنه مشروع مذهل وشديد التعقيد لأن موضوعه الأساسي هو سلوكنا ككائنات اجتماعية، ومن هنا

<sup>1</sup> عمر نقيب، مقومات مشروع بناء إنسان الحضارة في فكر مالك بن نبي التربوي، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط3 2017، ص 171 .

## الفصل الثالث: الدلالات القصدية للتربية الاجتماعية في فكر مالك بن نبي -

نطاق الدراسة الاجتماعية يتسم بالاتساع البالغ، ويتراوح بين تحليل اللقاءات العابرة بين الأفراد في الشارع من جهة، واستقصاء العمليات الاجتماعية العالمية من جهة أخرى<sup>1</sup>.

يدرس علم الاجتماع الواقع الاجتماعي كما هو في طبيعته ويحاول القواعد التي تحكم العلاقات الاجتماعية الناتجة عن التفاعل الاجتماعي بين الأفراد من خلال عمليات التواصل بينهم، هذه العمليات التي يجب أن يحكمها نظام اجتماعي قيمي " يشهد تاريخ الحضارات الإنسانية بأن النهوض الحضاري في مختلف تعرجات التاريخ ومنعطفاته، كان مرهونا بتحولات نوعية في أنظمة القيم الثقافية والاجتماعية السائدة، فالقيم هي نوابض الفعل الإنساني، ومن غيرها لا يمكن للمجتمعات الإنسانية أن تسعى إلى أمجادها الحضارية<sup>2</sup>

**القواعد النفسية:** وهي مجموعة من القواعد يعمل علم النفس على صياغتها من أجل تكييف الفرد لأن حسب مالك بن نبي " أن وحدة المجتمع ليست الفرد، ولكنها الفرد المشروط (المكيف)"<sup>3</sup>، وعلم النفس يدرس السلوك الفردي للإنسان حيث يعرفه مصطفى سوييف بأنه: "علم موضوعي، يدرس كثيرا من جوانب سلوك الإنسان وخبراته بطرق العلم التجريبي العريقة في تاريخ الإنسانية، وأنه بهذه الدراسات أصبح قادرا على خدمة الإنسان في كثير من ميادين الحياة"<sup>4</sup>، والسلوك هو جميع الأنشطة التي يقوم بها الإنسان وتجعله يمتلك خبرات حياتية يعمل علم النفس على محاولة فهم هذه الأنشطة وكيفية بناء الخبرات الحياتية.

### 2-3 التربية الاجتماعية وعلاقتها بأسلوب حياة المجتمع:

يقول مالك بن نبي أن: " كل فكرة على التربية الاجتماعية يجب أن تصدر من هنا: إنه لكي يمكن التأثير في أسلوب الحياة في مجتمع ما، وفي سلوك نموذج الذي يتكون منه، وبعبارة أخرى: لكي يمكن بناء

<sup>1</sup> غيدندر انتوني وكارين بيردسال، علم الاجتماع - مع مدخلات عربية -، ترجمة فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط4 2001، ص 47.

<sup>2</sup> علي أسعد وطقة، التربية والحدائث في الوطن العربي، ط1 (الكويت): لجنة التأليف والتعريب والنشر جامعة الكويت، 2013، 213.

<sup>3</sup> مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مرجع سابق، ص 65.

<sup>4</sup> عمر لعويوة، علم النفس التربوي، مؤسسة حسين رأس الجبل للنشر والتوزيع، قسنطينة، 2017، ص 10.

## الفصل الثالث: الدلالات القصدية للتربية الاجتماعية في فكر مالك بن نبي -

نظام تربوي اجتماعي ينبغي أن تكون لدينا أفكار جد واضحة، عن العلاقات والانعكاسات التي تنظم استخدام الطاقة الحيويّة في مستوى الفرد، وفي مستوى المجتمع<sup>1</sup>.

يرى مالك بن نبي أن الأساس الذي توضع عليه التربية الاجتماعية هو التأثير في أسلوب حياة المجتمع، أي تغييره أو تعديله، والفكرة التي تستطيع أن تغير بها أسلوب حياة مجتمع هي الفكرة الواضحة الجليّة، حول نظام العلاقات الاجتماعية وانعكاساته، هذا النظام الذي جاء أصلاً لينظم استخدام الطاقة الحيويّة على مستوى الفرد والمجتمع.

لكي تستطيع التأثير في أسلوب حياة المجتمع لا بد من وجود نظام تربوي اجتماعي مستخلص من الواقع الاجتماعي، لا مستورد من بيئة أخرى، فنتيجة هذا النظام ضرورية لأنه نتاج البيئة الاجتماعية ونتاج نظام العلاقات الاجتماعية، فاستيراد الأنظمة لا يمكن أن يتلاءم البيئة الجديدة لأنه في أصله ناتج نظام علاقات اجتماعية أخرى. ويتكلم مالك بن نبي عن عملية بناء النظام التربوي الاجتماعي، وعندما نقول بناء نستحضر في ذهننا التخطيط، فالبناء يستلزم التخطيط له، والتخطيط يركز على أسس متينة وقويّة، من أجل أن يكون البناء سليم ومتين ولا تمزه الرياح والعواصف.

النظام التربوي هو مجموعة من المناهج التربوية المستمدة من فلسفة تربوية، والوسائل اللازمة لتطبيقه، وهو أيضاً مجموعة من الأسس والقيّم والمبادئ والإجراءات التي يعتمد عليها المجتمع في تربية الجيل الناشئ على الضوابط الخلقية والقانونية التي يجب أن تنظم حياتهم وعلاقاتهم الاجتماعية، ولهذا بناء هذا النظام يجب أن وفق أسس وقيّم منبثقة من فلسفة المجتمع.

<sup>1</sup> بن نبي، ميلاد مجتمع، مرجع سابق، ص 78.

## الفصل الثالث: الدلالات القصدية للتربية الاجتماعية في فكر مالك بن نبي -

فالنظام التربوي المبني على أسس سليمة يعمل على تنظيم العلاقات الاجتماعية ونظام انعكاساتها، وهذا النظام يعمل على تنظيم استخدام الطاقة الحيوية على مستوى الفرد والمجتمع مما يجعلها طاقة إيجابية وفعالة، يجب على الفرد تلبية حاجاته الحيويّة مهما كان نوع الحياة التي يجيها، سواء أكان منعزلاً مثل حي بن يقظان أم كان ساكناً في مدينة كبيرة.

لذا يتعين عليه أن ينفق من طاقته الحيويّة التي حُصّت بها طبيعته، غير أن الطاقة هذه - وهي في طبيعتها البهيميّة - لا تندمج مع الحياة في المجتمع، فاندماج الفرد الاجتماعي يجب أن يراعى احتياجاته من ناحية، واحتياجات المجتمع الذي يندمج فيه من ناحية أخرى<sup>1</sup>، فاستخدام الطاقة الحيوية التي هي من طبيعة الانسان، ضرورة من ضرورات الحياة، ويجب على الفرد تلبية حاجاته الحيويّة، مهما كانت الظروف أو الحياة التي يجيها سواء كانت انعزال عن المجتمع كحياة حي بن يقظان، أو كان يسكن مدينة كبيرة، وسبق وقد تم الإشارة على الحاجات التي يحتاجها الانسان كما حددها ابراهام ماسلو: الحاجات الفيسيولوجيّة، الحاجة الاجتماعية، الحاجة للأمن، الحاجة للتقدير والحاجة لتحقيق الذات.

ولكن تلبية هذه الحاجات يجب أن تكون منسجمة مع حاجات المجتمع من جهة، وكذلك منسجمة مع قيم ومعايير المجتمع حتى يتحقق الاندماج الاجتماعي للفرد، ولهذا كان لابد من تنظيم هذا الاستخدام عن طريق النظام التربوي الاجتماعي ووسائل الضبط "والمجتمع في الواقع يفرض قواعد وضوابط وقوانين وتقاليد"<sup>2</sup>، فهذه القواعد والضوابط هي من تنظم الاستجابات لهذه الطاقة الحيوية، وذلك عبر طريقين: طريق التربية الاجتماعية وتنشئة الأفراد على قيم ومعايير المجتمع وما تفرضه من قواعد وقوانين وتقاليد، أو عن طريق وسائل الضبط التي تعمل على فرض القواعد والقوانين التي تنظم المجتمع على يرضون الالتزام بها.

<sup>1</sup> مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص 49.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 49.

## الفصل الثالث: الدلالات القصدية للتربية الاجتماعية في فكر مالك بن نبي -

فالفرائز وإشباع الحاجات إما أن تتركها حرة كبعض المجتمعات والتي أصبحت اليوم تعاني من تضخم الأنا والانحدار الخلقي نحو البهيمية، أو تنظيمها من أجل السير بالمجتمع نحو الهدف المنشود من حركته التاريخية، أو كبتها وجعل الأفراد يعيشون الأزمات النفسية.

### 2-4 التربية الاجتماعية والفكرة الدينية:

"إن الفكرة الدينية تحدث تغييرها حتى في سمت الفرد ومظاهره، حين تغير في نفسه، وبذلك يكون لمنهج التربية الاجتماعية أثره في تجميل ملامح الفرد، أي إن مجموعة من الانعكاسات تؤدي إلى خلق صورة جديدة، كأنها تمثل وجه جديد"<sup>1</sup>، في تحليله لنظام شبكات العلاقات الاجتماعية وانعكاساته يركز مالك على دور الفكرة الدينية في أحداث التغيير في سمت الفرد ومظاهره والمقصود به هنا طبائعه في السلوك والمظهر، فهو يرى بأن الدين هو وسيلة روحية تعمل على بناء الأشخاص وتؤسس لعملية نسج شبكة العلاقات الاجتماعية، مما ينشئ الشعور الاجتماعي الموحد، هذا الشعور الذي يمكن أن يؤسس للقيام بعمل مشترك بين أطراف شبكة العلاقات الاجتماعية.

فنظام العلاقات الاجتماعية وانعكاساته المفحم بالفكرة الدينية يعطي فعالية أكبر لتطور ونمو المجتمع، لأن الدين حسب مالك بن نبي "ظاهرة كوتية تحكم فكر الإنسان وحضارته، كما تحكم الجاذبية المادة وتتحكم في تطورها، والدين على هذا ما يبدو وكأنه مطبوع في النظام الكوني، قانونا خاصا بالفكر، الذي يطوف في مدارات مختلفة، من الإسلام الموحد إلى أحط الوثنيات البدائية"<sup>2</sup>، السلوك البشري وتفكيره هو نظام من الانعكاسات لمعتقداته الدينية.

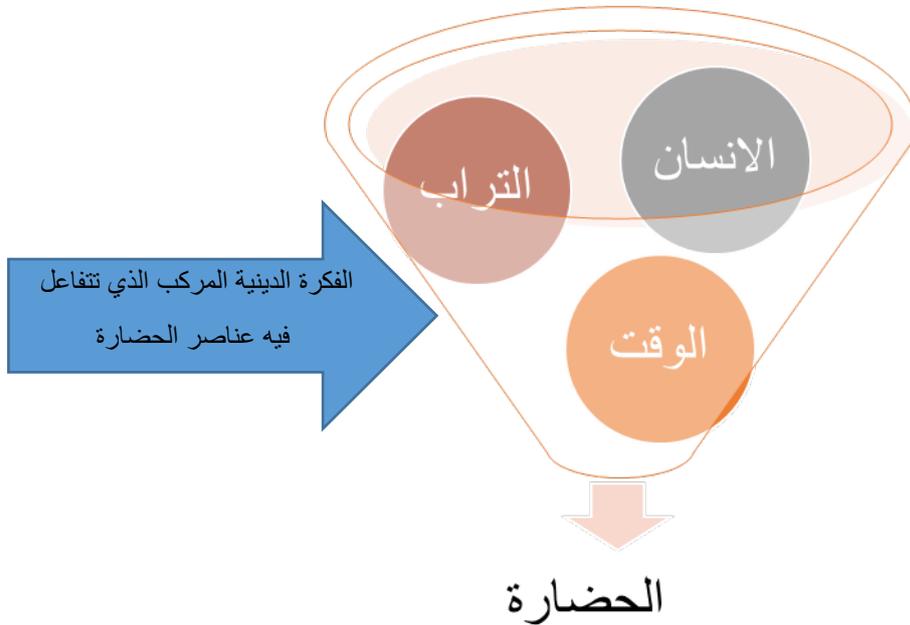
<sup>1</sup> بن نبي، ميلاد مجتمع، مرجع سابق، ص 80.

<sup>2</sup> مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ترجمة عبد الصبور شاهين، ط04 (دمشق-سورية: دار الفكر، 2000)، 300.

## الفصل الثالث: الدلالات القصديّة للتربية الاجتماعيّة في فكر مالك بن نبي -

الفكر البشري يدور دائما حول الفكرة الدينيّة، سواء كانت هذه الفكرة الدينيّة صحيحة أو خاطئة، فكرة رويّة أو ماديّة، وبالتالي سلوك البشر يكون في مدار هذا الفكر، وحتى القواعد الاجتماعيّة التي تعتمد عليها التربية الاجتماعيّة في توجيه المجتمع تستمد مبادئها من هذه الفكرة.

الدين ليس مجرد مجموعة من الطقوس التبعديّة كما يريد أن يشيعه بعض رافضي الفكر الديني، بل هو نسق من الأفكار والسلوك والأخلاق توجه الفرد والمجتمع، وهو أيضا المركب الحيوي الذي تتفاعل فيه عناصر الحضارة الانسان - التراب - الوقت، لتنتج لنا حضارة إنسانيّة.



شكل رقم 16: تفاعل عناصر الحضارة في وسط الفكرة الدينية

موضوع التربية الاجتماعيّة:

## الفصل الثالث: \_\_\_\_\_ الدلالات القصدية للتربية الاجتماعية في فكر مالك بن نبي -

❖ موضوع التربية الاجتماعية هو تغيير الصفات النوعية الخاصة بالفرد، إلى

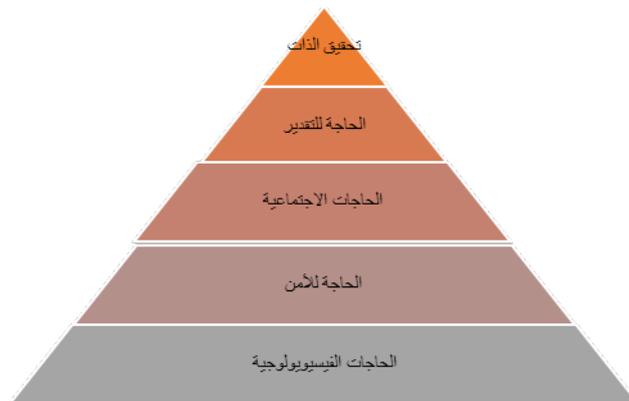
صفات اجتماعية تحدد معالم الشخص، أعني تغيير الطاقة الحيوية المنطلقة بواسطة الغرائز إلى

طاقة اجتماعية خاضعة لمراقبة نظام الانعكاسات المتكونة لدى الفرد بفضل تكييفه.

ان التربية الاجتماعية عند مالك بن نبي هي تربية تغييرية، لهذا أشار الى أن موضوعها هو تغيير الصفات النوعية الخاصة بالفرد، الى صفات اجتماعية هذه الأخيرة هي من تحدد معالم هوية الفرد وشخصيته، أي تغيير الفرد الخام ذو الصفات النوعية الى شخص مكيف يحمل صفات اجتماعية.

الفرد الخام: استعمل مالك بن نبي مفهوم الفرد الخام للدلالة على الانسان في حالته البدائية من حياته، الانسان الذي هو يملك صفات نوعية طبيعية، لم يتعرض لتجارب الحياة وخبراتها، ومحاولات التطبيع الاجتماعي من أجل الاندماج في الحياة الاجتماعية.

يملك الفرد الخام مجموعة من الطاقات الحيوية الكامنة في أغواره ذاته الداخلية، وتنطلق في شكل من أشكال الاستجابة لإشباع غرائزه، والتي عبر عليها ماسلو بإشباع الحاجات، فالفرد الخام ينطلق في إشباع غرائزه أو حاجته دون ضوابط أو قيد، مستعملا الطاقة الحيوية لتحقيق هذا الإشباع.



شكل رقم 17: سلم الحاجات عند ماسلو

## الفصل الثالث: الدلالات القصدية للتربية الاجتماعية في فكر مالك بن نبي -

❖ ليس الهدف من التربية الاجتماعية أن نعلم الناس أن يقولوا أو يكتبوا

أشياء جميلة، ولكن الهدف أن نعلم كل فرد فن الحياة مع زملائه، أعني: أن نعلمه كيف

يتحضر.

يرى مالك بن نبي أن الهدف من التربية الاجتماعية ليس التعليم والذي يقصد به نحو أمية الفرد من خلال تعليمه الكتابة والقراءة، وإنما تهدف الى تعليم الفرد فن الحياة مع الآخر، مع زملائه مع من يتشارك معهم في شبكة العلاقات الاجتماعية، ويقصد تعليم الفرد كيف يتحضر" والتحضر هو التغير والتحول الجذري الذي يطرأ على تفكير الأفراد وسلوكهم وقيمهم الاجتماعية والتغير في وجهات النظر والمواقف تجاه العمل"<sup>1</sup>، إذا فالتحضر هو عملية تغيير في التفكير، والتفكير المقصود به هنا هو التحول من الأنا إلى نحن من التفكير في مصلحة الفرد الى التفكير في المصلحة العامة، وتغيير السلوك الفردي عن عملية تربيته على عناصر ثقافية بديلة تؤثر في نفسيته وفي سلوكه، وتكسبه أيضا مجموعة من القيم، ويركز مالك بن نبي على مجموعة من القيم:

- قيمة العيش المشترك

- قيمة المسؤولية الاجتماعية

- قيمة الفعالية الاجتماعية

3- مفهوم التحضر عند مالك بن نبي:

وعند مالك بن نبي التحضر هو " أن يتعلم الانسان كيف يعيش مع غيره، ويدرك في الوقت ذاته الأهمية الرئيسية لشبكة العلاقات الاجتماعية في تنظيم الحياة الانسانية من أجل وظيفتها التاريخية"<sup>2</sup>، إدراك الفرد أهمية شبكة العلاقات الاجتماعية في تنظيم الحياة الإنسانية، هو إدراك لمعنى العيش في جماعة، وما تقتضيه من

<sup>1</sup> أحمد كمال وكرم حبيب، علم الاجتماع الحضري، دار الجيل للطباعة، القاهرة 1973، ص 69.

<sup>2</sup> بن نبي، ميلاد مجتمع، مرجع، ص 94.

## الفصل الثالث: الدلالات القصدية للتربية الاجتماعية في فكر مالك بن نبي -

المحافظة على روح هذه الجماعة من خلال القيام بالواجبات المنوطة به، فأداء الواجبات يمتن الروابط الاجتماعية ويعطي الفاعلية لشبكة العلاقات الاجتماعية،

### 3-1 شبكة العلاقات الاجتماعية ودورها في تنظيم الحياة الاجتماعية:

تلعب شبكة العلاقات الاجتماعية دورا بارزا في تنظيم الحياة الاجتماعية، من خلال تنظيم الروابط والعلاقات بين أفراد المجتمع أو بين الجماعات المكونة سواء كانت جماعات إثنية أو جماعات ثقافية\*

### 3-2 التحضر هو المواطنة:

والتحضر هو عملية إكساب السلوك الحضاري، والسلوك الحضاري حسب تشارلز كيسلر هو المواطنة، حيث أنه يعتبر أن مصطلحات المواطنة والسلوك الحضاري والمدنية متجانسة ومشتقة من اللاتينية Civic<sup>1</sup>، ومنه يمكن القول أن التحضر هو التربية على المواطنة، أو هو المواطنة في حد ذاته.

صحيح أن مالك بن نبي لم يستعمل في كتبه مصطلح "المواطنة" كلفظ، ولكن كمفهوم كان موجود دلالاته في كتاباته بوفرة فالمواطنة بمعنى العيش المشترك، والسلوك الحضاري، لم تغب عن مشروعه الحضاري، حيث كان جل تركيزه عليها من خلال سلسلة كتاباته، وهذا ما يؤكد الأستاذ بدران لحسن لم يطرح مالك بن نبي فكرة المواطنة كما تطرح اليوم ولكن مضامينها موجودة في العديد من الكتب التي كتبها مثل فصل الديمقراطية في كتاب القضايا الكبرى، وفي كتاب في مهب المعركة، ويبدو واضحا مضمونها في تعريفه للحضارة والضمانات اللازم توفيرها من طرف المجتمع\*.

\* سيقدم شرح تفصيلي لمفهوم شبكة العلاقات الاجتماعية في فصل لاحق.

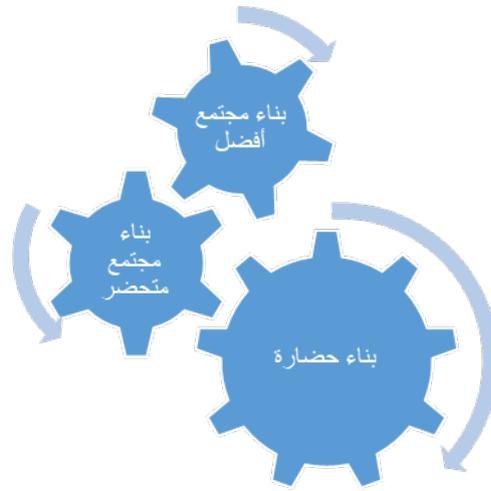
<sup>1</sup> صادق عباس الموسوي، الحركات الإسلامية بين خيار الأمة ومفهوم المواطنة - حزب الله نموذجا-، مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت د.ت، ص 50.

\* مقابلة مع بدران بن الحسن.

## الفصل الثالث: الدلالات القصديّة للتربية الاجتماعيّة في فكر مالك بن نبي -

والمجتمع المتحضر هو الذي يبني حضارة "فإذا أردنا أن نبني مجتمعاً أفضل فهذا يعني أنني نبني مجتمعاً متحضراً، وهو بدوره يعني أنه نعمل لتكوين حضارة"<sup>1</sup>، وكما تم الإشارة إليه من قبل الحضارة عند مالك بن نبي هي توفير الضمانات الاجتماعيّة اللازمة لأفراد المجتمع، وهذا لا يكون الا عبر تفعيل العمل الجماعي المشترك الذي يحقق لأفراده الحياة الراقية، وإيجاد الفرد المتحمل للمسؤوليّة الاجتماعيّة، المؤدي لواجباته تجاه بلده ومجتمعه، دون أن يكون هذا مشروطاً، الفرد الذي يعلم أن حقوقه هي ثمرة طبيعيّة لأداء واجباته.

ان ارتفاع مستوى التفاعل الاجتماعي بين الأفراد ووعيهم بواقعهم يستلزم الانخراط في العمل الاجتماعي المشترك لتحقيق الأهداف المصيرية هو الذي يحقق الحضارة وهو الذي أشار اليه مالك بن نبي في قوله: "قوة في الأساس وتوافق في السير ووحدة في الهدف"



شكل رقم 18: بين بناء مجتمع أفضل والمجتمع وبناء الحضارة

### 3-3 التربية الاجتماعيّة هي نظرية في السلوك وليس نظرية في المعرفة:

❖ كل كلمة لا تحمل جنين نشاط معيّن، هي كلمة فارغة، كلمة ميتة مدفونة

في نوع من المقابر، نسميه: المعجم، وكلمة تربية اجتماعية تشترك في هذا المصير العام، فهي

<sup>1</sup> بن نبي، تأملات، مرجع سابق، ص164.

## الفصل الثالث: الدلالات القصدية للتربية الاجتماعية في فكر مالك بن نبي -

لا تعني شيئاً إذا لم تكن - في الواقع وبما تحمل من معنى - وسيلة لتغيير الإنسان، وتعليمه كيف يعيش مع أقرانه، وكيف يكون معهم مجموعة القوى التي تغير شرائط الوجود نحو الأحسن دائماً، وكيف يكون معهم شبكة العلاقات التي تتيح للمجتمع أن يؤدي نشاطه المشترك في التاريخ.

يتحدث مالك بن نبي هنا عن حيوية المفاهيم بصفة عامة واعتبر أي مصطلح يحمل جنين نشط، والا فهي كلمة ميتة مدفونة في مقبرة تسمى المعجم، فهو يرى المصطلح عبارة عن كلمة أو مصطلح يحمل جنين نشط، فلا بد أن يتغذى ذلك الجنين حتى يكمل الحياة " لا يكفي أن نبدع أفكاراً، بل يجب أن نؤمن لها الحياة"<sup>1</sup>، تأمين حياة الفكرة أو المفهوم كيف يكون ذلك؟

يشير إدريس هاني في كتابه ما وراء المفاهيم الى: " إن المفاهيم أشبه ببضائع لا تكسب قيمتها إلا بأن تتسع قاعدة تداولها مع مرور الأيام استعمالاً يتعدى دائرة النخبة"<sup>2</sup>، كثرة تداول المفهوم لا يقصد به هنا اللفظ بقدر ما يقصد به ما وراء الكلمة من معاني وأفكار، فالفكرة اذا لم تجد من يحملها ويتداولها تكون فكرة ميتة، فحياة الفكرة أو المفهوم مرهونة بقوة انتشاره ومن يحمله.

المفاهيم لا تخلو أغلبها من حمولة ايديولوجية، هذه الحمولة هي من تعطيها شحنة عاطفية، وبدورها هذه الشحنة العاطفية هي من تعطيها القوة، فاذا خلت من هذه الشحنة لم تؤثر في متلقيها، ولا يمكن أن تكون لها فعالية، وهذا التلقي ينتج عن موافقة الفكرة مع الواقع، فالفكرة البعيدة عن الواقع لا يمكن أن يكون لها مفعول، فحياة الفكرة/المفهوم رهينة أولاً، بربطها بجذورها العقديّة والمعرفيّة واللغويّة ثم بقدرتها على الملاءمة مع مبررات استعمالها.

<sup>1</sup> مالك بن نبي، من أجل التغيير، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 43.  
<sup>2</sup> إدريس هاني، ما وراء المفاهيم من شواغل الفكر العربي المعاصر، الانتشار العربي، بيروت، 2009، ص 12.

## الفصل الثالث: الدلالات القصدية للتربية الاجتماعية في فكر مالك بن نبي -

ولهذا مالك بن نبي يرى إذا كانت التربية الاجتماعية لا تعمل على تغيير الإنسان، وعندما يتكلم عن تغيير الإنسان هنا فهو يقصد التغيير في القيم، في الأفكار والسلوكيات، التغيير في حالته البدائية التي تشبه البهيمة إلى حياة اجتماعية تضبطها مجموعة من القواعد والقوانين والقيم الاجتماعية.

التغيير المقصود به هو والذي يجعل الإنسان يستطيع أن يعيش مع الآخرين من أقرانه، فهو لا يعني شيء إذا بقي الفرد معزولاً يعاني الغربة في مجتمعه.

الإنسان بطبعه اجتماعي واجتماعه يحتاج إلى عمليات تفاعلية، وهي في نفسها تحتاج لمهارات يمكن أن نطلق فن التواصل، تجعل للشخص عقل تواصلية ولهذا فالثقافة هي نظرية ميدانية تربي الفرد على السلوك الاجتماعي للاندماج وسط الجماعة الاجتماعية.

### الإنسان الخام

مالك بن نبي أضاف الكثير إلى الحقل المفاهيمي من المصطلحات ومن بين هذه المصطلحات الفرد الخام والذي كان يشير إلى الوضعية البدائية للكائن البشري لحظة ولادته، قبل الخضوع لعملية التربية الاجتماعية التي تساعد على الاندماج الاجتماعي، حيث أن التربية الاجتماعية تصوغه صياغة اجتماعية من أجل الحياة الاجتماعية ويوضح مالك بن نبي هذا فيقول: "إن الطبيعة تأتي بالفرد في حالة بدائية، ثم يتولى المجتمع تشكيله"<sup>1</sup>، الحالة البدائية للفرد هي حالة الفطرة، وهو في هذه الحالة ينتمي إلى النوع فقط، والمجتمع يعمل على تشكيله عن طريق غرس ثقافة المجتمع، هنا كلمة تشكيل تدل أن لكل مجتمع قوالب يعمل بها على تشكيل الفرد، هذه القوالب هي مجموعة القيم والمعايير الاجتماعية التي يملكها المجتمع ويريد أن ينشئ عليها أفرادها، لأن هؤلاء الأفراد يأتون إلى الحياة وهم مفحمون بطاقة الحيوية مثل كل الكائنات الحية، تظهر في شكل مواهب واستعدادات وقدرات

<sup>1</sup> مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مرجع سابق، ص 86.

## الفصل الثالث: الدلالات القصدية للتربية الاجتماعية في فكر مالك بن نبي -

ولكنها كامنة، المجتمع هو من يعمل على ابرازها من توجيهه نحو الحياة الاجتماعية، وبالتالي تصبح تربطه نزعات اجتماعية بالمجتمع، ولهذا مالك بن نبي قال: "العمل الذي يغير الفرد من كونه فردا إلى أن يصبح شخصا بتغيير صفاته البدائية التي تربطه بالنوع إلى نزعات اجتماعية تربطه بالمجتمع"<sup>1</sup>.

فالإنسان ليس دوره في الحياة المحافظة على النوع، لأن هذا الدور يشترك فيه مع البهائم، صحيح أنه يسعى للحفاظ على نوعه من خلال الزواج والتناسل وليس بإطلاق العنان لغرائزه الجنسيّة والاستجابة لرغباته، والتربية هي من تنظم هذه الغرائز لأن عدم تنظيمها يؤدي إلى كثير من الانحراف عن الطبيعة البشرية التي تميز الإنسان عن باقي الكائنات الحيّة، الذي يميّز عنها بالدور الرسالي.

كما أن مالك بن نبي يصف الإنسان الذي لم يتعرض لعمليتي الاشراف والتكليف بالإنسان الخام، وتارة بالإنسان الطبيعي، وتارة أخرى بإنسان الفطرة واستعماله مصطلح انسان الفطرة هو دليل على النزعة الإسلامية في تفكير مالك بن نبي، كما أنه أيضا يطلق عليه إنسان ما قبل الحضارة.

### الانسان المكيف

عملية صياغة الفرد الخام من أجل التكيف مع أسلوب حياة المجتمع، حتى يصبح يتعامل مع مقومات المجتمع بطريقة لاشعورية، أي يصبح مكيف مع الحياة الاجتماعية التي يحياها، في هذه المرحلة أصبح انسان يمتلك بعض المهارات الحياتية التي تؤهله للدخول في عمليات تفاعلية وينسج علاقات اجتماعية، وتؤهله هذه المهارات أيضا من احتلال مراكز اجتماعية تمكنه من أداء أدوار اجتماعية داخل الجماعات التي ينتمي إليها.

فالإنسان المكيف هو إنسان تعرض الى عمليتي الاشراف والتكليف وأصبح قادرا على الدخول في عملية الحضارة ولهذا وصفه مالك بن نبي بإنسان الحضارة.

<sup>1</sup> بن نبي، ميلاد مجتمع، مرجع سابق، ص 31.

## الفصل الثالث: الدلالات القصدية للتربية الاجتماعية في فكر مالك بن نبي -



شكل رقم 19: الفرق بين الانسان الخام والإنسان المكيف

"تكيف الفرد: فهو عملية تنحية، تجعل الفرد لا يعاب ببعض المثيرات ذات الطابع البدائي (كتلك الحمية التي كانت تعزري عرب الجاهلية وتدفعهم إلى الأخذ بالثأر)، وهو عملية انتقاء تجعل الفرد قابلاً لمثيرات ذات طابع أكثر سموً، طابع أخلاقي أو جمالي مثلاً، وتعد هذه العملية من الوجهة النفسانية المحضة عملية بناء للذات، أو عملية تحديد لعناصر الشخصية"<sup>1</sup>، عملية التكيف هي تدرج ضمن بناء الذات الإنسانية بعد تنحية الصفات البدائية والقناعات التي توجه سلوكه فيصبح أكثر تحضراً واستجابة للمثيرات تتميز بطابع أكثر سموً بدل من المثيرات البدائية، وعلى إثرها تتحدد معالم عناصر شخصيته.

عملية التكيف تمثل عملية مهمة في بناء الذات الإنسانية، حيث يسعى المجتمع والفرد خلالها لتنمية وتطوير نفسه بشكل يجعله أكثر تحضراً وتمدناً وأكثر استجابة للمحيط الاجتماعي والثقافي الذي يعيش فيه.

<sup>1</sup> بن نبي، ميلاد مجتمع، مرجع سابق، ص 67.

## الفصل الثالث: الدلالات القصدية للتربية الاجتماعية في فكر مالك بن نبي -

من خلال تكيفه مع الواقع الاجتماعي المعاش، يتخلص الفرد من الصفات البدائية والقناعات التي قد تكون قيوداً على تطوره ونموه الشخصي، وبالتالي يصبح قادراً على التعامل بشكل أكثر فاعلية وتأثيراً مع التحديات والمثيرات المختلفة.

عندما يتمكن الفرد من التكيف بنجاح، يظهر ذلك في تحوله نحو سلوكيات أكثر تحضراً وتطوراً، حيث يكون قادراً على التعبير عن نفسه بشكل أكثر إيجابية وبناء، وعلى التفاعل بشكل أكثر فعالية مع الآخرين ومع مختلف المواقف التي قد تواجهه.

بشكل عام، يؤدي التكيف إلى تحديد معالم عناصر شخصية الفرد الاجتماعية من خلال التشبع بقيم ومعايير المجتمع الذي يشارك أفراد العيش معاً، حيث يبدأ يظهر ذلك في تصرفاته واستجاباته الخاصة.

ومن خلال هذه العملية، يصبح للشخصية سلوكيات ذات طابع أكثر سموً وتطوراً، مما يعزز من قدرته على التأقلم مع مختلف جوانب أسلوب الحياة والتفاعل بنجاح مع التحديات الحياتية والمثيرات المختلفة التي قد تواجهه في نشاطه اليومي.

### الخلاصة

في هذا الفصل تم تناول الدلالات القصدية لتربية الاجتماعية عند مالك بن نبي، كما تم الإشارة لبعض النظريات السوسيولوجية والسيكولوجية التي فسرت عملية التربية والتنشئة الاجتماعية. فالتربية الاجتماعية هي منهج تهدي سير حركة المجتمع، هذا المجتمع الذي يرى فيه مالك بن نبي أنه ليس فقط مجموعة من الأفراد، بل هو اجتماع منظم لمجموعة من الأفراد لصناعة تاريخهم. والتربية عند مالك بن نبي عملية تثقيفية؛ ليست نظرية في المعرفة بل هي نظرية في السلوك، تحول الفرد من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي، يعيش في جماعة أي يتحول إلى كائن مكيف مع قيم ومعايير المجتمع الذي يتقاسم مع أفراد العيش المشترك.

## الفصل الرابع

قيمة العيش المشترك

في فكر

مالك بن نبي

### تمهيد:

خلال الحديث عن التربية عند مالك بن نبي تم التطرق لكون التربية هي عملية تثقيفية للفرد تهدف الى غرس مجموعة من الأخلاق والقيم الاجتماعية التي تجعله يعيش مع الآخر وعند التطرق إلى التربية الاجتماعية تم الوصول الى نتيجة، وهي أن التربية الاجتماعية هي تربية الفرد على التحضر، وتم الإشارة إلى أن التحضر هو المواطنة، التي هي العيش المشترك أو " مجموعة من القيم يشترك فيها مجموعة من الأفراد يتقاسمون العيش المشترك، ويتوافقون حول مواقف حياتية".

والقيم ليست مجرد فضائل تكميلية يمكن الاستغناء عنها، بل هي عناصر أساسية، وإطار ضابط وناظم للحياة الاجتماعية، فهي ركن من الأركان الأساسية التي يقوم عليها البناء الاجتماعي، وباعتبارها تضبط العلاقات والحياة الاجتماعية، فهي قيم مشتركة بين الأفراد الذين يتقاسمون العيش بينهم، كما أن القيم وسيلة لتحقيق التوازن والاعتدال بين أعضاء المجتمع.

القيم إطارا مرجعيا، ودستورا غير مكتوب ينظم ما سماه بن خلدون بال عمران البشري، وما سماه مالك بن نبي العيش المشترك أو التحضر، وهناك قيم متفق عليها وتعتبر أساسية، وهناك قيم مختلف عليها باعتبارها قيم ثانوية، فالقيم هي جوهر الحياة الجماعية الاجتماعية والتحضر.

### أولاً: قيم العيش المشترك:

الانسان كائن اجتماعي لا يستطيع أن يعيش منعزلاً، قاعدة اجتماعية يتفق عليها كل مفكري العلوم الاجتماعيّة والإنسانية، وبنى عليها بن خلدون نظريته في العمران البشري، وتحدث عنها ابن الأرق في بدائع وطبائع الملك، ومن قبل الفارابي قال: " لا يستطيع الإنسان أن يبقى وأن يبلغ أفضل كمالاته إلا في المجتمع"<sup>1</sup>.

يوجد لدى البشر نزوع فطري ووجداني نحو الحياة الاجتماعية، فهناك استعداد للتعاهد المتبادل والنزوع للاستجابة المتبادلة" وإن بعض هذا النوع الفطري عرفاني أو فكري، وبعضه وجداني، ولكن الطبيعة البشرية والشخصية البشرية لا توجدان على أي حال، إلا داخل العلاقات بين الناس وبعضهم البعض"<sup>2</sup>، فالحياة الاجتماعية عند البشر حالة فطريّة طبيعيّة، والعلاقات الاجتماعية هي التي توجد الشخصية البشرية.

منذ نعومة أظافرهم الأولى يكون لدى الأفراد توجه إزاء الأفراد الآخرين باعتبارهم القسمة الأهم المميّزة للبيئة، ويدل على التوجه على الحالة الوجدانية والمعرفية لديهم، والتي هي فطريّة بالضرورة، كما يلاحظ الاعتمادية متزايدة من الفرد على أبناء نوعه والانفتاح تجاههم وإظهار الضعف إزائهم.

إن ما يميز الحياة الاجتماعيّة للبشر فكرة التضامن، إن قدراتهم لا تنمو وتطور إلا بفضل الآخرين وفي إطار العلاقات الاجتماعية التي تربط الأفراد ببعضهم وتقوّمهم، حقا إن قدرات الروح الاجتماعيّة قد تكون متوافرة لدى الأفراد بيد أنها لا تكتمل إلا فيما بينهم.

<sup>1</sup> أبو النصر الفارابي، كتاب أهل المدينة الفضيلة، دار المشرق، بيروت، ط2، 2000، ص 27.

<sup>2</sup> مايكل كاريندرس، لماذا ينفرد الإنسان بالثقافة؟، ترجمة شوقي جلال، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ط2 2023، ص80.

### 1- المقاربات النظرية المفسرة للمواطنة والعيش المشترك:

تنوعت التفسيرات النظرية لمفهوم المواطنة والعيش المشترك، حيث أن مصطلح العيش المصطلح هناك من يرى أنه هو المواطنة في حد ذاته وهناك من يراه هو قيمة من قيم المواطنة، وفي هذه الدراسة يتم الحديث عن العيش المشترك كقيمة من قيم المواطنة.

وهذا التنوع قد يكون لاختلاف الحقل المعرفي، وقد يكون في نفس الحقل ولكن في سياق تاريخي آخر وهذه أهم المقاربات التي حاولت تفسير المواطنة والعيش المشترك:

### 1-1: المقاربات النظرية المفسرة للمواطنة:

تطور التفسيري النظري للمواطنة عبر سياقات زمنية متتالية متأثر بتطور الفكر البشري وتغيرات الأحداث التاريخية

### 1-1-1- المقاربة اللغوية: المواطنة من المضامين اللغوية إلى الدلالات العلمية

هذه المقاربة هي مقارنة عربية وتريد أن تؤصل للمواطنة من خلال المعاني اللغوية للكلمة، فبعد الخلاف حول مناسبة مقابلة كلمة " **citizenship** " بكلمة المواطنة الذي كان أول من آثره هيثم مناع، حيث يرى أن الكلمة مستحدثة في اللغة العربية جاء بها العربون للتعبير عن كلمة " **politieia** " اليونانية و" **citoyenente** " الفرنسية و " **citizenship** " الانجليزية وفي هذا يقول: "الدخول السهل لكلمة المواطنة في اللغة العربية قلما جعل كلمة المواطنة تستعمل في الوعي أو اللاوعي الجماعي بالمعنى العميق لها، وغالبا ما انحسر معناها في ذهن القائل والسامع بأبناء هذا الوطن، اتباع لقادة أو رعايا سلطان أو سفهاء لعمامة"<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> اعلي خليفة الكواري وآخرون، المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، 2004، ص33.

هذا الاعتراض ناتج لأنه يرى بأن الكلمة جذرها اللغوي هو " وطن " والذي يعني المكان الذي يقيم فيه الانسان بالاستناد الى المعنى الذي أعطاه ابن منظور لكلمة "الوطن"، ويجعله يحس بالولاء لقادة أو سلاطين هذا الوطن بدلا من الولاء لقيم تحكم هذا الوطن.

فحسب هيثم مناع أن الكلمة توحي الى مستمعها بأبناء الوطن وهو معنى ضيق ارتبط بمفهوم الوطنية، ولا يعطي الدلالة الكاملة للمفهوم الواسع للمواطنة، كما يقصي الأجانب المقيمين من الحقوق التي أصبحت كل الدول تقرها لهم من باب الانسانية.

إن كلمة المواطنة في الأصل جذرها اللغوي هو "واطن" والذي كما تم الإشارة عليه من قبل\* تعني المشاركة والإقامة والموافقة، ولهذا جعل الكثير من المفكرين العرب يرون أن الكلمة مناسبة وتعتبر أحسن تعبير عن المفهوم وهذا ما أشار إليه الكواري<sup>1</sup> وعلى عكس هيثم مناع، فإن أغلبية الباحثين والمفكرين العرب لا يرون القصور الذي يراه مناع في ترجمة مصطلح citizenship بكلمة المواطنة في اللغة العربية ونجدهم يعبرون به أحسن تعبير عن مضمون citizenship<sup>1</sup>.

والمواطنة هي على وزن مفاعلة وهذا ما يعني وجود علاقة تفاعلية بين اثنين فأكثر " فتصبح المواطنة إنسانية مضافا إليها التعلق بشخص آخر يشاركه الوطن، ويقتسم معه مضامين الوطن والمواطن، وليس أكثر دقة في هذا المفهوم من كلمة المواطنة في العربية لأنها مفاعلة بين اثنين الذين يصبحون عشرات أو مئات الملايين يتفاعلون حول الوطن فيقتسمون كل الانتماءات وكل الحقوق والواجبات"<sup>2</sup>.

\*أنظر التحديد اللغوي لكلمة المواطنة في فصل التأصيل المفاهيمي للدراسة.

<sup>1</sup> الكواري و آخرون، مرجع سابق، ص 33.

<sup>2</sup>عبد الكريم غلاب، أزمة المفاهيم وانحراف التفكير، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998، ص 60.

## الفصل الرابع: قيم العيش المشترك في فكر مالك بن نبي -

حسب عبد الكريم غلاب فإن المواطنة علاقة إنسانية وهي تجمع شخص مع شخص آخر يشاركه الوطن، وعندما يتم الحديث عن الوطن فإنه يحمل معان ومضامين كثيرة يصبح الاشتراك فيها بينهما، وهذه المفاعلة لا تتوقف على اثنين بل قد تتعدى الى مئات الملايين.

من بين هذه المضامين الانتماء والولاء، فالمواطن المنتمي لدولة ما ليس مواطن سلمي بل هو مواطن إيجابي يشارك ويساهم ويصنع إنجازات الوطن، من خلال الشحنات العاطفية التي يحملها تجاه المكان الذي يأويه " فالمواطن هو يصنع القانون الذي يضبط مسيرة الوطن في طريقه إلى المكان الأرفع"، فالانتماء لجماعة أو مجتمع ضمن رقعة جغرافية تسمى الوطن تكسب المنتمين لها أصليين أو مقيمين حقوق وواجبات وهذه أيضا من مضامين الوطن.

والانتماء والمشاركة في الحياة اليومية للجماعة أو المجتمع يجعل من المقاربة اللغوية تحمل مضامين عملية تعبر عن السلوكيات اليومية للأفراد من خلال مجموعة من الروابط الاجتماعية التي يعقدها الفرد من خلال التفاعل الاجتماعي رابط اقتصادي رابط الجيرة، رابط الصداقة، رابط العمل، ورابط القرابة.

ومنه يمكن القول بأن المواطنة كما لخصها منير مباركية:

- المواطنة أعمق من كونها علاقة قانونية مجردة، فهي مشحونة بمحولات عاطفية تتجسد في الشعور بالانتماء وحب الوطن والاستعداد للدفاع والتضحية من أجله (الوطنية).
- المواطنة ليست علاقة عمودية بين المواطن والدولة فقط، وإنما هي علاقة أفقية أيضا بين مواطني الدولة الواحدة، والتي تتسم بالتعايش والتسامح والاحترام المتبادل.
- تكريس المواطنة وتفعيلها يتطلب إيمان المجتمع ومؤسساته بجملة من القيم أبرزها المساواة والحرية والمشاركة والمسؤولية الاجتماعية.

## الفصل الرابع: \_\_\_\_\_ قِيم العيش المشترك في فكر مالك بن نبي -

■ تتضمن المواطنة بعدا وظيفيا تترتب بموجبه حقوق والتزامات يؤديها كل طرف للآخر، وتلك الحقوق والواجبات تؤكدتها المواثيق الدوليّة، وتشير إليها دساتير الدول، وتكرسها قوانينها، ولا تستقيم المواطنة إلا بالتلازم والتوازن بين تلك الحقوق والواجبات.

■ لا يقتصر مفهوم المواطنة على البعدين القانوني والسياسي فقط، وإنما يتعداها إلى جوانب وأبعاد عديدة أخرى: الاقتصاد، الاجتماع، الإدارة، الثقافة، البيئة...<sup>1</sup>

### 1-1-2- المقاربة القانونية:

وتعتبر المقاربة القانونية من أقدم المقاربات المفسرة للمواطنة، وقد ركز أصحابها على الصفة القانونية للفرد، وهذه المقاربة ركزت على مبدأ الانتماء القانوني لا الانتماء الجغرافي.

تشير موسوعة كولير الأمريكية الى المواطنة على أنها "أكثر أشكال العضوية في الجماعة السياسية اكتمالا وربما يدخل في هذا الاطار التعريف القائل بأنها العضوية في أمة من الأمم"<sup>2</sup>، أي أن الانتماء القانوني هو الذي يعطي العضوية في الدولة أو الأمة، وبالتالي حمل صفة المواطن، فإكتساب حق المواطنة يمر عبر الصفة القانونية وهي حمل الجنسيّة، لأن الجماعة السياسيّة هنا يقصد بها الدولة.

في نفس الاتجاه الذي ذهبت اليه دائرة المعارف البريطانية باعتبار المواطنة: "علاقة الفرد والدولة كما يحددها قانون تلك الدولة، وبما تتضمنه من واجبات وحقوق في تلك الدولة"<sup>3</sup>، إذا كانت موسوعة كولير الأمريكية تحدثت عن الصفة القانونية التي تعطي حق المواطنة للفرد، فدائرة المعارف البريطانية تحدثت عن العلاقة القانونية للفرد تجاه الدولة، و ما يحدده قانون تلك الدولة من حقوق وواجبات، بغض النظر على

<sup>1</sup> منير مباركية، مفهوم المواطنة في الدولة الديمقراطية وحالة المواطنة في الجزائر، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت، 2013، ص 10.

<sup>2</sup> فحطان عبد الرحمان الدوي، الشورى بين النظرية والتطبيق، بغداد: مطبعة الأمة، بغداد، 1974، ص 25.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 24.

## الفصل الرابع: ————— قيم العيش المشترك في فكر مالك بن نبي -

الصفة القانونية للفرد، فالقانون يحدد العلاقة بين الدولة الأفراد المقيمين بشكل ثابت على أرضها - سواء كانوا أصليين أو أجنب -، من حيث حقوق الفرد في الدولة واجباتها نحوها، والدولة هنا هي السلطة السياسية الحاكمة.

لم تأخذ دائرة المعارف البريطانية في تقديمها للمواطنة الاعتبارات ذات الطابع اللغوي أو العرقي أو الديني أو الطائفي أو حتى طبقي، فالفرد المقصود هو الانسان، وما تحمله الكلمة من معاني وحقوق واجبات، فأصحاب المقاربة القانونية يركزون على الحقوق أكثر من تركيزهم على الواجب.

ركزا التعريفان على تحديد العلاقة القانونية بين الفرد والدولة كسلطة سياسية ودورها في إشباع احتياجات المواطنين من جهة، وواجبات الأفراد الذين يحملون صفة المواطنة تجاه الوطن، ولم تتحدث عن العلاقة بين الأفراد بينهم، وكيف يتم تنظيمها، والتعريفان يميلان معنى الشرطية فهم يشترطون وجود: وطن، سلطة سياسية حاكمة، فرد ومجموعة من القوانين تحدد العلاقات بين الطرفين.

اتجه أصحاب العقد الوطني وفي مقدمتهم جان جاك روسو في تعريف المواطنة على أساس أنها ذات طبيعة قانونية تحدد العلاقات بين فرد ودولة، وتوضح الواجبات والحقوق، كما أن صفة المواطن هي صفة تطلق على الشخص الملتزم بالقوانين: " فالمواطن يوافق على جميع القوانين، حتى التي تسن بالرغم منه، حتى التي تجاربه إذا ما جرؤ على انتهاكها، والإرادة العامة هي الإرادة الثابتة لجميع أعضاء الدولة، وهم بهذه الإرادة مواطنون وأحرار"<sup>1</sup>، مقارنة العقد عند جان جاك روسو تعتمد أيضا على الرابطة القانونية للفرد تجاه الدولة، لكن المواطنة عنده هو الموافقة على جميع القوانين، التي تسنها السلطة السياسية الحاكمة، واحترامها وعدم انتهاكها، وهذا يكون حسب عن طريق التنشئة الاجتماعية التي ينشئ عليها الأفراد "ولتدريبهم باكرا

<sup>1</sup> جان جاك روسو، العقد الاجتماعي، مكتبة الناقد، الجزيرة، 2012، ص 144.

## الفصل الرابع: \_\_\_\_\_ قيم العيش المشترك في فكر مالك بن نبي -

على عدم اعتبار شخصهم إلا في علاقته بشخص الدولة، وعلى اعتبار كيانهم جزءا من كيانها، لاستطاعوا في الآخر أن يتماهوا بوجه ما مع ذلك الكلّ الأعظم، وأن شعروا بأنهم أعضاء من الوطن، وأن يشعروا تجاهه بذلك الحبّ اللطيف الذي يشعر كل امرئ متوحد نفسه"<sup>1</sup>

أما هوبز فبعدما يقرر بأن الطبيعة الإنسانية تميل الى القوة والعنف وأن للإنسان ذئب لأخيه الانسان، وأن هذه الطبيعة تجعله يعيش دائما في عنف وحروب، ومن أجل إيقافها اصطنع لنفسه ما يسمى بالدولة خدمة لمصالحه، ولهذا ففكرة المجتمع السياسي عنده تقوم على أساس واحد ووحيد وهو التضحية الطوعية لكل فرد باستقلاله الخاص من أجل مصلحة عامة: " وفي كل مرة يفوض فيها إنسان حقه أو يتخلى عنه، يكون الأمر إقما من أجل حق فوض إليه بالمقابل، أو من أجل خير آخر يأمله من وراء ذلك"<sup>2</sup>،

وفي هذا الاتجاه تأتي رؤية مايير بيسش و موجينيتو التي تري بأن المواطنة هي تعبير عن الوضع القانوني للمواطن، وكذلك قدرته على تعزيز حضور في الحياة المجتمعية من خلال مشاركته الفعالة في الحياة الاجتماعية والسياسية وقدرته الدائمة في ممارسة حقه في التصويت والانتخاب، وبالتالي ترتبط هذه الحقوق بالجنسية التي يمتلكها المواطن وهو حق لا يمتلك عليه الأجنبي أو الوافد أو القادم المهاجر<sup>3</sup>.

وقد يكون حضور المواطن في الحياة المدنية أو الاجتماعية بالرغم من وضعيته القانونية كمواطن سلبيا وهذا ما أشار إليه ألان باتيغاي "كون الفرد مواطنًا غالبًا ما يشير إلى المشاركة الفعّالة في الحياة

---

<sup>1</sup> روسو، جان جاك، مقالات في العلوم والفنون، في الاقتصاد السياسي، في أصل اللغات، معهد تونس للترجمة، تونس، ط2، 2017، ص 65.

<sup>2</sup> توماس هوبز، اللفتان - الأصول الطبيعية والسياسية لسلطة الدولة-، تر: جيانا حرب و بشرى صعب ، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث كلمة، أبو ظبي، 2011، ص 141.

<sup>3</sup> علي أسعد وطفة، "التجليات الانسانية في مفهوم المواطنة"، مجلة التسامح، عدد 15 (2006): 7.

## الفصل الرابع: قيم العيش المشترك في فكر مالك بن نبي -

المدنية، لكن بعض الأفراد قد يتبنون موقفًا أكثر سلبية على الرغم من وضعهم كمواطنين<sup>1</sup>؛ وهذا معناه كون الشخص مواطنًا لا يعني بالضرورة أنه سيشترك بنشاط في الحياة المدنية أو الاجتماعية، البعض قد يكون لديه موقف سلبي تجاه هذه المشاركة رغم كونهم يملكون الصفة القانونية التي تمنحهم صفة المواطنة، هنا بعض الأسباب التي قد تؤدي إلى هذا الموقف:

- معارضة النظام القائم وعدم الثقة فيه: بعض الأفراد يعارضون النظام القائم يشعرون بعدم الثقة نحوه، مما يقلل من رغبتهم في المشاركة الفعالة في الحياة الاجتماعية والمدنية
- الإحباط: يمر الفرد تجارب سابقة مع التواصل الاجتماعي أو المدني قد تكون محبطة وتجعل الشخص يفقد الحماسة والرغبة للمشاركة.
- الإحساس بعدم الأهمية: قد يعتقد البعض أن مشاركتهم ليست إيجابية ولا تلعب دورًا فعالًا في تغيير الوضع أو حتى تعديله وأن أصواتهم لا تُسمع بشكل كافٍ. ولا يتم الالتفاف إليها.
- الظروف الشخصية: بعض الأشخاص قد يواجهون ظروفًا شخصية أو اجتماعية تمنعهم من التفرغ للمشاركة الفعالة في الحياة المدنية.

هذه العوامل وغيرها قد تؤثر على موقف الشخص من المشاركة في الحياة المدنية والسياسية، وتجعل بعض الأفراد يتبنون موقفًا أقل فعالية أو إيجابية حتى وإن كانوا مواطنين في نطاق دولتهم.

يعرف قاموس علم الاجتماع المواطنة "مكانة أو علاقة اجتماعية تقوم بين فرد طبيعي ومجتمع أو دولة ومن خلال هذه العلاقة يقدم الطرف الأول الولاء ويتولى الطرف الثاني الحماية وتتحدد هذه العلاقة

<sup>1</sup> Alain Battagay, "Ambivalences de la citoyenneté", Migrations Société 4, N136, p 66/55 : (2011) .

## الفصل الرابع: \_\_\_\_\_ قيم العيش المشترك في فكر مالك بن نبي -

بين الفرد والدولة عن طريق القانون"<sup>1</sup>، بالرغم أن هذا التعريف يركز على الوضعية القانونية للفرد وهو الذي وصفها بالمكانة، ويشير إلى أن هناك توافق اجتماعي أو اتفاق ضمني بين الفرد والمجتمع أو الدولة. الذي يتمثل في أن الفرد يقدم الولاء والانتماء لهما وبالمقابل، يتولى المجتمع أو الدولة حماية الفرد وحقوقه وواجباته عبر نظام قانوني واضح ومحدد.

تقوم العلاقة بين الفرد والدولة أساساً على الالتزام بالقوانين واللوائح التي تضمنها الدولة، والتي تحمي حقوق وواجبات الفرد داخل هذه الدولة، وباعتباره عضو في المجتمع تلزمه هذه العلاقة بأن يحترم ويلتزم بالعبادات والمعايير الاجتماعية، يمكن اعتبار هذا التوافق كنوع من العقد الاجتماعي يشكل أساس المواطنة والعيش المشترك في المجتمعات المنظمة ويحدد العلاقة بين أطرافه.



**شكل رقم 20: العلاقة بين الفرد والدولة والفرد في ظل المقاربة القانونية**

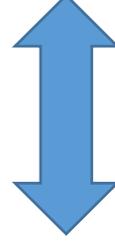
<sup>1</sup>السعيد بن عزه و فوزي لوحيدي، "من المواطنة إلى المواطنة العالمية"، المجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات 04، عدد 03 (يونيو، 2021): 27/15.

ترى هذه المقاربة إن المواطنة هي حق المشاركة في الحياة السياسية للدولة، حيث يفترض تساوي الأفراد في الحقوق ومن بينها الحق السياسي، لأنهم جميعا يمتلكون القدرة على تحمل المسؤولية والمشاركة في اتخاذ القرارات السياسيّة، في المؤسسات السياسية ترشحا وانتخابا، حيث لا يمكن فصل المواطنة عن الديمقراطية وقيمها كالتشاركية، المساواة والعدالة، والحرية، فهي أساس المجتمع المدني على أساس المواطنة.

تعرف موسوعة الكتاب الدولي المواطنة بأنها: "عضوية كاملة في دولة أو في بعض وحدات الحكم، تؤكد حقوق المواطنين، كحق الانتخاب وتولي الوظائف والمناصب العامة، وعليهم بعض الواجبات كدفع الضرائب والدفاع عن بلدهم"<sup>1</sup>، هذه الموسوعة ركزت على جانبيين الجانب القانوني وهي العضوية الكاملة في الدولة، بمعنى حمل جنسية الدولة، هذا يعطيه الحق في الممارسة السياسيّة التي تضمن لها صفة المواطنة، ولكن هذه الصفة لا تكتمل إلا بأداء بعض الواجبات كدفع الضرائب و الدفاع عن البلد. وكسابقاتها لم تشير المقاربة السياسية الى العلاقة بين الأفراد فيما بينهم، وكذلك على السلوكيات اليوميّة هل هي تدخل ضمن مجال المواطنة.

<sup>1</sup>علي خليفة الكواري و آخرون، المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية، مرجع سابق، ص 14.

دولة/ مؤسسات



فرد/ مواطن

**شكل رقم 21، العلاقة بين الفرد والدولة ومؤسساتها في ظل المقاربة السياسية**

1-1-4- المقاربة الاجتماعية:

ترى هذه المقاربة بأن المواطنة مصدرا للروابط الاجتماعية وبالتالي فإنها تقتضي أن يشترك أفراد جماعة ما في مجموعة القيم الإنسانية والاجتماعية، وهذه القيم ليست قيما محايدة لأنها نتاج لتصورات مختلفة حول الحق والعدالة والخير والحقوق الفردية والجماعية التي تنتج المسؤولية الاجتماعية، ودور المؤسسات السياسية في المجتمع الديمقراطي، وهذه القيم تؤسس في جوهرها للهوية الجماعية كما أنها تشكل المجال الحقيقي والرمزي التي يتم فيه بناء العلاقة الاجتماعية بين أفراد المجتمع، وهذه القيم تشكل أيضا الركائز الأساسية لبناء التوافق المشترك واتخاذ القرار في المشاركة في الحياة الاجتماعية

وضع يميز العلاقات القائمة بين المواطن، من جهة والدولة (المؤسسات) والمجتمع (مواطنين آخرين) والفضاء العام (مجال العيش المشترك) من جهة أخرى، وهو وضع يقوم على مبادئ راسخة هي: المسؤولية، الحرية، والتشاركية والمساواة، ويفترض عدد من القيم التي أهمها احترام الآداب العامة، والتضامن والوعي المدني والإنساني.

## الفصل الرابع: \_\_\_\_\_ قيم العيش المشترك في فكر مالك بن نبي -

ومن بين المفكرين الذين أهتموا بالمواطنة الاجتماعية نجد توماس مارشال الذي كان يرى أن فكرة المواطنة تطورت من المواطنة المدنية إلى المواطنة القانونية خلال القرنين 18 و19، إلى المواطنة الاجتماعية في القرن العشرين حيث أشار في كتابه "المواطنة والطبقة الاجتماعية" إلى أن المواطنة: "المكانة الممنوحة للذين يتمتعون بالعضوية الكاملة في الجماعة، وجميع من يتمتعون بهذه المكانة هم أفراد متساوين من ناحية الحقوق والواجبات"<sup>1</sup>.

يشير مارشال أن المواطنة هي مكانة ممنوحة لمن يتمتع بالعضوية الكاملة في الجماعة، وهنا الوضعية القانونية وهي الجنسية، هذه المكانة تجعل الأفراد يتمتعون بكامل الحقوق والواجبات بشكل متساوٍ، وهنا يشير إلى جيل حقوق الإنسان الاجتماعي المتمثل في الحقوق الاجتماعية من قبيل الصحة والتعليم والثقافة، بعدما كانت الأجيال السابقة للحقوق تتمثل الحقوق السياسية والمدنية كحق الترشح والانتخاب والمشاركة السياسية.

لقد أصبح ينظر إلى مفهوم المواطنة في القرن العشرين، باعتباره يتجاوز الصبغة القانونية الحقوقية، ليشير إلى حركة اجتماعية، هدفها تحرير الأفراد ودفعهم للعمل بفعالية، للتمكن من صنع تاريخهم، والمساهمة في بناء مجتمع ديمقراطي تشاركي، يضمن مختلف حقوقهم القانونية والسياسية، كما يضمن حريتهم وكرامتهم. في ظل العيش الكريم.

اعتبر مارشال أنّ المواطنة الجديدة تُعدُّ بالضرورة مواطنة اجتماعية، لأنها تركز إلى ميراث القرن الثامن عشر المتمثل في الحقوق المدنية، حرية الفرد أساساً بعدما كان الإنسان مسلوب الحرية والارادة، مع مسعى جديد يروم المساهمة في الحد من غلوائها. وتستند مواقف مارشال، في موضوع مواجهة غلو المدافعين

<sup>1</sup> عبد الجليل أبو المجد، مفهوم المواطنة في الفكر العربي الاسلامي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2010، ص 46.

## الفصل الرابع: \_\_\_\_\_ قِيم العيش المشترك في فكر مالك بن نبي -

عن حرية الفرد بصورة مطلقة، إلى المكاسب السياسية والاجتماعية الجديدة للقرن التاسع عشر، وهي المكاسب التي بنت ورتبت ملامح مطلب الحق في المشاركة في الحكم، والحق في المشاركة في القرار السياسي.

كما اعتبر مارشال أن المواطنة باعتباره لها صلة مباشرة بالمواطن وانتمائه للجماعة، في رقعة جغرافية محددة أي المشاركة في الحياة أو العيش المشترك، لا بد أن تهتم بالصلات الاجتماعية التي بينهم، لتعود المواطنة تعبر عن علاقات متعددة للمواطن، علاقة عمودية بين المواطن والسلطة والمؤسسات السيادية، وعلاقات أفقية تربط المواطن الآخرين.

وهذا ما أشار إليه آلان توران في قوله: "المواطنة ليست الجنسية حتى ولو أن المفهومين غير قابلين للتمييز قانونيا في بعض البلدان: فالثاني يعني الانتماء إلى دولة قومية، بينما يشيد الأول حق المساهمة في إدارة المجتمع بصورة مباشرة أو غير مباشرة، في تدبير المجتمع، فالجنسية تخلقا تضامنا في الواجبات أما المواطنة فتمنح حقوقا"<sup>1</sup>، المواطنة ليست هي الجنسية، وهذا عكس ما ذهب اليه الموسوعة البريطانية فالمفهومان يبدو غير قابلين للتمييز، ولكن آلان تورين اعتبر الجنسية لها علاقة بالدولة القومية وهي تخلق التضامن حول الواجبات، بينما المواطنة تشير لحق الفرد في المساهمة والمشاركة في إدارة والمجتمع بصورة مباشرة أو غير مباشرة وبالتالي فهي تمنح حقوق للأفراد.

المجتمع عند آلان تورين: "لم يعد نظاما أو مراتب اجتماعية أو جهازا عضويا، فهو قائم على علاقات اجتماعية وفاعلين معروفين في آن معا بتوجههم الثقافية وقيمهم وعلاقاتهم في النزاع أو التعاون أو

<sup>1</sup> آلان تورين، ما الديمقراطية؟، تر: عبود كاسوحة، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، 2000، ص 121.

## الفصل الرابع: قيم العيش المشترك في فكر مالك بن نبي -

الاتفاق مع فاعلين اجتماعيين آخرين"<sup>1</sup>، تورين يشير إلى أن المجتمع لم يعد نظامًا أو هيكلًا ثابتًا يتكون من مراتب اجتماعيا ، مما يشير إلى رؤيته لتطور المجتمعات وتغيرها بمرور الوقت، حيث يؤكد على أن المجتمع الآن يقوم على علاقات اجتماعية، وهي علاقات أساسية لفهم طبيعة المجتمع وتشكيله، كما يشير إلى وجود فاعلين في المجتمع، ويركز على توجهاتهم الثقافية كعناصر تحدد سلوكهم وتأثيرهم على البيئة الاجتماعية.

يعكس تورين على أهمية فهم العلاقات الاجتماعية من خلال النزاع، التعاون، والاتفاق. هذه العناصر تظهر كأساس لتفاعلات المجتمع، كما يشير إلى أن هناك تفاعلًا مستمرًا مع فاعلين اجتماعيين آخرين، مما يبرز التداخل والتأثير المستمر في المجتمع.

بشكل عام، يظهر أن تورين يعتبر المجتمع ككيان حي يعتمد على التفاعلات الاجتماعية المعقدة والعلاقات بين الأفراد والفاعلين الاجتماعيين. "تستدعي المواطنة التلاحم الاجتماعي، ووعي الانتماء لا لمدينة فقط أو لدولة وطنية أو دولة اتحادية، لكن أيضا لجماعة مترابطة بثقافة وتاريخ، داخل حدود"<sup>2</sup>، يُشير آلان إلى أهمية التلاحم والتضامن الاجتماعي في المواطنة، فالوعي بالانتماء لا يقتصر على المدينة أو الوطن أو الدولة الاتحادية فقط، بل يشمل أيضًا الانتماء لجماعة تجمعها روابط ثقافية وتاريخية داخل حدود معينة.

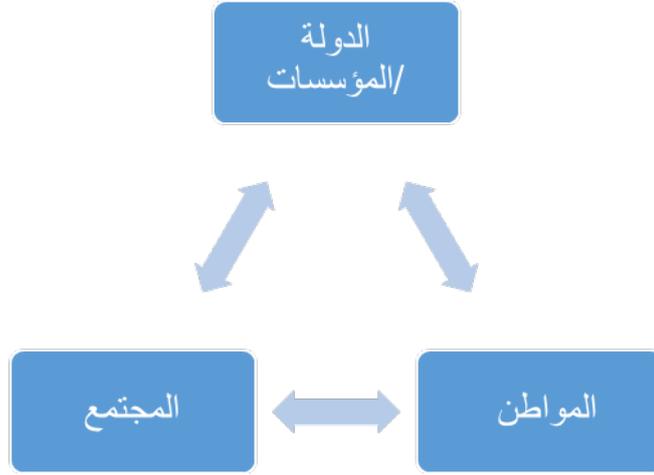
الانتماء عند آلان عند تورين هو الانتماء قد يكون أيضا لجماعة تربطها علاقات وروابط عبر التاريخ مما يجعلها متماسكة وأفرادها يعبرون عن الانتماء لها من خلال الولاء لتلك الثقافة والتاريخ الذي يربطهم بها، والوعي يجب أن يكون لهذا الانتماء الذي لا بد أن يحقق التلاحم الاجتماعي لنيل الحقوق،

<sup>1</sup> آلان تورين، ما الديمقراطية؟، ص 44.

<sup>2</sup> آلان تورين، ما الديمقراطية؟، ص 49.

## الفصل الرابع: \_\_\_\_\_ قِيم العيش المشترك في فكر مالك بن نبي -

وهذا التفسير للمواطنة هو ما يعرف بضرورة تعايش الثقافات حتى لو كانت مختلفة، وضرورة نيل أفراد هذه الجماعة حقوقها وأول هذا الحق "المساهمة في تدبير المجتمع"، فمبدأ المواطنة يتيح تدبير الاختلاف الثقافي أفراد وجماعات مما يضمن لهم الاندماج الاجتماعي مهما كان اختلاف أصولهم.



شكل رقم 22: علاقة المواطن بالدولة والمجتمع

### 1-2- المقاربات النظرية المفسرة للعيش المشترك

يشير العيش المشترك إلى الحياة المشتركة والعيش مع الآخرين في مجتمع واحد أو في بيئة اجتماعية واحدة، يعكس هذا المفهوم فكرة الحياة معًا بسلام واحترام كما جاء في مواثيق الأمم المتحدة حيث يعيش الأفراد من خلفيات وثقافات مختلفة ويتفاعلون بشكل إيجابي ومتبادل.

العيش المشترك يتضمن فهمًا واحترامًا للتنوع والاختلافات بين الأفراد في أسلوب الحياة والثقافات،

كما يشير إلى قدرة الأفراد على التفاهم المتبادل والتعاون في بيئة مشتركة دون تمييز أو تحيز

1-2-1 مقارنة فتحي التريكي -العيش معا:-

يقول فتحي التريكي "لفظ التعايش يجب أن يكون مفهوما بمعناه المتضمن في الحقل الدلالي لكلمة "تأنس" والذي يجمع بين اجتماعية الانسان وحكمته، بين نشوة اللقاء والاختلاف الثري، بين الصداقة والحنان وأخيرا بين الضيافة والانفتاح على الآخر، وهي عبارة مشتقة من فعل "أنس" والذي نقصد به "التعود أو التألف مع الآخر" مع إثبات مشاعر الصفاء والفرحة والسعادة والراحة في صحبة الآخر، فالأنس هو عكس الوحدة التي تعني: " الوجدة والعزلة أي البقاء وحيدا ومنفردا في مكان مهجور" وهي أيضا شعور تولده الوحدة كالتعاسة والحزن والكآبة والضيغ والخوف"<sup>1</sup>، أي أن التعايش يقصد الاستئناس بالآخر، ويكون هذا باللقاء وما يدور حوله من التوافق والاختلاف، ولكن دون المساس بمشاعر المحبة والصداقة.

يربط فتحي التريكي "لفظ التعايش" بكلمة "تأنس" والعلاقة بينهما، حيث يرى أن "كلمة الأنس" تحمل معنى شاملاً يجمع بين عدة جوانب من العلاقات الاجتماعية والانسانية والحكمة والتعبير عن المشاعر، كما تشمل تواصل الإنسان مع الآخرين وقدرته على الازدهار في بيئة اجتماعية متنوعة ومفيدة، وكذلك يُظهر الجوانب الإيجابية لهذه العلاقات مثل الصداقة، الحنان، والانفتاح على الآخرين.

ويقارن المفهوم بـ "التوحش"، مشيراً إلى أن التوحش هي المفهوم المعاكس لـ "لفظ التعايش"، حيث يصفه بأنها الشعور بالعزلة والوحدة والتبعية في بيئة منفردة، ويشير إلى أن هذا الشعور بالوحدة يمكن أن يثير مشاعر سلبية مثل الكآبة والحزن والتعاسة.

<sup>1</sup> رحيم محمد سالم الساعدي و سعدي موسى هديل، الفلسفة والعيش المشترك-وقائع مؤتمر العراقي الفلسفي الدولي العشر- مطبعة كلية الآداب -الجامعة المستنصرية-، بغداد، 2022، ص 23.

## الفصل الرابع: قيم العيش المشترك في فكر مالك بن نبي -

هذا القول يُسلط الضوء على أهمية التواصل الاجتماعي بين الأفراد في البيئة الاجتماعية الواحدة؛ وضرورة التعايش الإيجابي مع الآخرين وكيف يمكن أن يؤثر ذلك الأُنس الناتج عن التعايش على حالة الشخص العاطفية والنفسية.

يعرف العيش المشترك بأنه: " يراد به خلق جو من التعايش والتفاهم بين أبناء الشعب بعيدا عن الاقتتال أو العنف، على أنه اجتماع عدد من الناس في بقعة معينة من الأرض، بينهم رابطة وسائل العيش من الطعام وأساسيات الحياة والمصالح المشتركة بغض النظر عن الدين والانتماءات الأخرى، يعترف كل منهم بحق الآخر"<sup>1</sup>

يشير مفهوم العيش المشترك، خلق بيئة من التعايش والتفاهم بين أفراد المجتمع دون اللجوء إلى الاقتتال أو العنف، حيث: أنه يعبر عن اجتماع عدد الأفراد في مكان معين على وجه الأرض، ويتشاركون في وسائل العيش مثل الطعام وأساسيات الحياة، ويعملون على تحقيق المصالح المشتركة، ويمكن تحديد الجوانب الرئيسية للعيش المشترك في:

- **التعايش والتفاهم:** تشجيع الفهم المتبادل والتفاهم بين أفراد المجتمع بالرغم من وجود الاختلافات في الرؤى، مع التركيز على حل النزاعات أو علاج الاختلافات بطرق سلمية.

- **التعاون المعيشي:** مشاركة الموارد ووسائل العيش بين أفراد المجتمع دون النظر إلى الانتماءات والاختلافات الثقافية والدينية.

- **الاعتراف بحق الآخر:** اعتراف كل فرد بحقوق الآخرين في الاستمتاع بحياة كريمة وكرامة، بغض النظر عن اختلافاتهم.

<sup>1</sup> محمد نجيب سحر و صالح حسين علي عبد الله، "مبدأ المواطنة ضمان لتعزيز العيش"، مجلة الباحث العربي 4، عدد 3 (10 نوفمبر، 2023): 93-110.

## الفصل الرابع: ————— قيم العيش المشترك في فكر مالك بن نبي -

هذا المفهوم يعزز فكرة "العيش معا" مع الاندماج والتواصل الإيجابي بين أفراد المجتمع، والسعي إلى خلق بيئة مشتركة تعتمد على الاحترام المتبادل والتضامن الاجتماعي لتحقيق الرفاه المشترك أو السعادة الاجتماعية المشتركة.

### 1-2-2- مقاربة الاندماج الاجتماعي:

اهتم علماء علم الاجتماع منذ بداياتهم بالعلاقات التي تربط بين الأفراد والجماعة وبين الجماعات والأفراد، حيث يعتبر هذا "التكوين الاجتماعي" كمحور أساسي في تحليلاتهم السوسولوجية للجماعات والمجتمع، يركز البعض أكثر على الأفراد والبعض الآخر على الجماعة ومع ذلك، هناك توافق داخل بينهم على أن كلاهما مرتبطان بشكل مترابط، بغض النظر عن وحدة الدراسة.

ما يربط الأفراد بالجماعة وكذلك الأفراد ببعضهم أو حتى الجماعات بالمجتمع، هو تلك الروابط الاجتماعية التي تحقق لهم عملية الاندماج في عملية التفاعلات الاجتماعية، والذي يمكننا تعريفه بأنه مجموعة من العلاقات التي تربط الأفراد ضمن نفس المجموعة الاجتماعية والتي تنشئ قواعد اجتماعية ملزمة داخل هذه المجموعة وبعبارة أخرى، فإنه يمثل التماسك الاجتماعي لأفراد للمجتمع، مما يمكنه الصمود واستمراريته؛ يرتبط هذا المفهوم من الاندماج الاجتماعي بشكل مباشر بمفهوم آخر، وهو الربط الاجتماعي، حيث يشير إلى العملية التي يصبح فيها الفرد عضواً في مجموعة اجتماعية.

تركز على دمج الأفراد والمجموعات المختلفة في المجتمع بشكل فعال. هذه النظرية تؤمن بأن التعايش السلمي يمكن تحقيقه من خلال تقارب الثقافات والهويات المختلفة بدلاً من العزلة أو الانفصال.

## الفصل الرابع: قيم العيش المشترك في فكر مالك بن نبي -

تعتمد نظرية الاندماج على مفهوم التوازن بين الهويات الثقافية المتنوعة، حيث يمكن للأفراد الحفاظ على هوياتهم الفردية والثقافية الخاصة، وفي الوقت نفسه التفاعل والتعايش بشكل مشترك داخل المجتمع الواحد.

عندما يتم تحقيق الاندماج بنجاح، يتمكن الأفراد من الشعور بالانتماء إلى المجتمع بمختلف جوانبهم الثقافية، مما يساهم في خلق بيئة سلمية ومزدهرة للجميع.

تشجع نظرية الاندماج الاعتراف بالتنوع وتقدير الثقافات المختلفة، وتؤمن بأهمية التفاهم والتعاون بين الأفراد والمجموعات المتنوعة من أجل بناء مجتمع يعتمد على التعايش والتفاعل الإيجابي بين أفرادها.

من بين المهتمين بالاندماج الاجتماعي نجد دومينيك شنابر\* التي ترى أن مصطلح الاندماج "Intégration" يسوده الكثير من الغموض لأن استعماله في الحقل السوسيولوجي يختلف عن استعماله في الحقل السياسي، فكلا الحقلين يستعملا المصطلح بشكل مختلف .

في الحقل السوسيولوجي تسلط الضوء في البداية على نقص في الحديث عن الاندماج الذي غالبا ما يقتصر على الفرد في المجتمع دون مراعاة مجمل الخصائص السوسيو ثقافية للمجتمع نفسه، حيث ترى أنه يفترض أن المجتمع الوطني هو كتلة متجانسة، وهو ما يبعد كثيرا عن الواقع.

تسلط شنابر الضوء على أن اندماج المهاجرين هو جزء فقط من الاندماج الشامل في المجتمع، كما تشير إلى اعتبار المشاكل التي تواجه التعليم والطفولة الوطنية كلها مرتبطة مباشرة بمسألة الاندماج.

---

\*دومينيك شنابر (Dominique Schnapper) هي عالمة اجتماع وفيلسوفة فرنسية معروفة بأعمالها في مجال الاجتماع والسياسة، ولدت في عام 1934 وقدمت مساهمات كبيرة في فهم التحولات الاجتماعية والسياسية في فرنسا وأوروبا. كانت عضواً في مجلس الدستور الفرنسي ولها مؤلفات عديدة تتناول مواضيع مثل الهوية الوطنية والمواطنة والتكامل الاجتماعي وغيرها. تُعتبر شنابر مرجعاً مهماً في دراسة التفاعلات بين السياسة والاجتماع والتحولات الثقافية في المجتمعات الحديثة.

## الفصل الرابع: \_\_\_\_\_ قيم العيش المشترك في فكر مالك بن نبي -

من خلال العودة إلى أفكار أرنست رينان الذي كان من بين الفلاسفة الذين شددوا على أهمية الاندماج الاجتماعي والثقافي كأساس للتقدم والتطور الإنساني، حيث كان يرى بأن التنوع الثقافي والاجتماعي هو جزء أساسي من الحياة البشرية ولكنه أيضًا أكد على ضرورة الاندماج والتلاقح بين هذه الثقافات المتعددة من أجل مجتمع متكامل فعدم التجانس لا يعني عدم التفاهم، تثير شنابر مفهوم "تفكك" الأمة وبالتالي، تسلط الضوء على أهمية النظر ليس فقط إلى اندماج الأفراد في المجتمع، ولكن يجب التحدث عن الاندماج الثقافي والاجتماعي الذي يكون عبر الانخراط في العمل

ان النظر الى المواطن باعتباره صوت انتخابي فقط كما يراه الساسة لا يمكن أن يحقق الاندماج المرجو، لأن في ظل هذا التنوع الثقافي يجب الحديث عن الاندماج الاجتماعي من جانب مسؤولية الدولة وجانب مسؤولية الفرد في حد ذاته، فالدولة لا بد أن تحقق الاندماج للأفراد من خلال العمل، فالعمل يسهل عملية اندماجهم في المجتمع، ومن جهة لا يمكن الحديث عن الاندماج الاجتماعي دون أن يكون هناك تنازلات عن المميزات الاجتماعية والثقافية وحتى العرقية للأفراد<sup>1</sup>

موضوع الاندماج الاجتماعي في ظل التنوع الثقافي والاختلافات العرقية هو قضية معقدة ومهمة، ويشمل تفاعلات معقدة بين الدولة والمواطنين، ولهذا لا بد من ادراك أهمية التفاعل بين المسؤوليات الحكومية والفردية في تحقيق الاندماج؛ سأقدم ولهذا لا بد من أجل تحقيق هذا الهدف:

### أ- دور الدولة:

- توفير فرص العمل: يجب على الدولة توفير بيئة عمل ملائمة تتيح للأفراد فرصًا متساوية للمشاركة في الحياة المهنية.

<sup>1</sup> Jolibert Bernard, "Qu'est-ce que l'intégration?", de Dominique Schnapper", hal open science (blog), 2007, <https://hal.univ-reunion.fr/hal-02452458v1/document>.

## الفصل الرابع: \_\_\_\_\_ قيم العيش المشترك في فكر مالك بن نبي -

تعزيز التعليم: الاستثمار في التعليم وتوفير فرص تعليمية عادلة تساهم في تمكين الفرد وزيادة فرص التواصل بين مختلف الثقافات.

- سياسات التنوع: تبني سياسات تشجع على التنوع وتقدم حماية للحقوق المدنية والسياسية لجميع المواطنين بغض النظر عن خلفياتهم.

### ب - دور الفرد:

- التفاعل الاجتماعي: يجب على الأفراد التفاعل مع مجتمعهم المحلي والمساهمة فيه بناءً على قيم التعايش المشترك والاحترام المتبادل.

- تقدير التنوع: يجب أن يكون لديهم قدرة على قبول وتقدير التنوع الثقافي والاحترام المتبادل.

- التحلي بالمرونة: التكيف مع تغيرات المجتمع والاستعداد للتنازلات من أجل تعزيز التضامن

والتفاهم.

ثانياً: قيمة العيش المشترك عند مالك بن نبي:

قيمة العيش المشترك تعكس أهمية بناء علاقات صحية ومثمرة مع الآخرين في المجتمع، ويشجع على التفاعل الإيجابي وتبادل الخبرات والثقافات في سبيل خلق بيئة متناغمة ومتفاعلة، لهذا ركز بن نبي على ضرورة الاجتماع البشري، والتربية على العيش المشترك عن طريق بناء شبكة العلاقات الاجتماعية التي يقرر بأنّها:

" العمل التاريخي الأول الذي يقوم به المجتمع ساعة ميلاده"<sup>1</sup>، فالمجتمع عند ساعة ميلاده وهي بداية حركته نحو صناعة مجده، يسعى لإشباع حاجيات أفراد، فيدخل أعضائه في عمليات اجتماعية تفاعلية، كلاً حسب مكانته الاجتماعية، فينسجون بذلك التفاعل "شبكة من العلاقات الاجتماعية"، تزداد روابط هذه الشبكة متانة كلما كانت عمليات التفاعل متجهة نحو هدف مشترك، وتتحرك بانسجام مع هذا الهدف، وضمن ثقافة المجتمع، فالفرد يدخل في علاقات اجتماعية ويشكل مجموعة من الروابط أخوة، أبوة، علاقة عمل، علاقات جيرة... الخ من العلاقات الناتجة عن الاجتماع الإنساني، والتفاعل اليومي التي تعمل على تحقيق التغيير الاجتماعي والقيام بالنهضة الاجتماعية، وبناء الصرح الحضاري.

والفرد كعضو في المجتمع أول شيء يتعرض له عن طريق التربية الاجتماعية هو تغيير صفاته البدائية:

"إن العمل في طريق التغيير الاجتماعي هو العمل الذي يغير الفرد من كونه فرداً (Individu)

إلى أن يصبح شخصاً (Personne) وذلك بتغيير صفاته البدائية الذي تربطه بالنوع إلى نزعات

اجتماعية تربطه بالمجتمع"<sup>2</sup>

<sup>1</sup> مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مرجع سابق، ص 28.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 31.

## الفصل الرابع: ————— قيم العيش المشترك في فكر مالك بن نبي -

هذا الكلام يشير إلى أن الهدف من التغيير الاجتماعي هو العمل الاجتماعي على تحويل الفرد من كونه مجرد فرد إلى أن يصبح شخصاً يتفاعل ويتأثر بالمجتمع من حوله.

في هذا السياق، يمكن تفسير ذلك أن الفرد في بداية وجوده يحمل صفات بدائية ترتبط بالنوع أو الطبيعة البشرية، بينما يمكن تفسير الشخص كفرد أكثر تطوراً، يتأثر بالعوامل الاجتماعية ويساهم في العمليات الاجتماعية وبناء مجتمع حضاري.

مالك يريد أن يوضح بكلامه أن العمل في مجال التغيير الاجتماعي يسعى لتحقيق تحول في صفات الفرد، مما يجعله شخصاً يساهم في تشكيل وتحسين المجتمع بشكل فعال؛ هذا يعني التحول من النظرة الضيقة للفرد إلى رؤية أوسع تأخذ في اعتبارها العلاقة بين الفرد والمجتمع وتأثير كل منهما على الآخر.

تم التطرق سابقاً إلى أن التربية هي عملية تغيير للإنسان والمجتمع، حيث تعمل على تغيير الصفات البدائية للفرد التي تربطه بالنوع البشري فقط، إلى نزعات اجتماعية تجعله مرتبط بالمجتمع، الارتباط بالمجتمع يكون من خلال عمليات تفاعلية بين العوالم الثلاثة: عالم الأفكار، عالم الأشياء وعالم الأشخاص، هذا التفاعل الارتباطي سماه مالك بن نبي بـ: "شبكة العلاقات الاجتماعية"، لا شك أن عملية التربية الاجتماعية تترك أفراد المجتمع يعيشون بأهداف مشتركة ووعي مشترك من أجل تحقيق بناء المجتمع المتحضر أو بناء مجتمع يملك حضارة.

فمنسج شبكة العلاقات الاجتماعية تبدأ ببناء الفرد، وعملية البناء هي تحويل الفرد الخام إلى شخص، شخص يحمل قيم ومبادئ أخلاق المجتمع الذي يقاسمه العيش، يكون هذا التغيير من خلال التشبع بثقافة

المجتمع: " إن الثقافة هي المحيط الذي يصوغ كيان الفرد، كما أنّها مجموع من القواعد الأخلاقية والجمالية... إلخ"<sup>1</sup>،

الثقافة عند مالك بن نبي تلعب دوراً أساسياً وحاسماً في تشكيل هوية الفرد الاجتماعية؛ تلعب القيم والمعتقدات والتقاليد والعادات التي يكتسبها من الثقافة التي ينتمي إليها دوراً في فهم نفسه وفهم محيطه، لأنها تلعب دوراً أساسياً في توجيه تصرفات الفرد وتشكيل مفهومه للخير والشر والجمال.

حيث يكتسب الفرد تصوراتهِ للأخلاق والجمال والعمل بالعديد من العوامل، بما في ذلك التربية، والتجارب الشخصية، والتفاعل مع أفراد المجتمع، الثقافة بهذه العناصر الأساسية هي التي تشكل منظومة قيمه الشخصية وتوجهه الأخلاقية والجمالية والعملية.

إلى جانب ذلك، يمكن للثقافة أن تلعب دوراً في تشجيع التغيير الاجتماعي من خلال تحفيز التفكير النقدي وتجديد المفاهيم القائمة، مما يساهم في تطور المجتمع.

وهذا يعني أن الثقافة تكون موجهة للفرد نحو الأخلاق والقيم التي تمثل فلسفة مجتمعه، بالإضافة إلى التذوق للجمال واكتسابه للمهارة العملية.

#### 1- مفهوم شبكة العلاقات الاجتماعية:

استعمل مالك بن نبي أول مرة مصطلح شبكة العلاقات الاجتماعية في كتابه ميلاد مجتمع الصادر في سنة الذي صدر سنة 1962، بالإضافة أنه جعل عنوانه الفرعي هو "شبكة العلاقات الاجتماعية"، وذلك لأنه استعمله في تحليل بنية المجتمعات ونشأتها، وبعد هذا استعمله كلما تم ذكر العلاقات الاجتماعية، ثم تم استعمال المصطلح في مقالة له كتبت بالفرنسية سنة 1965 بمجلة "الثورة

<sup>1</sup>مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مرجع سابق، ص 32.

الإفريقية"، وترجمت ونشرت من بعد في كتاب بين الرشاد والتهيه، وهو الكتاب الذي "ضم مقالات كتبها الأستاذ مالك بن نبي بالفرنسية، ونشر معظمها في جريدة الثورة الإفريقية\* إثر عودته إلى الجزائر بعد الاستقلال في الستينات، وقد جمعها رحمه في صيف 1973، وترجمها إلى العربية ثم بوجها وحدد فصولها، واختتمها بكلمة عن الصراع الفكري"<sup>1</sup>.

كما استعمل مالك بن نبي مصطلح الروابط الاجتماعية في كتابي شروط النهضة، والقضايا الكبرى.

أما استعمال كلمة شبكة فقد استعمله بن نبي في كتابه الصراع الفكري في البلاد المستعمرة عندما تحدث عن الصراع الفكري وكيف يتم تحويله من طرف المستدمر من صراع بينه وبين مفكري القضية الوطنية إلى صراع داخلي بين مفكري القضية الوطنية من أجل تقويض وتمزيق شبكة العلاقات العضوية<sup>2</sup>.

يرى نورالدين ميهوبي أن مالك بن نبي أدرج مصطلح شبكة العلاقات الاجتماعية في كتبه بداية الستينات، وهي "فترة زمنية توافقت انتشار مصطلح الشبكة في حقل علم الاجتماع في أوروبا بشكل عام، وفي فرنسا على الخصوص، ويرجع تطور وانتشار هذا المصطلح في فرنسا إلى الصدى الذي لقيه كتاب "أسس القياس الاجتماعي" لعالم النفس الاجتماعي جاكوب مورينو، هذا الكتاب صدر لأول مرة في فرنسا سنة 1954"<sup>3</sup>

استعمل مالك بن نبي مصطلح شبكة العلاقات الاجتماعية عندما تحدث عن التحضر، فيقول

التحضر هو: " أن يتعلم (الإنسان) كيف يعيش في جماعة، ويدرك في الوقت ذاته الأهمية الرئيسية

\* ماعدا مقالة السياسة والبوليتيك في الفصل الثالث - فصل السياسة - التي أضفها مالك بن نبي، ومقالة مفاتيح الحرب في الفصل الرابع - فصل في قضية فلسطين - التي نشرت بجريدة المجاهد مارس 1961، ومقالة الصراع الفكري وهي حاقمة الكتاب التي تم اضافتها من طرف مالك بن نبي عندما تم جمع المقالات.

<sup>1</sup> مالك بن نبي، بين الرشاد والتهيه، دار الفكر، دمشق، ط12، 2016، ص 07.

<sup>2</sup> مالك بن نبي، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، مرجع سابق، ص 55.

<sup>3</sup> عمر نقيب و آخرون، سؤال المجتمع عند مالك بن نبي، المحمدية: شركة الأصالة للنشر والتوزيع، المحمدية، 2021، ص 218.

## الفصل الرابع: ————— قيم العيش المشترك في فكر مالك بن نبي -

لشبكة العلاقات الاجتماعية، في تنظيم الحياة الانسانية من أجل وظيفتها التاريخية<sup>1</sup>؛ الفرد بصفته عضو في الجماعة الاجتماعية التي ينتمي، يحاول دائما السعي على امتلاك القدرة على التفاعل والعيش داخل المجتمع، باعتبار ذلك أحد الجوانب الأساسية للحياة الانسانية، وهذا التفاعل يجعله ينسج شبكة من الروابط أو العلاقات الاجتماعية؛ حيث يعيش الفرد ويزدهر بفضل الروابط الاجتماعية التي يبنها ويحاول أن يحافظ عليها وأن ينميها، وتكون هذه الشبكة متعددة الاطراف تساعد في تنظيم الحياة البشرية التي تحقق للمجتمع الأهداف التاريخية والثقافية والاجتماعية والديناميكية الحضارية.

في هذا الصدد يرى مالك بن نبي أن المجتمع يركز على التعاون والتفاعل بين أفراده لتحقيق التنمية والازدهار، ويلعب كل فرد دورا أساسيا في البنية الاجتماعية، ومن ثم فإن تعلم كيفية التفاعل مع الآخرين وبناء علاقات إيجابية أمر أساسي للحياة الشخصية والاجتماعية.

إن إدراك الأهمية الرئيسية للشبكات الاجتماعية في العلاقات يسمح للأفراد بالاندماج في مجتمع أفضل، مما يساهم في تحقيق التوازن الاجتماعي والنمو الشخصي، وبناء العلاقات الاجتماعية الصحية هي دعم لا غنى عنه لنجاح الإنسان في مختلف جوانب حياته، لذلك يساهم التواصل وبناء الروابط الاجتماعية القوية في تحقيق الأهداف الشخصية وتحقيق مساره التاريخي والمهني بشكل أفضل.

تعلم العيش في جماعة، يُلزم الفرد ببناء مجموعة من العلاقات الاجتماعية، والعمل على فهم نظام الانعكاسات لهذه العلاقات، ويدرك في الوقت نفسه الأهمية الرئيسية لها في تنظيم الحياة الانسانية، هذا التنظيم الذي يساعد المجتمع على أداء وظيفته التاريخية، وهي توفير الشروط الضرورية لأفراد المجتمع.

<sup>1</sup>مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مرجع سابق، ص 94.

## الفصل الرابع: ————— قيم العيش المشترك في فكر مالك بن نبي -

التحضر وهو تعلم الانسان -الشخص وليس الفرد- العيش في الجماعة، هذا العيش من مقتضاه التواصل والتفاعل الاجتماعي مع باقي الشركاء: شركاء في العيش، شركاء في الوطن، شركاء في القيم، شركاء في الأفكار وشركاء في الحياة الاجتماعية اليومية، هذه الحياة تبنى على الصلات والروابط الاجتماعية التي تشكل مع بعضها شبكة من العلاقات الاجتماعية.

إدراك هذا الانسان لأهمية هذه الشبكة من العلاقات الاجتماعية، التي تنظم الحياة والطاقت الحية التي يمتلكها هؤلاء الشركاء في شبكة العلاقات الاجتماعية، يسهل على المجتمع وأعضائه أداء نشاطهم الاجتماعي المشترك، ويؤمن هذا النشاط، في إطار حركته الطبيعية التي تكون حركة منتجة وفعالة.

والتحضر بهذا المعنى هو عند البعض فكرة المواطنة، والتي تبنى على التشاركية في الحياة الاجتماعية بكامل عناصرها، إذ من ضرورات الحياة والاجتماع البشري تنظيم المجتمع كبنيان منظم وليس عبارة عن تكديس للأفراد، لأن المجتمع وظيفته تقديم الراحة للفرد، من خلال توفير كل الشروط الضرورية لتأمين الحياة الكريمة لهم "المجتمع الذي يقوم بوظيفته التاريخية نحو الفرد ويحقق راحة الفرد، فإنه لا بد أن نفهم معناه فهما دقيقا، فهو ليس عددا من الأفراد، وإنما هو شيء خاص، هو البنيان وليس تكديس الأفراد"<sup>1</sup>، المجتمع ليس مجرد تجمّع عشوائي للأفراد بل هو بناء معقد يُشكّله هذا التجمّع ليخدم الفرد ويساهم في تحقيق مصالحه وراحته.، المجتمع هو عبارة عن نظام اجتماعي يتكون من شبكة من العلاقات والتفاعلات بين الأفراد والمؤسسات والقيم والتقاليد.

<sup>1</sup>مالك بن نبي، تأملات، مرجع سابق، ص 157.

## الفصل الرابع: ————— قيم العيش المشترك في فكر مالك بن نبي -

عندما يقوم المجتمع بوظيفته التاريخية نحو الفرد، يكون مركز اهتمامه هو رفاهية الأفراد وتحقيق استقرارهم وسعادتهم، يُفهم المجتمع في هذا السياق كبنية تهدف إلى تحقيق العدالة الاجتماعية، وتوفير الفرص المتساوية والحماية، ودعم التنمية الشخصية لكل فرد.

هذا الفهم الدقيق يُسلط الضوء على أهمية بناء المجتمعات التي تعمل على تحقيق الرفاه العام للأفراد دون تجاهل أو استثناء، إذا كانت الأنظمة الاجتماعية تعمل بكفاءة وتؤمن بحقوق الأفراد وتلبي احتياجاتهم، فإن ذلك يُشكّل أساسًا مهمًا لتحقيق التنمية الشاملة والمستدامة في مختلف جوانب الحياة، هذه التنمية هي التي تؤدي لعملية النهوض الحضاري.

تنظيم هذا البنيان الاجتماعي أساسه هو تنظيم العلاقات الاجتماعية وانعكاساتها، إن استعمال مصطلح البنيان هو للدلالة على التماسك والتشابك، فإطلاقه على الاجتماع البشري يشير إلى الوحدات المتماصة من المجتمع، وإذا كان تمسك البنيان في العمران المدني يعود إلى الاسمنت الذي يربط الآجر ويتركه متماسك، فالفضل في العمران البشري يعود إلى العلاقات الاجتماعية أو الصلات الاجتماعية التي تربط بين عوالمه، وتتركه قائما ومستمرًا.

كما أن البنيان هو تعبيراً على العملية المنظمة والمخطط لها مستقبلاً (فكرة تنفيذ)، وليس مجرد تكديس للأفراد والأشياء والأفكار، حيث أن الأفراد يحتلون مراكز مختلفة في شبكة العلاقات الاجتماعية، ويؤدون أدوار موصوفة مسبقاً على حسب المركز الذي يحتلونه الأفراد، وتتقاطع الأدوار في نقاط مشتركة تابعة للعمل المشترك الذي يعبر عن الوعي الجماعي المشترك للأفراد.

ولهذا ركز أصحاب البنيوية التكوينية على دراسة وفهم نظام العلاقات الاجتماعية من خلال فهم الروابط الاجتماعية، حيث يرى بورديو أنه: " لفهم مجتمع ما علينا فحص نظامه في مسألة الربط

الاجتماعي، ضمن المسافة الفاصلة بين الوعي الفردي داخل الجماعة والطبقة والوعي الجمعي الذي تمثله الطبقة المهيمنة"<sup>1</sup>؛ أي أنه لفهم مجتمع معين، يجب التفكير في الرابط الاجتماعي على مستويين رئيسيين: الوعي الفردي داخل الجماعة والطبقة، والوعي الجمعي الذي تمثله الطبقة المهيمنة. دعونا نلقي نظرة على هذين الجانبين:

**-الوعي الفردي داخل الجماعة:** يتعلق بالإدراك الشخصي والتمثيلات الاجتماعية التي يحملها

الأفراد في المجتمع بشكل عام، عن العيش المشترك، حيث يتأثر الوعي الفردي بالتربية، والتعليم، والتجارب الشخصية، كل فرد هو مبني ثقافيا ويحمل آراء وقيماً تشكل جزءاً من هويته وتأثيره في المجتمع.

**الوعي الجماعي:** يعبر عن التمثيلات الاجتماعية الذي يشترك فيه أفراد المجتمع حول قضايا مشتركة

والفهم لها، هذه التمثيلات التي يتم تشكيلها من خلال التفاعلات الاجتماعية والاتصالات والقيم المشتركة؛ أي من خلال العيش المشترك الذي يؤثر الوعي الجماعي على السلوك الجماعي والتكامل الاجتماعي.

**الطبقة المهيمنة وتشكيل الوعي الجماعي:** يشير بورديو إلى أن الفئة الاجتماعية التي تمتلك السلطة

والموارد الاقتصادية وتسيطر على الهيكل الاجتماعي، يكون لديها تأثير كبير في تحديد القيم والتوجهات الاجتماعية، وبالتالي يكون لديها دور في تشكيل الوعي الجماعي من خلال وسائل الإعلام والتربية والسياسة، حيث أشار إلى ذلك في كتابه " التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول " وكتابه " إعادة الإنتاج في سبيل نظرية عامة لنسق التعليم ".

<sup>1</sup>الطيب صيد، سوسولوجيا الرابط الاجتماعي، المعارف للطباعة، الجزائر، 2017، ص 44.

## الفصل الرابع: قيم العيش المشترك في فكر مالك بن نبي -

يستعمل مصطلح الرابط الاجتماعي عند السوسيولوجيين للتعبير عن العلاقات الاجتماعية التي تربط الأفراد "العلاقات الاجتماعية التي تتم وتجمع بين الأفراد في حالات وجها لوجه، سواء أكانت علاقات شخصية أو لا شخصية، فالرابط الاجتماعي يعني مجموع العلاقات سواء أتعلق الأمر بالألفة أو الأنسة الاجتماعية **sociabilité** أو أي شكل من أشكال الرابط الاجتماعي"<sup>1</sup>.

العلاقات الاجتماعية تلعب دوراً حيوياً في تشكيل هويتنا وتجاربنا اليومية، الرابط الاجتماعي يشمل مجموعة متنوعة من العلاقات، سواء كانت شخصية أو لا شخصية، ويعكس كيفية تفاعل الأفراد مع بعضهم البعض ومع المجتمع بشكل عام.

-العلاقات الشخصية: تتضمن هذه العلاقات الاجتماعية؛ الرابط بين الأفراد على مستوى فردي، يشمل ذلك الصداقات، والعلاقات القرابية، والعلاقات العاطفية، علاقات الجيرة، وغيرها من الارتباطات التي تتكون في سياقات شخصية.

-العلاقات اللاشخصية: تشمل هذه العلاقات الرابط الاجتماعي في سياقات غير فردية، مثل العلاقات في المجتمع أو العلاقات في العمل، يمكن أن تكون هذه العلاقات مبنية على الاتصالات الرسمية أو غير الرسمية وتساهم في بناء شبكات اجتماعية وتقوية روابط المجتمع.

- الألفة الاجتماعية: تشير إلى القدرة على التفاعل والتواصل بفعالية مع الآخرين. يعكس مستوى الألفة الاجتماعية قدرة الفرد على التكيف مع محيطه الاجتماعي والمساهمة في بناء علاقات إيجابية. الرابط الاجتماعي يساهم في بناء التفاعل الاجتماعي وفهم الذات والآخرين، وهو جزء أساسي من الحياة الاجتماعية والنمو الشخصي.

<sup>1</sup> بشير طلحة، سوسيولوجية الرابط الاجتماعي محاولة للفهم ، مخبر سوسيولوجيا الاتصال الثقافي: القيم والتمثيلات والممارسات، الأغواط، 2021، ص20.

## الفصل الرابع: ————— قيم العيش المشترك في فكر مالك بن نبي -

فالرابط الاجتماعي يعتبر أساس وجود المجتمع ذاته، فبدون رابط اجتماعي لا يمكن وجود حياة جماعية، وستشهد المجتمعات عودة الهمجية، وعندما يتم الحديث عن الروابط الاجتماعية، فالمقصود بها الروابط المحكومة بقيم ومبادئ خلقية، هناك روابط القرابة قرابة الدم، قرابة المصاهرة، قرابة الجوار، القرابة المهنية، فهذه كلها روابط أو علاقات اجتماعية يعيشها الأفراد ضمن حياتهم اليومية، وهي التي تمنح للواقع الاجتماعي عمقه وملمسه.

أما مالك بن نبي فقد استعمل مصطلح "شبكة العلاقات الاجتماعية"، للتعبير عن هذه العلاقات الاجتماعية التي تحدث خلال التفاعلات الاجتماعية اليومية بين أفراد المجتمع أو ما يعرف بالفاعلين الاجتماعيين في لغة علم الاجتماع، وتعبير مالك بن نبي أبلغ لأن الشبكة تجمع مجموع من الروابط، وكلما زاد عدد العلاقات والصلات الاجتماعية، زادت الروابط الاجتماعية التي تجعل شبكة العلاقات الاجتماعية أكثر قوة ومتانة.

إن كلمة رابط في اللغة العربية فاعل من فعل ربط وتعني الوصل بين طرفين بقوة مع دوام ذلك، ولو لم يكن هذان الطرفان يرغبان في هذا الربط، وهو يحمل عدة دلالات في اللغة العربية منها: الصلة، الشدة والشدة<sup>1</sup>، والعلاقة أيضا تعني الصلة بين اثنين أو أكثر، والفرد في حياته اليومية لديه صلات عديدة، تعدد الصلات مهنها تعدد الروابط، وقد تتشابك هذه الروابط فتشكل شبكة من العلاقات، لهذا أطلق عليها مالك بن نبي "شبكة العلاقات الاجتماعية"، ولكن مالك بن نبي لم يتحدث عن الصلات أو العلاقات بين الأفراد فقط، بل تحدث عن العلاقات بين العوالم الثلاثة: عالم الأشخاص، عالم الأفكار وعالم الأشياء.

<sup>1</sup> عبد العزيز بن محمد خواجه، سوسولوجية الرابط الاجتماعي بناءات مفاهيمية ومسارات نظرية، داية للطباعة، غرداية، 2018، ص 9.

إن التفاعل بين العوالم الثلاثة يعطي ديناميكية داخل الجماعة، وهذا ما ينتج ما سماه مالك بن نبي بالمجتمع التاريخي، هذا التفاعل بين العوالم الثلاثة يكون عبر مرحلة زمنية، وفي رقعة جغرافية معينة، وبالتالي ينتج لنا الحضارة:

**نتاج الحضارة = الانسان + التراب + الزمن**

والتراب هنا يحمل معنيين المعنى الأول هو الموارد الخام، التي يمتلكها المجتمع، والمعنى الثاني هو الوطن أو الموطن الذي يتخذه المجتمع مكانا للعيش المشترك، لهذا مالك بن نبي تحدث عن الفكرة التي لا تجد المجال والظروف المناسبة لها، قد تهاجر وتأخذ لها موطناً آخر وتعطي فعاليتها وضرب لنا مثلاً بالفكرة المسيحية التي هاجرت موطنها الأصلي فلسطين حيث قال: "وإذن فقد غادرت الفكرة المسيحية أرض مولدها(فلسطين)، بحثاً عن هذه الظروف في أوروبا الغربية، حيث أُنحت الحضارة الرومانية دولتها خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين"<sup>1</sup>.

صحيح أن الفكرة المسيحية بدأت في أرض مولدها في فلسطين، ولكن مع مرور الوقت انتقلت إلى مناطق أخرى بحثاً عن ظروف يمكنها أن تستقر بها وتنمو، وكانت أوروبا الغربية واحدة من الأماكن الرئيسية التي استقرت فيها وتطورت، بعد اضمحلال الحضارة الرومانية بشكل كبير بانتهاء الإمبراطورية الرومانية في القرون الرابع والخامس الميلاديين، مما فتح الباب أمام انتشار الفكر المسيحي في أنحاء أوروبا. بعد انهيار الإمبراطورية الرومانية، كانت هناك حالة من الاضطرابات والاختلالات في المنطقة، وقد كان الديانة المسيحية تلعب دوراً مهماً في توحيد الناس وتقديم بنية معنوية للمجتمع، أسهمت الكنيسة المسيحية في الحفاظ على الهوية الثقافية والاستقرار الاجتماعي.

<sup>1</sup> بن نبي، ميلاد مجتمع، مرجع سابق، ص60.

## الفصل الرابع: \_\_\_\_\_ قيم العيش المشترك في فكر مالك بن نبي -

مع مرور الزمن، أصبحت الكنيسة المسيحية الغربية (الكنيسة الكاثوليكية الرومانية) هي سلطة دينية وسياسية رئيسية في أوروبا، وتأثرت الحضارة الأوروبية بالفلسفة المسيحية والقيم الدينية، تطوّرت المجتمعات الأوروبية في إطار مسيحي، وشكلت الكنيسة جزءاً مهماً من هويتها الثقافية والاجتماعية.

ومنه يمكن القول إن مفهوم شبكة العلاقات الاجتماعية هو: "مجموعات الروابط أو الصلات التي يعقدها الفرد في حياته اليومية مع عالم الأشخاص وعالم الأفكار وعالم الأشياء خلال فترة زمنية في رقعة جغرافية محددة يتخذها موطناً له، وينتج على أرضها حضارة"، كما عرفت فاطمة الزهراء سعيداني بـ: "مجموع العلاقات الاجتماعية التي توفر الصلات الضرورية، التي تربط الأشخاص والأفكار والأشياء، من أجل تفعيل نشاط هذه العوامل في إطار عمل مشترك من أجل التغيير"<sup>1</sup>.

### 1-1- دور الفكرة الدينية في استمرار شبكة العلاقات الاجتماعية:

تؤدي الفكرة الدينية عند مالك بن نبي دوراً أساسياً في تكوين البناء الاجتماعي، واستمرار شبكة العلاقات الاجتماعية، والفكرة الدينية عنده هي كل معتقد يؤمن به الأفراد، وتوجه نشاطهم وأفعالهم، ولهذا اعتبر بن نبي الماركسيّة منطلقاً لفكرة دينية، لأنه يرى أن الفكرة الدينية ليست نسقاً من الأفكار الغيبية فقط، ولا يقصرها على الدين السماوي فقط؛ بل هي كل قانون يحكم فكر الإنسان، وتوجه بصره نحو أفق أوسع، وتنظم الطاقة الحيوية لديه، حيث تعتبر المرجعية للمنظومة القيمية والأخلاقية للمجتمع، وهي التي تحقق التضامن والتماسك بين أطراف المجتمع:

**"فالعنصر الديني بصفة عامة فضلاً عن أنه يُغذي الجذور النفسانية العامة، يتدخل مباشرة في**

**العناصر الشخصية التي تكون الأنا الواعية في الفرد، وفي تنظيم الطاقة الحيوية التي تضعها الغرائز في**

<sup>1</sup> فاطمة الزهراء سعيداني، مكانة شبكة العلاقات الاجتماعية في البناء الحضاري عند مالك بن نبي، كتابك، الجزائر، 2014، ص 34.

خدمة هذه الأنا، ولما كانت هذه الطاقة الحيويّة المنظّمة تتحوّل إلى نشاط اجتماعي لدى الفرد، وكان هذا النشاط لدى الفرد سبباً في وجود النشاط المشترك للمجتمع خلال التاريخ، فإن ذلك يرينا بصورة واضحة أهميّة دور العنصر الديني، بطريقتين مختلفتين<sup>1</sup>.

العنصر الديني يمكن أن يلعب دوراً محورياً في تشكيل الهوية الشخصية والدينية للفرد، فهو يؤثر على الجوانب النفسية والثقافية والاجتماعية للفرد والمجتمع بصفة عامة. وهناك طريقتان مختلفتان يمكن من خلالهما رؤية أهمية العنصر الديني:

-الأثر الشخصي: يعمل الدين على تشكيل الأنا الروحيّة الواعية للفرد؛ حيث يؤثر على بناء منظومة القيم والمعايير والمعتقدات التي توجه سلوكياته، حيث يكون الدين جزءاً أساسياً في بناء هويته وتوجهه الحياتية، كما يعتبر مصدر قوة دافعة وملهمة للأفراد، يقودهم لاتخاذ القرارات والأفعال التي قد تكون ذات فعالية بالنسبة لهم.

-الأثر الاجتماعي: يرى مالك بن نبي أن الدين يساهم في تنظيم الطاقة الحيوية للفرد وتحويلها إلى نشاط اجتماعي؛ حيث يتحول الدين إلى دافع للتفاعل والمشاركة الفعالة في المجتمع. من خلال قيامه بتوجيه الأفراد نحو أنماط السلوك الاجتماعي المقبولة وقيم ومعايير العمل الجماعي، مما يساهم في بناء وتعزيز النشاط المشترك والتضامن الجماعي.

بهذه الطرق، يمكن رؤية أهمية العنصر الديني في تأثيره على الفرد على المستوى الشخصي والاجتماعي، مما يساهم في تشكيل هويته ودوره في المجتمع.

1-1-1-أهميّة العنصر الديني في تكوين "الأنا":

<sup>1</sup> بن نبي، ميلاد مجتمع، مرجع سابق، ص 72.

الانسان تحركه مجموعة من الغرائز، هذا ما يقره علم النفس، كما أن الظروف النفسية للفرد هي من تزيد أو تنقص من فعالية الفرد الاجتماعية، والغرائز ذاتية إذا لم تنظم تكون مدمرة للعلاقات الاجتماعية وتساهم بطريقة سلبية في تمزيق شبكة العلاقات الاجتماعية\*، و يقر مالك بن نبي أن الفكرة الدينية هي من تُكوّن الأنا الواعية، واعية بحالها وواقعها الاجتماعي، وهي التي تستطيع تحويل الغرائز وما تحمله من طاقات حيوية الى نشاط اجتماعي يخدم المجتمع.

الوعي هو من يصنع الواقع الاجتماعي للفرد ويني المجتمع، ولهذا يجب على الفرد أن يعي هذا الواقع جيدا، لأنه هو من صنعه وبدوره هو سيصنع واقعا اجتماعيا بعمليات التعديل والتغيير التي يساهم في احداثها داخل المجتمع.

إن الفكرة الدينية هي من حولت غريزة حب التملك عند الرعييل الأول من الصحابة في المجتمع الإسلامي الى طاقة حيوية لخدمة المجتمع، ويبدو ذلك في صورة تسابق للتبرع بأموالهم يوم بدر ويوم تبوك، والتاريخ يضرب لنا أمثلة عديدة كيف بفضل الدين تحولت غرائز تعبر عن الأنا الى نشاط اجتماعي مشترك

### 1-1-2- أهمية العنصر الديني في تكوين "نحن":

إن للدين أهمية كبرى في تكوين اللحمة الجماعية، وتحقيق التماسك الاجتماعي، فهو حسب مالك بن نبي يغذي الجذور النفسية العامة، أي يتدخل مباشرة في تغيير الخصائص النفسية العامة للمجتمع، فهو لا يكتف بتوجيه الفرد بل يتعدى الى توجيه المجتمع، وبالتالي تحويل الطاقات الفردية للفرد إلى نشاط جماعي مشترك، باعتبار أن النشاط الاجتماعي المشترك كلما زاد وتنظم كان أكثر فعالية.

\* تم توضيح ذلك في فصل التربية الاجتماعية عند مالك بن نبي.

إن فعالية العمل الجماعي يوضحها مالك بن نبي بثلاثة أمثلة عن الحيوان، فالقط يعيش فرديا فيكتفي بتحقيق حاجاته البيولوجية، وهي التغذية ولا يتعدى ذلك، ويأتي في الدرجة الثانية الطيور التي تعيش في نظام أسري بسيط، في حين نجد النحل الذي يعيش حياة اجتماعية منظمة تنظيما دقيقا أكثر فعالية ونتاجية من الباقي، وبالتالي فالنشاط الاجتماعي المشترك المنظم هو أكثر فعالية.

يقر مالك بن نبي أن الفكرة الأولى التي تغرس بذرتها في تاريخ ميلاد مجتمع، هي فكرة دينية، وينطبق هذا على كل المجتمعات، سواء كانت هذه المجتمعات قائمة، أم مجتمعات اختفت من الوجود "فسواء كنا بصدد المجتمع الإسلامي أو المجتمع المسيحي، أم كنا بصدد المجتمعات التي تحجرت اليوم أو اختفت تماما من الوجود، فإننا نستطيع أن نقرر أن الفكرة التي غرست بذرتها في حقل التاريخ هي فكرة دينية، ومعنى هذا أن الظرف الاستثنائي الذي يلد مجتمعا يتفق في الواقع مع الفكرة الدينية التي تحمل مقاديره"<sup>1</sup>،

الفكرة الدينية غالبًا ما تكون أحد العوامل الرئيسية في بناء المجتمعات وتشكيل القيم والهوية الثقافية الجماعية؛ حيث للفكرة الدينية تأثيرًا عميقًا في تحديد معايير المجتمع وأشكال التفاعلات الاجتماعية.

سواء كان الفكر الديني في المجتمعات الإسلامية أو المسيحية أو أي مجتمعات أخرى، يظهر الدين عادة كإطار للقيم والمبادئ التي يستند إليها المجتمع؛ حيث يساهم في بناء الأسس الأخلاقية والاجتماعية والقانونية التي توجه سلوك الأفراد وتنظم علاقاتهم في المجتمع.

عادةً ما يتفق تشكيل المجتمع وقيمه مع الفكرة الدينية التي تحملها، ولكن يمكن أيضًا أن يكون هناك استثناءات. فالمجتمعات التي اهارت أو اختفت من التاريخ قد تكون تفتقر للتوافق بين الفكرة الدينية

<sup>1</sup>مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مرجع سابق، ص 56.

## الفصل الرابع: ————— قيم العيش المشترك في فكر مالك بن نبي -

والظروف السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية التي تعيشها، مما أدى إلى ضعف أو انهيار هذه المجتمعات.

بشكل عام، يمكن رؤية أن الفكرة الدينية تلعب دوراً هاماً في تشكيل المجتمعات وتحديد مقاديرها، ولكن قد تكون هناك عوامل أخرى أيضاً تؤثر على صمود المجتمعات أو انهيارها.

ولهذا اعتبر مالك بن نبي الفكرة الدينية هي المحلول الكيميائي التي تتفاعل فيه العوامل الثلاثة لتعطي للمجتمع عملية النهوض الحضاري.

كما أن الفكرة الدينية هي من تزيد من فعالية هذا النشاط الاجتماعي، من خلال تنظيم الغرائز والطاقات الحيوية للفرد والمجتمع، وهي التي تزيد شبكة العلاقات الاجتماعية قوة، هذه القوة التي تجعل المجتمع يؤدي وظيفته التاريخية، 'إذن فالعلاقة الروحية بين الله وبين الانسان، هي التي تلد العلاقة الاجتماعية، وهذه بدورها تربط ما بين الانسان وأخيه الانسان... تلدها في صورة القيمة الأخلاقية، فعلى هذا يمكننا أن ننظر إلى العلاقة الاجتماعية والعلاقة الدينية معها من الوجهة التاريخية على أنهما حدث، ومن الوجهة الكونية على أنهما عنوان على تطور اجتماعي واحد'<sup>1</sup>،

يُمكن فهم العلاقة بين العلاقة الروحية والعلاقات الاجتماعية كجزء لا يتجزأ من التطور الاجتماعي والثقافي، فالعلاقة الدينية عنصرًا حيويًا يؤثر على تشكيل القيم والأخلاق في المجتمع، وهذا بدوره يؤثر في تكوين وتوجيه العلاقات الاجتماعية بين الأفراد.

■ الوجهة التاريخية: في سياق التاريخ، كان للديانات دورٌ كبير في تشكيل هويات المجتمعات والأمم.

توفر القيم الدينية إطارًا أخلاقيًا يحدد السلوك الاجتماعي والعلاقات بين الأفراد.

<sup>1</sup>مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مرجع سابق، ص 56.

## الفصل الرابع: \_\_\_\_\_ قيم العيش المشترك في فكر مالك بن نبي -

- قد تكون الديانات محفزًا للاندماج والتكامل الاجتماعي وبناء الهوية الجماعية، حيث يتشارك أفراد المجتمع نفس المعتقدات والقيم، مما يؤدي إلى تعزيز التواصل والتفاعل الاجتماعي.
  - الوجهة الكونية: من الناحية الكونية، يمكن رؤية العلاقة الدينية والاجتماعية كعنصر واحد يشير إلى تطور اجتماعي مستمر، يعكس الدين والقيم الأخلاقية تطورات المجتمع واحتياجاته عبر الزمن.
  - يمكن أن تكون العلاقة الروحية الفردية بالله عاملاً دافعاً للفرد للمشاركة في العمل الاجتماعي والمساهمة في تطوير المجتمع بناءً على القيم الدينية.
- تعتبر العلاقة الروحية والعلاقات الاجتماعية عناصر مترابطة تتأثر ببعضها البعض، وتشكل محفزات للتطور الاجتماعي والثقافي في مختلف المجتمعات؛ ولهذا فمنهج التربية الإسلامية وفلسفتها تعتمد في مضمونها العلاقة التعبديّة الي هي العلاقة بين للإنسان وربه.

### 1-2- التأثيرات المتبادلة بين العوالم الثلاثة وشبكة العلاقات الاجتماعية:

تم الإشارة سابقاً أن شبكة العلاقات الاجتماعية عند مالك بن نبي هي مجموعة الروابط الاجتماعية التي تتشكل من التفاعل الاجتماعي بين العوالم الثلاثة - عالم الأشخاص، عالم الأفكار، عالم الأشياء-، ويكون تأثيرات متبادلة بين هذه العوالم ضمن شبكة العلاقات الاجتماعية.

إن هذه العوالم لا تعمل متفرقة، بل من خلال عمل مشترك ضمن شبكة من العلاقات الاجتماعية، وتأتي ضمن مجموعة الأفكار في مقدمتها الفكرة الدينيّة، هذه الأفكار يتم تطبيقها بواسطة الأشخاص من أجل تحقيق أهداف مسطرة مسبقاً، لإنتاج الأشياء التي يحتاجها المجتمع، ويحتاجها التنفيذ العملي للأفكار المنتجة " لكن هذه العوالم الثلاثة لا تعمل متفرقة، بل تتوافق في عمل مشترك تأتي صورته طبقاً لنماذج

ايدولوجية من عالم الأفكار، يتم تنفيذها بوسائل من عالم الأشياء من أجل غاية يحددها عالم الأشخاص<sup>1</sup>.

العولم الثلاثة - عالم الأشخاص وعالم الأفكار وعالم الأشياء - تتفاعل وتتلاقى مع بعضها البعض بشكل كبير، يُعتبر عالم الأفكار والأيدولوجيات الموجودة فيه عادة مصدرًا للتوجيهات نحو الأهداف ضمن المنظومة القيمية التي تتحرك الأشخاص في عالم الأشياء.

عندما تأتي الأفكار والأيدولوجيات من عالم قيم المجتمع، فإنها تشكل الأساس المنهجي للأهداف والغايات التي يسعى الأشخاص لتحقيقها في عالم الأشياء، حيث يقوم الأشخاص بتنفيذ هذه الأفكار والأيدولوجيات باستخدام وسائل وأدوات من عالم الأشياء، ومن خلال استخدام الموارد والتقنيات المتاحة في العالم العملي للأشياء.

من المهم أيضًا أن نفهم كيف تتأثر الأفكار بتفاعل الأشخاص مع العالم العملي، وكذلك كيف يؤثر العالم العملي على الأفكار والأيدولوجيات، التي هي عبارة عن مجموعة من الديناميات المتبادلة تشكل التطورات الاجتماعية والثقافية والنهوض الحضاري وتشكيل الهوية الجماعية والفردية، لأن العلاقة بين الأفكار والتفاعل مع العالم العملي هي علاقة تفاعلية تؤثر في تطورات الثقافة والمجتمع، من خلال التأثير في:

- تشكيل الشخصية: تفاعل الفرد مع الواقع الاجتماعي من خلال شبكة العلاقات الاجتماعية،

سواء من خلال الخبرات الشخصية أو التفاعل مع الآخرين، يساهم في تشكيل هويته الفردية أي

<sup>1</sup>مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مرجع سابق، ص 27.

## الفصل الرابع: \_\_\_\_\_ قيم العيش المشترك في فكر مالك بن نبي -

شخصيته، كما أن القيم والمعتقدات التي يتعلمها ويتبناها تلعب دورًا هامًا في تحديد تصوره للواقع الاجتماعي المعيش وبالتالي منهجيته في التعامل مع هذا الواقع.

تأثير الثقافة والمجتمع: الأفكار والايديولوجيات لا تعمل في فراغ، لأنها هي نتيجة تفاعل بين الثقافة والمجتمع، حيث أن تفاعل ثقافة المجتمع مع القيم والتقاليد والتحويلات الاجتماعية يشكل محركًا رئيسيًا لتشكيل وتطوير الأفكار، فالعلاقة انعكاسية؛ فثقافة المجتمع تبني أفكار الأفراد المنتمين له وتؤثر في ايديولوجيتهم، والأفكار بدورها تؤثر بطريقة انعكاسية في عملية بناء ثقافة المجتمع وبالتالي فالأفكار بانية ومبينة تتأثر بمحيطها الثقافي وتؤثر فيه.

### 1-2-1- التأثيرات بين عالم الأشخاص وشبكة العلاقات الاجتماعية:

يعتبر الانسان المكيف العنصر الأساسي في تكوين شبكة العلاقات الاجتماعية من خلال الأنشطة الاجتماعية التي يؤديها خلال حياته اليومية، فعملية التواصل اليومي بين الأشخاص من أجل إشباع حاجاتهم اليومية هي التي تؤسس لهذه الشبكة من العلاقات الاجتماعية، وهذا ما يقتضيه العيش المشترك أو العيش في جماعة أو هي من مقتضيات المواطنة التي تجعل الفرد في يدخل ضمن نسيج من العلاقات الأفقية: مع الجيران علاقات وهي غير رسمية، علاقات مع زملاء المهنة، وهي علاقات رسمية وغير رسمية، وعلاقات عمودية مع السلطة الحاكمة ومؤسسات الدولة الاجتماعية.

إن العيش المشترك الذي تقتضيه الحياة في عصر الحداثة وعصر ما بعد الحداثة، تؤسس له شبكة العلاقات الاجتماعية التي ينسجها الأشخاص من خلال عمليات التواصل الاجتماعي، فالشخص الحامل لقيم مجتمعه، والخاضع لتربية اجتماعية، يتواصل ويتفاعل مع محيطه الاجتماعي عن طريق علاقات اجتماعية، حيث يصبح يحمل عقل تواصلية بتعبير هايرماس " وهو مفهوم صاغه لمحاولة تنمية البعد

## الفصل الرابع: قيم العيش المشترك في فكر مالك بن نبي -

الموضوعي الإنساني للعقل ، وهذا العقل لديه هو فاعلية تتجاوز العقل المتمركز على الذات<sup>1</sup>، فالحياة المشتركة تتطلب عقل تواصلية منفتح على الغير، لا عقل متمركز حول ذاته، لأن التمركز لا يحقق التنمية الذاتية للفرد التي تنعكس حتما على المجتمع وحياته الاجتماعية.

وكلما زادت هذه العلاقات زاد تطور المجتمع "يرى مالك بن نبي أن تطور مجتمع ما على أي صورة هو في الحقيقة تطور مسجل كما وكيفا في شبكة علاقاته، وعندما يرتخي التوتر في خيوط الشبكة فتصبح عاجزة عن القيام بالنشاط المشترك بصورة فعالة، فذلك دليل على أن المجتمع مريض وأنه ماض إلى نهايته"<sup>2</sup>.

كما ركز مالك بن نبي على دور الشبكات الاجتماعية في تشكيل المجتمعات وتطورها، سلط أيضا الضوء على كيفية تأثير توتر أو انهيار العلاقات الاجتماعية في صحة المجتمعات.

إذا كانت العلاقات الاجتماعية في المجتمع تعتمد على شبكة متينة من التواصل والتفاعل، فإن تراجع هذه العلاقات أو ترهلها يمكن أن يكون إشارة إلى مشاكل أو تدهور في صحة المجتمع، يحدث هذا عندما تضعف الروابط الاجتماعية وتتضاءل القدرة على العمل المشترك والتعاون، مما يؤدي ذلك إلى ضعف البنية الاجتماعية للمجتمع وعجزه عن التطور أو الاستمرار بنجاح.

استنادًا إلى رؤية مالك بن نبي، يمكن اعتبار تراجع الشبكة الاجتماعية أو عدم القدرة على العمل المشترك كعلامات على وجود مشاكل عميقة قد تؤدي إلى ضعف المجتمع وفشله في النهوض الحضاري أو الاستمرار.

<sup>1</sup> أبو النور حمدي، الأخلاق والتواصل عند يورجين هابرماس ، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، 2012، ص 135 .

<sup>2</sup> عمر نقيب و آخرون، سؤال المجتمع عند مالك بن نبي، مرجع سابق، ص 119.

## الفصل الرابع: \_\_\_\_\_ قيم العيش المشترك في فكر مالك بن نبي -

يرى مالك بن نبي أن العمل على تغيير الانسان يتم بوصفه كائنا اجتماعيًا، وليس ككائن حي، أي أن التغيير الذي يمس الانسان هو تغيير في كينونته الاجتماعية من خلال المحيط الثقافي، وليس في وجوده التاريخي، فعملية التثاقف التي يتعرض لها الفرد في بيئته الاجتماعية هي من تجعله كائن اجتماعي بيني علاقات اجتماعية " فإن الإنسان لا يتغير بوصفه كائنا في حدود التاريخ، وإنما يتغير بوصفه كائنا اجتماعيًا تغيره الظروف"<sup>1</sup>، فالثقافة هي التي توجه الطاقات الفردية لبناء الفرد ضمن المصلحة العامة للمجتمع، "إن الثقافة هي المحيط الذي يصوغ كيان الفرد، كما أنها مجموع من القواعد الأخلاقية والجمالية... إلخ"<sup>2</sup>

ومتى أصاب عالم الأشخاص المرض، والذوات التضخم فسدت العلاقات الاجتماعية، فيرتخي توتر شبكات العلاقات الاجتماعية في خيوطه، ويصبح أداء المجتمع دون فعالية، والعيش المشترك صعبا، لأن تغلب عليه الأنانية " فالعلاقات الاجتماعية تكون فاسدة عندما تصاب الذوات بالتضخم فيصبح العمل الجماعي المشترك صعبا أو مستحيلا، إذ يدور النقاش حينئذ لا لإيجاد حلول للمشكلات، بل للعثور على أدلة وبراهين"<sup>3</sup>

كلام مالك بن نبي يسلط الضوء على تحديات العلاقات الاجتماعية عندما يتسبب التضخم الذاتي في تشويه النظرة نحو العمل الجماعي وحل المشكلات، عندما يصبح التركيز على البراهين والأدلة أكثر أهمية من حل المشكلات والتعاون، يمكن أن تتأثر العلاقات الاجتماعية بشكل سلبي.

<sup>1</sup> مالك بن نبي، تأملات، مرجع سابق، ص 26.

<sup>2</sup> مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مرجع سابق، ص 32.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، 43.

## الفصل الرابع: ————— قيم العيش المشترك في فكر مالك بن نبي -

هذا التضخم في الذات يمكن أن يعرقل القدرة على العمل الجماعي؛ حيث ينصب الاهتمام على إثبات النقاط الشخصية دون التركيز على إيجاد حلول للمشاكل العامة. هذا النوع من العزلة الذاتية يؤثر على التواصل والتفاهم بين الأفراد وقد يؤدي إلى عدم الاتفاق أو الانقسامات داخل المجتمعات.

لتجاوز هذا التحدي، يجب التركيز على الفهم المتبادل والتعاون في حل المشاكل بدلاً من التمسك بالآراء الشخصية. يمكن تعزيز العمل الجماعي من خلال التركيز على التفاهم والاحترام المتبادل والاستماع الفعال لآراء الآخرين، وهو ما يمكن أن يساهم في بناء علاقات اجتماعية أكثر تعاوناً وفعالية.

الاعجاب بالرأي الناتج عن تضخم الأنا يجعل العمل الجماعي صعباً أو مستحيل لأنه بدلاً من أن يكون يتمركز حول إيجاد الحلول التي يعاني المجتمع، يصبح يتمركز حول الجدل والبحث عن الأدلة والبراهين عن صحة رأي هذا وفساد رأي الآخر.

### 1-2-2- النّائير المتبادل بين عالم الأفكار وشبكة العلاقات الاجتماعية:

خرجت ألمانيا من الحرب العالمية مدمرة، ولكن بفضل عالم أفكارها استطعت أن تعيد بناء عالم أشيائها، العالم الذي دمرته الحرب، فعالم الأفكار وإن كان له أهمية في التأثير على عالم الأشخاص، على مستوى تكوين وبناء شخصية الفرد "الأنا"، فهو على مستوى المجتمع تكون أهميته أكبر، وتتجلى هذه العملية في تحويل "الأنا" إلى "نحن"، فالنشاط الاجتماعي المشترك يحركه عالم الأفكار.

يقسم مالك بن نبي الأفكار من حيث طبيعتها إلى أفكار مطبوعة وأفكار موضوعة، أفكار مطبوعة تطبع في لاشعور الفرد من خلال التربية الاجتماعية، وتصبح لا شعوريا توجه الفرد والمجتمع، حيث تعمل هذه الأفكار المطبوعة على توجيه الطاقة الحيوية نحو الفعالية الاجتماعية، ويكتيفها مع ثقافة المجتمع، وأفكار موضوعة توضع في طريق الفرد وتعمل على محو الأفكار المطبوعة، وكثيرا ما تكون هذه الأفكار

## الفصل الرابع: \_\_\_\_\_ قيم العيش المشترك في فكر مالك بن نبي -

الموضوعة مستوردة، ولا تتلاءم مع قيم المجتمع، ولهذا عندما يحدث انقطاع في صلات بين عالم الأفكار (الأفكار الموضوعية والأفكار المطبوعة)، يصيب شبكة العلاقات الاجتماعية التمزق، ويعرض المجتمع للتفتت.

هذا المفهوم لمالك بن نبي حول الأفكار المطبوعة والموضوعة يسלט الضوء على تأثير التربية والبيئة الاجتماعية والتجارب الحياتية الناتجة عن التفاعل الاجتماعي بين الفاعلين في شبكة العلاقات على الأفكار والقيم التي يتبناها الأفراد، الأفكار المطبوعة تمثل القيم والمعتقدات التي يتم غرسها في اللاوعي لدى الفرد من خلال التربية والتأثيرات الاجتماعية، حيث تصبح تشكل تمثلاته الاجتماعية؛ كما أنها تصير هي العامل الموجه لسلوكه بطريقة لا شعورية في المجتمع.

أما الأفكار الموضوعية فهي تمثل الأفكار الوافدة التي يتم وضعها أو زرعها في الوعي بوضوح إما عن طريق التعليم أو عن طريق وسائل الاعلام، وغالبًا ما تأتي هذه الأفكار من خارج الثقافة أو البيئة الأصلية للفرد، كما يمكن أن تكون غير متناغمة مع القيم والثقافة المحلية؛ وهذا ما يطلق عليه عملية الغزو الثقافي.



شكل رقم 23: تقسيم الأفكار عند مالك بن نبي من خلال صلتها بالمجتمع

إن بناء المجتمع المتحضر الذي ينشئ حضارة إنسانية، هو المجتمع الذي يكون هناك فيه تناغم بين العوالم الثلاثة، وعدم التعارض بين الأفكار الموضوعية والأفكار المطبوعة، فعالم الأفكار يؤثر في شبكة العلاقات الاجتماعية، حيث أنه يوجهها الاتجاه الصحيح نحو بناء صرح حضاري، يتماشى مع مصوغات المجتمع، إذا كان هناك تناغم وتناسق بين عالم الأفكار، ويحدث انهيار للمجتمع وأقول للحضارة إذا حدث انتكاس لعالم الأفكار.

"وعندما تتمحي النماذج المثالية، حينئذ لا تسمح أبدا لهجة الروح في تناغم اللحن، فالأفكار الموضوعية حين لا يعود لها جذور في الغلاف الثقافي الأساسي تصمت هي بدورها، إذ لم يعد لديها ما تعبّر عنه، ثم لأنها لم تعد تستطيع تعبير عن شيء، والمجتمع الذي يصل إلى هذه الدرجة يتفتت لأنه لم تعد لديه دوافع مشتركة"<sup>1</sup>.

يشير مالك بن نبي عن أهمية الروح والجذور الثقافية في الحفاظ على التناغم والتواصل السليم داخل المجتمعات، عندما تفقد النماذج المثالية قيمتها أو تتلاشى، وعندما تكون الأفكار الموضوعية بعيدة عن الجذور الثقافية الأساسية، فإن هذا يؤدي إلى فقدان التناغم والروح في التعبير والتفاعل داخل المجتمع، حيث لا يمكن التعايش بين الأفكار أو لا يمكن التركيب بين الأفكار الموضوعية والمطبوعة

عندما تفقد الأفكار الموضوعية ارتباطها بثقافة المجتمع، تصبح فارغة من المعنى والمضمون، وتفقد القدرة على التعبير الحقيقي عن معالم المجتمع، هذا فقدان يمكن أن يؤدي إلى تفتت وتمزق شبكة العلاقات الاجتماعية، حيث يصبح يفتقر إلى دوافع مشتركة وروح موحدة يتفاعل الأفراد ضمنها .

<sup>1</sup>مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص 74.

## الفصل الرابع: \_\_\_\_\_ قيم العيش المشترك في فكر مالك بن نبي -

للحفاظ على التواصل والتناغم داخل المجتمع الذي يعزز قوة شبكات العلاقات الاجتماعية، يجب الحفاظ على الروابط مع القيم والجذور الثقافية الأصلية، يمكن ذلك من خلال عدم تغليب الأفكار المطبوعة على الأفكار الموضوعية وتعزيز الفهم للتراث الثقافي وتقدير القيم التي تعزز التفاهم والتعايش بين أفراد المجتمع، الاحتفاظ بالروح الثقافية الأصيلة يساهم في بناء روابط قوية وفهم مشترك يمكن أن يعزز الوحدة والتناغم داخل المجتمع، ويعزز العيش المشترك.

كما يقسم مالك بن نبي الأفكار من حيث حيويّتها إلى أفكار حيّة، أفكار ميّنة وأفكار مميتة، الأفكار الحيّة هي الأفكار التي مازالت تغذي شبكة العلاقات الاجتماعية بالحياة، ومازالت لها القدرة على توجيه عالم الأشخاص وتوظيف عالم الأشياء.

الأفكار المميّنة وهي التي انخرقت على مثلها الأعلى، ولذا ليس لها جذور في العصارة الثقافية الأصلية<sup>1</sup>، انحراف الأفكار عن أصولها وجذورها تصبح مميتة، وتفقد فعاليتها، ولهذا مالك بن نبي قال الأفكار بفعاليتها، وتناجها الميدانية، قد يمكن أن يقول أن هذا الكلام هو دليل على أن مالك بن نبي هو براجماتي في تفكيره، وفي هذا الصدد يقول لحسن بدران أن مالك بن براجماتي ولكن يختلف عن برجمانية ولياس جيمس لأنها برجمانية متخلقة\*، تملك توجيه أخلاقي يجعلها ذات فعالية .

الأفكار المميّنة وهي التي فقدت هويتها وقيمتها الثقافيتين بعدما فقدت جذورها التي بقيت في مكانها في عالمها الثقافي الأصلي<sup>2</sup>، عندما تفقد الفكرة هويتها وقيمتها الثقافية تصبح دون معنى، وابتعادها عن جذورها يجعلها فكرة مميتة، تمت الثقافة وتميت القيم، وبالتالي تفقد فعاليتها التوجيهية نحو الوجهة

<sup>1</sup> مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص 153.

\* مقابلة مع الأستاذ بدران عبر تقنية غوغل ميبت يوم 5 جوان 2023

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 153.

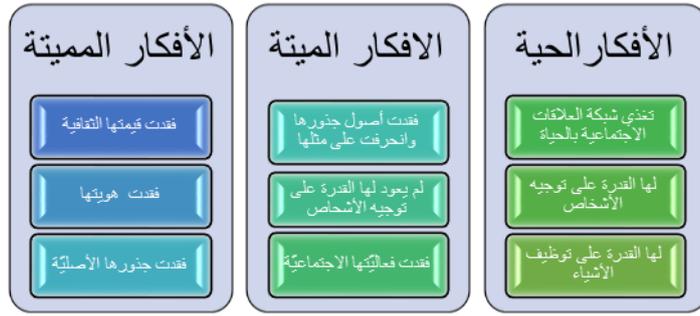
## الفصل الرابع: \_\_\_\_\_ قِيم العيش المشترك في فكر مالك بن نبي -

الصحيحة، وعندما يتكلم مالك بن نبي عن الأفكار المميّنة المستوردة فهو يقصد الأفكار التي تفقد قدرتها في موطنها، وسماها بالنفايات ولهذا يوضح ذلك في قوله: "وينتج الالتباس في هذه النقطة من موقفنا من الثقافة بوجه عام، ومن ثم من موقفنا من ثقافة أوروبا بشكل خاص، ومن الواضح أنّه إذا كانت الأفكار التي تستورد من الخارج هي أيضا مميّنة في وسطها الأصلي، فإنّها ستلعب في مجتمعا الدور الأصلي، فإنّها ستلعب في مجتمعا الدور نفسه وتعطي النتائج نفسها على الصعيد الاجتماعي أي مجرد فساد، إذ يجب الإقرار بأن هناك في الوقت نفسه أشياء أخرى في الحضارة، هي أجزاءها السليمة والقويّة التي تمنحها القوة على الرغم من كل شيء"<sup>1</sup>.

تظهر هذه النقطة الاهتمام بتأثير الثقافة والأفكار المستوردة على المجتمعات المستقبلية، عندما تكون الأفكار المستوردة مضرّة في ثقافتها الأصلية، يمكن أن تنتقل هذه الآثار السلبية إلى المجتمعات الأخرى وتؤثر عليها بطريقة مشابهاة.

مالك بن نبي يشير إلى نقطة مهمة في قضية العلاقة بين الثقافات وخاصة العلاقة مع الثقافة الأوروبية التي تكون مضرّة لمجتمعها الأصلي، فإذا كانت هذه الثقافة في موطن بنائها مضرّة ومميّنة فكيف يمكن يتم جلبها الى موطن آخر، فإنّها ستعطي نفس النتائج وهو الفساد الاجتماعي، وهذا لا يعني عند مالك بن نبي أن الحضارة الغربيّة كلها سلبية فيوجد ما هو ايجابي وهو الذي أعطى القوة لها، ويمكن أن يُستفاد منه.

<sup>1</sup>مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص 150.



شكل رقم 24 : الفرق بين الأفكار من حيث حيويتها

1-2-3- التأثير المتبادل بين عالم الأشياء وشبكة العلاقات الاجتماعية:

في تعريفه للحضارة مالك بن نبي التي سبق الإشارة اليه، عرفها بأنها: توفير الشروط الضرورية التي تسهل حياة الأفراد، وتوفير الأشياء هي من بين الشروط التي تسهل الحياة، لأنها تشبع حاجتهم (الغذاء، التناسل والتملك)، فالعلاقة بين عالم الأشخاص وعالم الأشياء علاقة عضوية، وعالم الأفكار يعمل على توجيه العالمين، لأن العبرة ليس في الكم أو كما وصفها بن نبي ليس في تكديس الأشياء، بل العبرة في الكيف؛ لأن "من ناحية الكيف: تنتج الاستحالة من أي حضارة لا يُمكن أن تباع جملة واحدة الأشياء التي تنتجها ومشتملات هذه الأشياء، أي أنها لا يمكن أن تباعنا روحها وأفكارها وثروتها الذاتية وأذواقها، هذا الحشد من الأفكار والمعاني التي لا تلمسها الأنامل، والتي توجد في الكتب أو في المؤسسات، ولكن بدونها تصبح كل الأشياء التي تباعنا إياها فارغة دون روح ودون هدف"<sup>1</sup>

فعدم تنظيم غريزة التملك لدى عالم الأشخاص، يخلق تكديس من جهة التوفير، وهمجية من جهة طريقة التوفير، وهنا يتحول توفير الشيء من هدف اشباع حاجيات المجتمع، إلى جعله غاية وهدف في حد ذاته، مما يخلق التوتر في شبكة العلاقات الاجتماعية، ولهذا فالفكرة تعمل على تهذيب وأخلقه الحياة، مما

<sup>1</sup>مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 47.

## الفصل الرابع: ————— قيم العيش المشترك في فكر مالك بن نبي -

يجعل ضبط غرائز الفرد ضرورية لجعله يتكيف مع الواقع الاجتماعي، ويتحول التعامل مع الشيء على أساس تلبية الحاجة لمصلحة العامة.

عندما تصبح الأشياء هدف في ذاتها وليس وسيلة لتحقيق المجتمع، يعود التعامل معها على أساس الكم أي التكديس، وربما يؤدي هذا أيضا الى الندرة التي تخلق الجشع والطمع والاحتكار وسيطرة الذهنية الاستهلاكية على الأفراد، وينتج عنه أيضا اضمحلال "ال:نحن" لفائدة الأنا وهذا يجعل التضامن يتحول الى صراع وتتراخي الروابط، وتتمزق الشبكة الاجتماعية ويصيب المجتمع الوهن.

"إنّ علينا أن نكون حضارة أي أن نبني لا أن نكس فالبنا وحده هو الذي يأتي بالحضارة لا التكديس ولنا في الأمم المعاصرة أسوة حسنة فالحضارة هي التي تكون منتجاتها وليست المنتجات هي التي تكون حضارة إذا من البديهي أن الأسباب هي التي تكون النتائج وليس العكس، فالغلط منطقي ثم هو تاريخي لأننا لو حاولنا هذه المحاولة فإننا سنبقى ألف سنة ونحن نكس ثم لا نخرج بشيء<sup>1</sup>"

يمكن أن نفرق بين التكديس والبناء بعدة نقاط:

- الاستمرارية: عملية البناء مدروسة ومخطط لها وتكون مستمرة وتأثيرها متواصل، أما التكديس فهو عملية قد تتوقف لأنها خاضعة لظروف وجهد الشخص وتكون ارتجالية؛ ولهذا البناء أهم ومقدم على التكديس العشوائي.

- السهولة: البناء أصعب من التكديس، فمثلا عندما يمارس عامل البناء التكديس لا يمارس جهدا كبيرا، يقوم بجمع مواد البناء من حجارة وأسمنت وغيرها بالتعاون مع المورد، أما البناء فيتطلب منه جهدا كبيرا وتركيز ومسؤولية.

<sup>1</sup>مالك بن نبي، تأملات، مرجع سابق، ص 167.

## الفصل الرابع: ————— قيم العيش المشترك في فكر مالك بن نبي -

البناء الفكري هو: تحصيل و تراكم المعرفة، والتي يتبع فيها الإنسان منهجا علميا بنائا عن قصد ويهدف إنماء قدرات عقله و معارفه . أما التكديس الفكري أو ما يمكن تسميته بالعقل التكديسي: فهو النموذج المعرفي الذي كونه تراكم المعرفة في مجتمع ما و أصبح القاعدة المعرفية التي ينطلق منها الإنسان بغير منهجية علمية مقصودة و لا غاية يحددها، فقد أصبح الكم يغلب الكيف والتفاخر بالرقم على حساب النوع فأصبحت آلاف الشهادات تسلّم سنويا مع غياب النوعيّة الفعالة في المجتمع

العقل التكديسي بشكل عام يعاني من السطحية و انخفاض الفهم للذات و للواقع، يعاني من الجمود والنفور من التجديد و شديد التمسك بما يعرف، و ذلك أن الاكتفاء بالموروث يعمل على إكسال العقل، فيبتعد عن التحليل الدقيق و التفلسف العميق عكس البناء الذي يتميز بفهم كبير جدا للذات و للواقع و منفتح على أغلب المعرفة حيث أن من أدواته تعدد و تنوع مصادر تحصيل المعرفة و يحتوي بذات الوقت على الأدوات اللازمة لإصلاح منهجيات التفكير و نقدها مما يجعله أقل تمسكا بما يعرف و في حالة ارتقاء معرفي متواصل ويجعل الإنسان في مراجعة دائمة لمنهجيته و على وعي و معايشة أكبر للواقع.

في البناء، العقل يكون تحصيلي يعمل على التفكيك و التركيب ليحاول الوصول دائما إلى فهم أعمق وأشمل و أتقن، و أما في التكديس فالعقل تحصيلي تجميعي يجمع كل ما يمكنه الحصول عليه دون هدف ودون وعي منه في بعض الأحيان؛ قيكفيك الحديث عن ندرة شيء من السوق حتى تجد طواير من آلاف الأشخاص يسارعون لشراؤه لتكديسه .

### 2- أهمية شبكة العلاقات الاجتماعية في تحقيق العيش المشترك

شبكة العلاقات الاجتماعية لها أهمية كبيرة في تحقيق العيش المشترك بشكل صحيح ومستدام؛ لأنها تشكل الأساس الذي يركز عليه بناء المواطنة والعيش معاً، ويمكن ملاحظة هذه الأهمية في ما يلي:

#### 2-1- التواصل والتفاعل:

إن دخول الأفراد في شبكة العلاقات الاجتماعية يمكنهم من التواصل مع بعضهم البعض، مما يعزز الفهم المتبادل ويساعد في تقبل وجهات النظر المختلفة، وهذا ما يمكنهم من تجنب الصراعات وحل الخلافات بشكل سلمي.

عندما يكون لدى أفراد المجتمع تواصل فعال مع الآخرين، يصبح من الأسهل تجنب الصراعات وحل الخلافات بشكل سلمي، حيث يتيح لهم ذلك مجموعة من الفرص للتعبير عن وجهات نظرهم وفهم وجهات نظر الآخرين، مما يقلل من حدة الاختلافات ويُسهم في العيش المشترك بسلام.

تعزيز الفهم المتبادل والتقبل للآراء المختلفة الناتج عن التواصل الفعال يقود إلى بيئة أكثر تضامناً وفهماً؛ وهذا ما يقلل من احتمالية نشوب الصراعات، كما يساعد في حل النزاعات التي تنشأ جراء الاختلافات بشكل يحافظ على السلم والتفاهم بين الأفراد والمجتمعات الذي يساهم في تحقيق عملية النهوض الحضاري

المجتمع يتميز بالتنوع الثقافي و كذلك الاختلاف العقائدي والايديولوجي، فمن خلال شبكة العلاقات الاجتماعية التي ينسجها الأفراد في تفاعلاتهم اليومية مع مختلف أطراف ، يتعلمون كيفية التعامل مع هذا التنوع الثقافي وحتى العقائدي مما يساعد على التعايش واحترام الآخرين بغض النظر عن اختلافاتهم الثقافية أو الاجتماعية والدينية، ومما يسهم أيضاً في بناء مجتمع متنوع ومتسامح، تكلم مالك بن

## الفصل الرابع: قيم العيش المشترك في فكر مالك بن نبي -

نبي عن هذا التنوع الثقافي وضرورة التعايش معه في كتابه مشكلة الثقافة والتي سماها عملية التركيب الثقافي " أن كلمة تركيب قد استخدمت في معناها الواسع الذي يعني التعايش"<sup>1</sup>.

هذا التعلم يعزز فهمنا للثقافات والعقائد المختلفة، وممكننا من تطوير مهارات التواصل الفعال والاستماع الجيد، مما يعزز الشعور بالتسامح والتعايش السلمي، عندما نعيش ونعمل مع أشخاص من خلفيات متنوعة، نكتسب منهم قيماً وآفاقاً جديدة، مما يثري تجربتنا ويسهم في بناء مجتمع يحترم التنوع ويتسامح معه، وتتطور فيه شبكة علاقاته الاجتماعية من حيث الكم والكيف وهو ما يجعلها أكثر تماسكاً والمجتمعات التي استطعت العمل على تركيب الثقافات الموجودة عندها، تكون أكثر استقراراً وازدهاراً، حيث يتفق أفرادها على العيش المشترك بسلام واحترام، مما يسهم في خلق بيئة تشجع على الابتكار والتعاون بين الأفراد المختلفين.

2-2 الدعم الاجتماعي:

إن شبكة من العلاقات الاجتماعية التي ينسجها الأفراد خلال التفاعلات الاجتماعية اليومية، هي مصدرًا للدعم العاطفي والنفسي لهم، فعندها يتشكل لهم الشعور بالانتماء والدعم من الجماعات الاجتماعية المحيطة بهم، يزيد ذلك من احساسهم بالأمان ويساهم في بناء الثقة التي تكون دافعاً لهم في تحقيق أهدافهم والمساهمة في النهوض الحضاري.

تلعب العلاقات الاجتماعية دوراً حيوياً في توفير الدعم العاطفي والنفسي للأفراد؛ فقوة شبكة العلاقات الاجتماعية، تجعلهم يشعرون بالانتماء والدعم، مما يؤثر إيجابياً على فعاليتهم ونشاطهم، " الفرد يكتسب مجموعة انعكاساته، كما يكتسب المجتمع شبكة علاقاته، والعلاقة وثيقة بين جانبي المسألة:

<sup>1</sup>مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مرجع سابق، ص 100.

فهي علاقة كونية تاريخية، إذ إن المجتمع يخلق الانعكاس الفردي، والانعكاس الفردي يقود تطوره<sup>1</sup> فالعلاقة تبادلية انعكاسية بين الفرد والمجتمع، وشبكة العلاقات الاجتماعية تشكل قناة هذه التبادلات والانعكاسات ويمكن أن نختصرها في النقاط التالية:

الأمان النفسي : شعور الأفراد بالانتماء إلى مجموعة اجتماعية يوفر لهم الأمان النفسي، حيث يعلمون أن هناك أشخاصًا يقفون بجانبهم في الأوقات الصعبة، وهذا ما يساهم في تحفيزهم وتشجيعهم على تحقيق أهدافهم. عندما يشعرون بدعم الآخرين لهم، يزيد ذلك من إيجابيتهم ورغبتهم في النمو الشخصي؛ الذي ينعكس على عملية النهوض الحضاري وتطور المجتمع، لأن الانجازات الاجتماعية التي يحققها المجتمع في عملية النمو هي بحاجة لأفراد يشعرون بالأمان النفسي، ولهذا يرى مالك بن نبي أن العلاقات الاجتماعية الأولى في المدينة كانت شبكتها محكومة بالروح القرآنية مما جعل الرعيل الأول لهذا المجتمع يحس بالأمان النفسي الذي حفز القوة الروحية للمجتمع لهذا يقول: "فقد نستطيع - ما دمنا لم نصل بهذه الطريقة إلى تفسير واضح لمنشأ الحركة التي ولدت المجتمع الاسلامي وغايته التاريخية- أن نفسر هذه الحركة بالعوامل النفسية التي حفزت القوة الروحية في هذا المجتمع، أعني شروط حركته عبر القرون"<sup>2</sup>، العوامل النفسية التي يكسبها الأفراد من خلال شبكة العلاقات الاجتماعية بالإضافة الى الأمان النفسي هي:

التقليل من الضغوط النفسية: الدعم العاطفي والأمان النفسي الذي يجده الفرد في تفاعلاته اليومية ضمن شبكة علاقاته الاجتماعية، يمكن أن يلعب دورًا في التغلب على الضغوط النفسية والتعب النفسي

<sup>1</sup> مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مرجع سابق، ص 66.

<sup>2</sup> بالمرجع نفسه، ص 24.

## الفصل الرابع: \_\_\_\_\_ قِيم العيش المشترك في فكر مالك بن نبي -

جراء بعد المشاكل التي تواجهه، حيث يعتبر الشعور بالتضامن مع الآخرين والدعم منهم عاملاً مهماً في التكيف مع التحديات الحياتية.

الثقة بالنفس: عندما يكون هناك دعم عاطفي من أفراد شبكة العلاقات الاجتماعية، يكتسب الفرد الثقة بالنفس التي تعطيه دافعا للفعالية الاجتماعية، مما يساهم في تحقيق أهدافه الشخصية والمهنية من جهة والنهوض الحضاري للمجتمع من جهة أخرى.

بشكل عام، تكون العلاقات الاجتماعية مصدراً حيوياً لتعزيز الصحة النفسية للأفراد، مما يساهم في جعلهم أقوى نفسياً وأكثر قدرة على التعامل مع تحديات الحياة، وتطوير مهارات التعاون والعمل الجماعي، وهو ما يعزز الإبداع والابتكار في المجتمع من خلال:

-تبادل الأفكار والآراء: تشكل شبكة العلاقات الاجتماعية فضاءات اجتماعية مفتوحة يتفاعل الأفراد مع بعضهم البعض من خلالها، مما يمكنهم من تبادل أفكارهم وآرائهم بشكل مفتوح، مما يثري النقاش ويكسب أفكارهم النضج الكافي الذي يفتح الباب أمام مبادرات جديدة تساهم في النهوض الحضاري.

التحفيز المتبادل: الدعم الاجتماعي والنفسي من الآخرين يحفز الأفراد على العمل بفعالية، هذا ما يساعدهم لتحقيق الأهداف المشتركة، مما يعزز التعاون والإبداع.

تعزيز الروح الجماعية: الانتماء لشبكة العلاقات الاجتماعية ينمي لدى الأفراد الروح الفريقية والقدرة على العمل ضمن فريق، مما يعزز التواصل الفعال والتنسيق بين الأفراد.

عندما يكون هناك تفاعل فعال بين الأفراد، يصبح بإمكانهم تحقيق نتائج أفضل وتطوير أفكار جديدة ومبتكرة، مما يعزز الإبداع والتقدم في المجتمعات.

2-3 المسؤولية المجتمعية\*

تعزز العلاقات الاجتماعية الشعور بالمسؤولية تجاه المجتمع، مما يحفز على المشاركة في الأعمال الخيرية والأنشطة التطوعية لصالح الجماعة.

تتيح العلاقات الاجتماعية بناء جسور التواصل والتفاهم بين الأفراد والثقافات المختلفة، مما يسهم في تحقيق العيش المشترك والسلمي في المجتمعات.

---

\* سيتم الحديث على المسؤولية الاجتماعية في الفصل اللاحق بأكثر تفصيل

### الخلاصة:

في هذا الفصل تم التطرق الى قيمة العيش المشترك باعتباره سلوكا قيما، وفعل اجتماعيا حضاريا وراقيا لتحقيق المواطنة أو التحضر، فالتعايش منظومة قيمية جماعية فطرية يقوي الروابط الاجتماعية.

ومالك بن نبي يركز على مبدأ العيش المشترك من خلال تربية الفرد كيفية الانخراط في شبكات العلاقات الاجتماعية التي بدورها قوتها هي من قوة المجتمع، لأنها تعطي للفرد الدعم النفسي والاجتماعي الذي يمكنه من التواصل مع الآخر بالرغم أنه قد يكون هناك تباين في ثقافتهم واختلاف في الأفكار.

التباين الثقافي والاختلاف في الرؤى والأفكار يراه مالك بن نبي قوة في المجتمع اذا تربي أفراده على كيفية العيش مع الآخر من خلال بناء شبكة من العلاقات الاجتماعية متينة.

# الفصل الخامس

قيمة

المسؤولية الاجتماعية

في فكر مالك بن نبي

### تمهيد:

الحديث عن المسؤولية قد يتجاوز الحقل السوسيولوجي بكثير الى الحقول المعرفية الأخرى نظرا لأهميته في الحياة الاجتماعية، فهي محل اهتمام الخاصة من المفكرين والعلماء؛ وكل يستخدم مصطلح المسؤولية وفق تخصصه وحقله المعرفي، لذا من الصعوبة حصر المفهوم وتقييده.

المسؤولية الاجتماعية تعمل على تنظيم العلاقات الاجتماعية والانسانية، لأنها تمارس عملية الضبط للسلوك والأفراد والمنظم للحياة الاجتماعية، ولهذا فإن المصلح تطور مع تطور الحياة الاجتماعية.

اعطى مالك بن نبي للمسؤولية الاجتماعية أهمية كبرى باعتبارها هي من تصنع الفارق بين المجتمعات، وذلك من خلال الحديث عن الواجب الحق حيث كان يرى أن الحق هو ثمرة أداء الواجب وهي تعبر عن انتماء الفرد وولائه لمجتمعه.

### أولاً: المسؤولية الاجتماعية:

المسؤولية الاجتماعية تعني الالتزام الذي يتحمله الفرد أو المؤسسة تجاه المجتمع والبيئة من حولها، تشمل هذه المسؤولية العديد من الجوانب مثل الاهتمام بالمجتمع، وحماية البيئة، والتفاعل الإيجابي مع باقي فواعل المجتمع، يتعين على الأفراد النظر إلى الآثار الاجتماعية والبيئية لقراراتهم وأفعالهم والعمل نحو خلق تأثير إيجابي وفعال ومستدام على المجتمع والبيئة، ومع هذا فقد اختلفت التفسيرات النظرية للمسؤولية الاجتماعية.

#### 1-التفسير النظري للمسؤولية الاجتماعية

هناك عدة اتجاهات نظرية فسرت المسؤولية الاجتماعية كلاً حسب مجاله المعرفي وسيتم التطرق لبعض منها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر.

#### 1-1-أصحاب العقد الاجتماعي:

أصحاب العقد الاجتماعي يُعتبرون أن المسؤولية الاجتماعية تمثل الواجبات والالتزامات الجماعية التي يجب على الأفراد والشركات والمنظمات الالتزام بها تجاه المجتمع والبيئة، وفقاً لهذه النظرية يشمل العقد الاجتماعي مجموعة من الواجبات والحقوق التي تنظم العلاقات بين الأفراد والأفراد وبين الأفراد والمجتمع.

## في فكر مالك بن نبي

من وجهة نظر أصحاب العقد الاجتماعي، المسؤولية الاجتماعية تمثل توازناً بين الاستفادة من الموارد والفرص المتاحة في المجتمع والحفاظ على هذه الموارد للأجيال القادمة، يجب على الأفراد والمؤسسات أن تأخذ في الاعتبار تأثير قراراتها وأفعالها على البيئة والمجتمع المحيط بها.

بالإضافة إلى ذلك، يرى أصحاب العقد الاجتماعي أن المسؤولية الاجتماعية ليست مجرد الامتثال للقوانين واللوائح، بل يجب أن تتجاوز ذلك إلى التفاعل الإيجابي مع المجتمع وتحقيق الفائدة العامة. يمكن أن تكون المسؤولية الاجتماعية وسيلة لتعزيز العلاقة بين الشركات والمجتمع وبناء الثقة والتفاهم المتبادل.

في النهاية، رؤية أصحاب العقد الاجتماعي تشجع على اعتبار المسؤولية الاجتماعية كجزء لا يتجزأ من النجاح الاقتصادي، والنظر إليها كفرصة لتحقيق التنمية المستدامة وتحسين العلاقات بين الأفراد والمجتمعات والمؤسسات.

في سياق العقد الاجتماعي والمسؤولية الاجتماعية، هناك عدة علماء وفلاسفة قدموا إسهامات كبيرة في فهم هذا المفهوم. إليك بعض العلماء البارزين:

1-1-1 جان جاك روسو:

عاش في القرن الثامن عشر وقدم فكرة العقد الاجتماعي في كتابه "العقد الاجتماعي (The Social Contract)"، حيث ركز فيه على فكرة التعاقد الاجتماعي كآلية لتشكيل الحكومة وتحديد العلاقة بينها وبين الفرد من جهة، وبين الفرد والمجتمع.

## في فكر مالك بن نبي —————

يرى روسو أن المسؤولية الاجتماعية يتحملها المجتمع بكامله؛ ولكن هذه المسؤولية تتقاسم بينهم بطريقة تعاقدية يتنازل جزء من المجتمع -الذي أطلق عليه اسم الشعب- على بعض من حقوقهم لآخرين -أطلق عليهم اسم السلطة-

1-1-2- جون رولز:

في كتابه "نظرية العدالة (A Theory of Justice)"، قدم رولز فكرة العقد الاجتماعي كوسيلة لتحقيق العدالة الاجتماعية، يعتبر أن الأفراد يرمون عقداً اجتماعياً لتحديد التوزيع العادل للفوائد والعبء في المجتمع، حيث يرى في كتابه نظرية العدالة أنه يجب علينا الآن التفكير في الأسباب التي تدفع إلى اختيار هذه المبادئ في الوضع الأصلي، لأنها جزء أساسي من مفهوم الحق فهي تحدد روابطنا الاجتماعية التي تجعلنا نصبح ملزمين بعضنا ببعض.

إن فكرة العدالة كالعادلة هي غير مكتملة حتى يتم حساب مبادئها، من وجهة نظر نظرية العدالة، الواجب الطبيعي الأهم هو دعم وتعزيز المؤسسات العادلة، هذا الواجب يحتوي على جزأين أولاً، علينا الامتثال والقيام بنصيبنا في المؤسسات العادلة عندما تكون موجودة وتنطبق علينا.

وثانياً، علينا المساعدة في إنشاء ترتيبات عادلة عندما لا تكون موجودة، على الأقل عندما يمكن القيام بذلك بتكلفة قليلة بالنسبة لنا. ويتبع من ذلك أنه إذا كانت البنية الأساسية للمجتمع عادلة، أو على الأقل عدالة بقدر ما هو معقول في الظروف الحالية، فإن لدى الجميع واجباً طبيعياً للقيام بما يُطلب منه، فكل شخص ملزم بغض النظر عن أفعاله الطوعية، سواء كانت من خلال أفعال تنفيذية أو غير ذلك.

## في فكر مالك بن نبي

السؤال الآن هو لماذا سيتم اختيار هذه المبدأ بدلاً من مبادئ أخرى؟ مثلما هو الحال في حالة المؤسسات، لا يوجد وسيلة، لنفترض، للأطراف لفحص جميع المبادئ الممكنة التي يمكن اقتراحها، فالعديد من الاحتمالات ليست محددة بوضوح وقد لا يكون هناك خيار أفضل بينها. لتجنب هذه الصعوبات، أفترض كما في السابق، أن الاختيار يجب أن يتم من قائمة قصيرة من المبادئ التقليدية والمألوفة، لتسهيل الأمور<sup>1</sup>.

### 1-2 المسؤولية الاجتماعية عند جاكلين روز

جاكلين روز، الفيلسوفة الأمريكية، اشتهرت بعملها في مجال الأخلاق والأخلاقيات الواجبة، واهتمت روز بفكرة المسؤولية الأخلاقية والأخلاق المتعلقة بالقضايا الاجتماعية والسياسية.

تركزت رؤية جاكلين روز على مفهوم المسؤولية الأخلاقية للفرد في المجتمع، حيث عملت على فهم كيف يمكن للأفراد أن يكونوا مسؤولين عن أفعالهم وقراراتهم وعواقبها على المجتمع بشكل عام من خلال اخلاقهم التي تلزمهم بهذا لأنها "تفكير حيّ متطور لأنه دائم الاتصال بنشاطي النظر والعمل، القول والفعل، وكلا النظر والعمل يجري في زمان هو حياة الفرد بوصفه عقلاً مبدعاً، وحياة الناس بوصفهم أعضاء في مجتمع ذي حياة وتطور، أي تاريخ"<sup>2</sup>

تنادي روز بأهمية اتخاذ القرارات الأخلاقية الواعية والمدرسة التي تأخذ في الاعتبار النتائج والتأثيرات على المجتمع بشكل عام. ترى أن الأفراد لهم دور ومسؤولية في تشكيل القيم والمعايير الأخلاقية في المجتمع وضمان العدالة والمساواة.

<sup>1</sup> John Rawls, A theory of justice, Rev. ed (Cambridge, Mass: Belknap Press of Harvard University Press, 1999), 294.

<sup>2</sup> روز، جاكلين، الفكر الأخلاقي المعاصر، تر: العوا، عادل، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، 2001، ص 5.

## في فكر مالك بن نبي

بشكل عام، فإن فلسفة روز حول الأخلاق والمسؤولية تدعو إلى تبني قرارات وأفعال تعكس الوعي الأخلاقي والتفكير النقدي بما يتعلق بالآثار الاجتماعية والأخلاقية لهذه القرارات والأفعال.

### 1-3 المسؤولية الاجتماعية عند أصحاب نظرية الواجب

الواجب هو قيمة في الفلسفة الأخلاقية يشير إلى الفعل الذي يُعتبر الالتزام به مطلباً اجتماعياً بصورة أخلاقية أو قانونية؛ في الفلسفة القديمة استخدمت المدرسة الرواقية مصطلح "kathkonta" للإشارة إلى المفهوم المشابه للواجب، الذي كان يشير إلى ما هو مفروض أو مطلوب حسب القانون الطبيعي، أي القوانين التي تفترضها الطبيعة نفسها وتنظم سلوك الإنسان بصورة أخلاقية، بالرغم من الكثير من يشير إلى الأخلاق بأنها القوانين التي تفترضها الطبيعة إلا أن هناك من يرى بأن الأخلاق هي قوانين اجتماعية فرضتها طبيعة الاجتماع الإنساني "الالتزام الأخلاقي ليس أخلاقياً بطبيعته وإنما اجتماعي... ومما لاشك فيه أن الأخلاق الاجتماعية تتمتع بدافع تضامني شديد القوة، وأنها تثير شعوراً بالولاء بلا منازع لقانون الجماعة"<sup>1</sup>

الفلاسفة الحديثون والمعاصرون أثروا على مفهوم الواجب بطرق متعددة، مع التركيز على مفهوم الأخلاق والواجبات الاجتماعية والقانونية، حيث طورت الفلسفة الأخلاقية مفاهيم أعمق للواجبات الأخلاقية ودرست الموضوعات المتعلقة بالمسؤولية الأخلاقية والأخلاقيات المهنية والسياسية.

" الأخلاق العملية تبني وتدرس الواجبات المختلفة: واجب الإنسان نحو نفسه، نحو العائلة، نحو الوطن والدولة، نحو الإنسانية، نحو الحيوان، نحو الله تعالى، وبعبارة أخرى: تعرض لمباحث

<sup>1</sup> مونيكا كاستيلو، "الالتزام الأخلاقي: مباحثة برغسون مع كانط"، الإستغراب، عدد 9 (2017): 248-68.

## في فكر مالك بن نبي

الأخلاق النظرية بالتطبيق على ظروف الحياة العملية المختلفة لتقول فيها كلمتها، بيان ما يتفق مع معاني الخير والشر والحق والواجب، والمقاييس الأخلاقية تقول رأيها الفصل — كما تقدم — في الواجبات الشخصية والاجتماعية والإلهية وفي المشاكل الاجتماعية كحقوق النساء والعمال والاشتراكية والشيوعية، ونحو ذلك من المسائل التي تعرض للبحث في حياتنا الخاصة والاجتماعية<sup>1</sup>. الأخلاق العملية تستكشف وتدرس الواجبات المختلفة التي يتحملها الإنسان في حياته اليومية، وتشمل هذه الواجبات مجموعة واسعة من الأبعاد الأخلاقية. فعندما نتحدث عن واجبات الإنسان، فهي ترتبط بمفاهيم متعددة تشمل:

-الواجب نحو النفس: الواجب الأول على الانسان يتعلق بالعناية بالذات من خلال تحقيق النمو الشخصي والروحي.

- الواجب نحو العائلة: يتضمن المسؤولية نحو أفراد الأسرة وتقديم الرعاية والدعم اللازمين لهم.

-الواجب نحو الوطن والدولة: يتضمن الالتزام بالقوانين والمشاركة في تحسين المجتمع والمشاركة الفعالة في الحياة السياسية.

-الواجب نحو الإنسانية: يشمل العمل الخيري والمساهمة في تحقيق العدالة الاجتماعية ومساعدة الآخرين.

-الواجب نحو الحيوان: يتضمن التعامل الحسن مع الحيوانات والمحافظة على البيئة.

<sup>1</sup> محمد يوسف موسى، مباحث في فلسفة الأخلاق، مؤسسة هنداوي، المملكة، 2017، ص 14.

## في فكر مالك بن نبي

-الواجب نحو الله تعالى: يتعلق بالالتزام بالقيم الدينية وتطبيقها في الحياة اليومية.

الأخلاق العملية تناقش هذه الواجبات في سياقات الحياة اليومية العملية وتحاول تطبيق المفاهيم الأخلاقية النظرية على المواقف الحياتية، وتسعى لتحديد معايير الخير والشر والحق والواجب في هذه السياقات المختلفة، بالنظر إلى المشاكل الاجتماعية وقضايا حقوق الإنسان والمسائل الأخرى التي تؤثر على الحياة الشخصية والاجتماعية.

من خلال هذه التحليلات، يُطلعنا الفهم الأخلاقي على كيفية التصرف بناءً على القيم والمعايير الأخلاقية في مختلف جوانب الحياة، مما يمكننا من اتخاذ قرارات أفضل وتحقيق توازن بين الواجبات الشخصية والاجتماعية والدينية.

الفهم الحديث للواجب يتضمن النظر إلى الأخلاقيات الفردية والجماعية، وكيفية تحديد الواجبات والمسؤوليات في سياقات مختلفة، بما في ذلك الأخلاق الشخصية والمهنية والاجتماعية والسياسية.

تعتبر قيمتا الواجب والحق من القيم التي اهتم بها المهتمين بمجال المواطنة، سواء كواجبات أو حقوق سياسية واجتماعية أو حتى اقتصادية، ومالك بن نبي لم يغفل هذا الجانب وأعطاه جزءا كبيرا في انتاجه الفكري، وهو يرى بأن الواجبات والحقوق لا يمكن أن يفصلهما عن بعضهما البعض، باعتبار أن الواقع الاجتماعي لم يفصلهما .

الحق والواجب لا يمكن فصلهما تمامًا في الواقع الاجتماعي والفلسفة الأخلاقية. هناك ترابط وثيق بينهما يشكل أساسًا للفهم الأخلاقي والتطور الاجتماعي .

## في فكر مالك بن نبي

الحق يشير إلى ما هو صحيح وعادل، والواجب يشير إلى ما يجب على الفرد أو المجتمع القيام به، هذان المفهومان يتداخلان ويترابطان في الواقع الاجتماعي، حيث يتطلب الحق الكفاح من أجله والعمل بما يجب لتحقيقه على سبيل المثال، الحق في المساواة يصير من الواجب على المجتمع توفير فرص متساوية للجميع.

تاريخيًا يظهر كيف أن التطورات الاجتماعية والسياسية كانت مرتبطة بمفهوم الحق والواجب، الحركات الاجتماعية والثورات السياسية غالبًا ما تنبع من النضال من أجل الحقوق والعدالة، وتشجيع المجتمعات على تحقيق الواجبات تجاه أفرادها؛ هذا الترابط بين الحق والواجب يمثل قاعدة أساسية في توجيه التطور الاجتماعي والتحول التاريخي.

ولهذا كان لدى المجتمع إلمام أفضل للعلاقة بين الحق والواجب يسهم في فهم كيفية توجيه التغيير الاجتماعي وتقديم المجتمعات نحو العدالة والمساواة.

نظرية الواجب في الفلسفة الأخلاقية تركز على الفكرة الأساسية للواجبات والمسؤوليات التي يتحملها الفرد أو المجتمع، حيث تعتبر الواجبات الملزمة أو الواجبات الأخلاقية جوهرية في اتخاذ القرارات لأنها هي تعمل على توجيه السلوك، وهناك توجهات متعددة تفسر نظرية الواجب، وتدور مجمع هذه الآراء حول الواجبات الأخلاقية حيث تثار العديد من النقاشات حول الواجبات الأخلاقية:

تعود فلسفة الواجب لفيلسوف العصر الحديث إيمانويل كانط، الذي أكد على أهمية الواجب الأخلاقي المطلق، أي الواجب الذي ينبغي على الإنسان القيام به دون اعتبار للظروف أو النتائج

## في فكر مالك بن نبي

على سبيل المثال، واجب الصدق يجب أن يتحقق بغض النظر عما إذا كان سيتسبب في نتائج جيدة أم لا.

يعود الواجب عند كانط إلى طبيعة العقل العملي، بوصفه تلك الملكة الكلية العامة التي تُميز الإنسان من حيث هو حيوان ناطق، فليس الإنسان مجرد حيوان يسعى نحو اشباع ميوله وحاجاته من المحافظة على بقائه، بل هو أيضا كائن أخلاقي يحاول توجيه سلوكه والعمل بمقتضى الواجب<sup>1</sup>؛ كانط يعتبر الإنسان كائناً أخلاقياً بالفعل حيث يرى أن الإنسان يمتلك القدرة على التفكير الذاتي والاختيار الحر، وهذا ما يجعله مسؤولاً عن أفعاله وقراراته. وبالتالي: يحث كانط على استخدام العقل والمنطق في توجيه السلوك، ويعتبر أن الأفعال الصالحة هي تلك التي تقوم وفقاً للواجب الأخلاقي الذي يُستنتج من خلال العقل وليس فقط بناءً على الرغبة الشخصية أو النتيجة المتوقعة، ولهذا هو يعرف الواجب بأنه: " ضرورة أداء الفعل احتراماً للقانون العقلي في ذاته"<sup>2</sup>.

بالنسبة لكانط ليس كافياً أن يكون الفعل مطابقاً للواجب فقط، بل يجب أن يأتي الفعل بناءً على واجب أخلاقي، وهذا يعني أن يكون الشخص ملتزماً بالواجب الأخلاقي ومقتنعاً بأن الفعل الذي يقوم به هو ما ينبغي عليه فعله بحق، يعتمد كانط على مفهوم الإرادة الحرة في اتخاذ القرارات الأخلاقية، حيث يقوم الشخص بالفعل الصالح لأنه يعتقد بأنه الواجب الذي يجب عليه القيام به، لا لأنه يتوقع مكافأة أو عقاب أو لأنه يرغب في النتيجة المحتملة، ولهذا فهو يرى أنه " لا

<sup>1</sup>علا عبد الله خطيب، "مفهوم الواجب عند كانط -مقاربة نظرية"، الاستغراب، مجلة تصدر عن المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية -بيروت-، عدد 9 (2017): 298-310.

<sup>2</sup>المرجع نفسه، ص، ص: 298-310

في فكر مالك بن نبي —————

يكف أن يأتي الفعل مطابقا للواجب، ولكن أن يأتي الفعل طبقا للواجب"<sup>1</sup>، فالفعل عند كانط لا بد أن يكون صادرا على أساس أنه واجب، وهذا التقدير لا يعود لنتائج الفعل ولكن يعود للعقل.

هذا المفهوم يعني أن هناك بعض الواجبات الأخلاقية الأساسية والجوهرية التي يجب على الفرد الالتزام بها بمجرد وجوده كإنسان، وتشمل ذلك الاحترام لحياة الآخرين، وعدم إلحاق الأذى، والسعي للخير العام وما يمكن أن يسهم في رفاهية الجميع.

<sup>1</sup>علا عبد الله خطيب، مرجع سابق، ص: 298-310.

## في فكر مالك بن نبي

### ثانيا- المسؤولية الاجتماعية في فكر مالك بن نبي

كان مالك بن نبي يهتم بشكل كبير بالمسؤولية الاجتماعي، حيث كان يراها تنبع من الواجب الأخلاقي والوطني للفرد نحو المجتمع والوطن؛ وتعبّر عن ولاء الأفراد للمجتمع الذي ينتمون له، كما كان يعتبرها أنّها تتطلب من الأفراد المشاركة الفعّالة في تحقيق التقدم والتنمية الشاملة للمجتمع، كما كان يركز على ضرورة الملحة لتبني قيم العمل والمساواة والعدالة في المجتمعات ، وكذلك العمل نحو تحقيق الديناميكية الاجتماعية من خلال تحمل الأفراد للمسؤولية في تحريك الواقع الاجتماعي في منظومة القيم الأخلاقية.

من خلال أفكاره ، أكد مالك بن نبي على أهمية دور الفرد في بناء المجتمع وتطويره ، وكيف يجب أن يكون لكل شخص مسؤولية نحو رفاهية وتطور المجتمع الذي يعيش فيه من خلال القيام بمجموعة من الواجبات التي تحقق له الاندماج في المجتمع.

#### 1-قيمة الواجب والحق:

حيث يرى مالك بن نبي أن عدم فهم متلازمة الحق والواجب مع الوعي بها، لا يمكن للمجتمع أن يحقق التغيير الاجتماعي والنهوض الحضاري المنشود، كما أنه يمكن أن يضر بشبكة العلاقات الاجتماعية التي هي أساس استقرار الأوطان؛ لهذا كان ينادي بضرورة إدراج " الواجب في معنى تربوي يهدف إلى تقويم جديد في ضمير كل مواطن"<sup>1</sup>؛ يمكن الإشارة هنا أن مالك بن نبي أراد أن يُعطي للواجب ديناميكية في نفوس أفراد.

<sup>1</sup>مالك بن نبي، بين الرشاد والتهيه، مرجع سابق، ص 29.

## في فكر مالك بن نبي

سبق وتم الإشارة من قبل أن مالك بن نبي يرى أن الثقافة (التربوية) هي نظرية في السلوك وليس نظرية في المعرفة؛ وهنا يريد التأكيد على هذا من خلال دعوته لإعطاء الواجب معنى تربوي ولا نتركه ضمن الجدل الفلسفي مع الحق مثلما كان يتحدث عنه الفلاسفة، فبث الروح في الواجب يكون عبر جعله ضمن المناهج التربوية سواء في المدرسة أو حتى في الأسرة.

### 1-1- التلازم بين الحق والواجب

أعطى مالك بن نبي في كتابه شروط النهضة مثلاً عملياً حول كيف يمكن أن نجعل للواجب معنى تربوي، من خلال تربية الفرد داخل الأسرة على ذلك بقوله: "لكي نعلم الطفل والمرأة والرجل تخصيص نصف ساعة يومياً لأداء واجب معين، فإذا خصص كل فرد هذا الجزء من يومه في تنفيذ مهمة منتظمة فعالة، فسوف يكون لديه في نهاية العام حصيلة هائلة من ساعات العمل لمصلحة الحياة الإسلامية في جميع أشكالها العقلية والخلقية والفنية والاقتصادية والمنزلية"<sup>1</sup>؛ فيمكن أن يتم جعل أداء الواجب جزء من ثقافة الفرد من خلال تدريبه و تعويده على هذا الأداء من خلال تخصيص ولو نصف ساعة من وقته يومياً لأداء واجبا معيناً، بالرغم أن نصف ساعة في وقت الفرد تبدو ضئيلة إلا أن عندما تنفذ هذه العملية من الجميع فالحصيلة النهائية تكون كم هائل من الساعات لمصلحة المجتمع والوطن، في جميع المجالات.

كما أن هذا النوع من العمل لا ينظر إليه من حيث الكم بقدر ينظر إليه من حيث الكيف؛ والهدف المرجو من ورائه، حيث يصبح أداء واجب سلوك ملازم للأفراد وثقافة تميز أسلوب حياتهم اليومية.

<sup>1</sup> مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 141.

## في فكر مالك بن نبي

كما أن مالك بن نبي أشار في هذا الصدد إلى الأهمية يمكن أن يوليها الأفراد لفكرة الزمن حيث قال: "وسيتب نصف الساعة عملياً فكرة الزمن في العقل الإسلامي، أي في أسلوب الحياة في المجتمع، وفي أسلوب أفرادها، فإذا استغل الوقت هكذا فلم يضع سدى ولم يرى كسولا في حقلنا، فسترتفع كمية حصادنا العقلي واليدوي والروحي وهذه هي الحضارة"<sup>1</sup>، فالتطبيق العملي لفكرة مالك بن نبي بالإضافة إلى الدور التربوي في ترسيخ أداء الواجبات، فإنها تغرس في النفوس أو العقول فكرة الزمن، وهي الفكرة التي يركز عليها مالك بن نبي في تربية الفرد الفعال الذي يمكن أن ينشئ حضارة.

يرى مالك بن نبي إن تخصيص نصف ساعة من اليوم في سبيل أداء واجب خدمة للمجتمع وللوطن يرسخ قيمة الزمن في عقل الفرد، بالإضافة إلى تنشئته على أداء الواجبات، فيصبح لديه الحرص على الحفاظ على الوقت وتقدير قيمته الإنجازية

ويمكن القول أن الساهرين على التعليم في الجزائر تفتنوا لهذا، مما جعل وزارة التربية تضع التنشئة على أداء الواجب ضمن المناهج التربوية،

كما أن يعتبر قرار وزارة التعليم بما أصطلح عليه بـ: "طالب خمس نجوم" مثال آخر على الاهتمام بتربية الأجيال على أداء الواجبات، حيث أنه في مراسلة وزارية رقم : 2022/1410 مؤرخة في 22/سبتمبر 2022 موجهة إلى السادة رؤساء الندوات الجهوية، ومديري الجامعات فصلت فيها كيف يمكن أن يكون طالب ذات خمس نجوم، حيث كانت النجمة الخامسة تشير إلى:

<sup>1</sup> ب مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، 141.

## في فكر مالك بن نبي

المشاركة والانشغال الاجتماعيين (الأعمال الخيرية (مثلاً: زيارة المستشفيات ومساعدة المرضى)، التعاون الأكاديمي مع الهيئات المعتمدة بالجزائر، الطالب الوصي- المستشار، مندوب الطلبة في مختلف المجالس البيداغوجية والعلمية بالقسم في الجامعة). ويمكن تطبيق نفس الإجراءات مع تغيير طفيف على طور الدكتوراه. ينبغي بطبيعة الحال إعداد نظام يسير التطبيق محددًا لهذه الإجراءات بشكل أكبر قبل أن تخضع إلى المجلس العلمي من أجل الموافقة عليه.

ترى فلسفة مالك بن نبي أن الفهم الصحيح لعلاقة الحق والواجب المتلازمة والوعي بها، يعد أمراً حاسماً لتحقيق التغيير الاجتماعي والنهوض الحضاري المأمول لدى كل الشعوب؛ حيث يعتبر أن عدم فهم هذه المتلازمة يمكن أن يعرقل عملية التطور ويؤدي إلى عدم استيعاب الأفراد للمسؤوليات والالتزامات تجاه المجتمع.

مفهوم متلازمة الحق والواجب يعني أن حقوق الأفراد تترتب عليها واجبات ومسؤوليات، وفهمها يُعتبر أساساً لتحقيق التوازن والتناغم في المجتمع؛ حيث يشير مالك بن نبي إلى أن فهم هذه العلاقة التلازمية أو الارتباط بين الحق والواجب يلعب دوراً حيوياً في بناء شبكة العلاقات الاجتماعية، التي يراها أساسية لاستقرار الأمم.

لهذا يدعو ويؤكد على إدراج "الواجب في معنى تربوي"؛ حيث يسعى إلى تحقيق تقويم جديد في ضمير الفرد يُظهر هذا النهج التربوي أهمية بناء وتطوير الوعي الاجتماعي والأخلاقي، مما يسهم في تكوين مجتمع يتسم بالوعي والتحمل المشترك للمسؤوليات نحو التنمية والتقدم.

## في فكر مالك بن نبي

لهذا الارتباط أكد مالك بن نبي على عدم الفصل بينهما: 'قلسنا بحاجة إلى نظرية تهتم بالحق على حدة، أو بالواجب على حدة، فإن الواقع الاجتماعي لا يفصلهما، بل يقرهما، ويربط بينهما، في صورة منطقية أساسية، هي التي تسيّر ركب التاريخ'<sup>1</sup>؛ مالك بن نبيّ يشير إلى المجتمع ليس بحاجة لنظرية تنظر إلى الحق والواجب منفصلان، بل بحاجة إلى النظرية التي تنظر إلى الحق والواجب كأمر مرتبط ومتراصة في الواقع الاجتماعي، لوجود رابط قوي يربط بينهما ويحكم السير والتطورات في التاريخ، وتسلط الضوء على كيفية تأثير الحق والواجب في بناء البنى الاجتماعية وتوجيه الفعل الاجتماعي.

تفسيره يشير إلى أن الحقوق والواجبات ليست مجرد مفاهيم منفصلة، بل هي ترتبط ببعضها البعض وتتأثر بالواقع الاجتماعي والتاريخي على سبيل المثال، الحقوق التي يحظى بها الأفراد ترتبط بالواجبات التي ينبغي على الفرد أداؤها تجاه المجتمع، وهذه التفاعلات تؤثر في تشكيل مسار التاريخ وتطوره وكذلك عملية النهوض الحضاري.

ويقرر مالك بن نبي أن الفهم العميق للعلاقة بين الحق والواجب يمكن أن يساعد في فهم ديناميكيات المجتمعات وكيفية تأثير القيم والمبادئ في تشكيل مسار التاريخ وتوجيهه نحو التطور، أي فهم عملية التغيير الاجتماعي التي يركز عليها في فهم تشكيل البنى الاجتماعية

كما يقر أنه: "ينبغي ألا يغيب عن نظرنا أن الواجب يجب أن يتفوق على الحق في كل تطور صاعد، إذ يتحتم أن يكون لدينا دائما محصول وافر، أو بلغة الاقتصاد السياسي فائض قيمة، هذا الواجب الفائض هو أمانة التقدم الخلقى والمادي في مجتمع يشق طريقه إلى المجد"

<sup>1</sup> مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي ج1، مرجع سابق، ص 142.

## في فكر مالك بن نبي

بالرغم أن مالك بن نبي يقر بأن الحق والواجب مقترنين مع بعضهما البعض في الواقع الاجتماعي بصورة منطقية أساسية، إلا أنه من ناحية الكم لا بد أن يكون أداء الواجب متفوق على نيل الحق، ومن ناحية السبق يجب يكون الواجب أسبق من الحق، وهو بالتالي يؤصل لنظرية تسبيق الواجب على الحق، من حيث الأداء ومن الكم، فالواجب يجب أن يكون له فائض قيمة على الحق من حيث الكم وأسبق منه في الأداء.

هذا الرأي يندرج ضمن أحد الأفكار التي تعتبر الواجب أكثر أهمية من الحق في التقدم الاجتماعي والاقتصادي حيث يُشير إلى أن الواجب أو ما يُفهم على أنه الالتزام بالمسؤوليات الاجتماعية، يجب أن يكون له الأولوية في النمو الاقتصادي والاجتماعي.

كما أن هذا الرأي يُظهر الاعتقاد بأن الازدهار المادي والمعنوي للمجتمع ينبغي أن يستند إلى تحقيق الواجبات والالتزام بها، وهو ما يُعتبر بمثابة "فائض" أو "إضافة" إلى الحقوق التي تحققها المجتمع.

من منظور اقتصادي، يمكن تفسير هذا الرأي بأن الواجبات الاجتماعية والمسؤوليات الاقتصادية يجب أن تكون محوراً لتقدم المجتمع، وأن الاهتمام بالواجب يمكن أن يسهم في خلق فائض قيمة أو تقدم في المجتمع:

الواجب أكبر من الحق<sup>1</sup>

<sup>1</sup> مالك بن نبي، فكرة كمنولث إسلامي، دار الوعي للنشر والتوزيع، روية، 2013، ص 60.

## في فكر مالك بن نبي

وهذا ما يذهب إليه أيضا آرثر بروكس (Arthur Brooks) الذي يعزز فكرة الالتزام بالواجبات الاجتماعية كجزء أساسي من النجاح الاقتصادي والتقدم.

التوازن بين الواجب والحق يمكن أن يكون أمراً حساساً ومعقداً، وتحديد أيهما يتفوق يعتمد على القيم والمعتقدات الاجتماعية والثقافية لكل مجتمع وفهمه للتقدم الشامل.

فالواجب ما هو مطلوب منا من الغير، وهو قيمة أخلاقية، "يشكل مفهوم الواجب قطب الرحي في المسألة الأخلاقية ويؤسس لجوهر التفكير الفلسفي في المجال الأخلاقي، فالواجب نداء الضمير ووظيفته الأساسية وهو يمارس وظيفة القسر والإلزام في مجال الحياة الأخلاقية سواء أكان هذا الإلزام داخلياً نابعا من الذات، أو خارجياً تفرضه الحياة الاجتماعية بما تنطوي عليه من معايير أخلاقية، فالواجب يأخذ صورة إلزام والتزام يؤديه، حتى وإن تعارض مع مصلحته الشخصية وميوله الطبيعية"<sup>1</sup>، اذا فالواجب هو التزام أخلاقي نحو الغير، و هو يعبر عن المسؤولية الاجتماعية للفرد.

إن الفرد باعتباره عضو في المجتمع أو أحد أطراف شبكة العلاقات الاجتماعية، لديه مسؤولية مجتمعية نحو الأعضاء الذي تربطه بهم شبكة العلاقات الاجتماعية، والالتزام الأخلاقي معهم يلزم عليه القيام بواجبات مجتمعية تخدم الفرد والجماعة، حتى ولو لم تكون للفرد مصلحة شخصية في أداء ذلك الواجب، فالمصلحة الجماعية تسبق المصلحة الشخصية، وذلك لأن مصلحة الفرد مرتبطة بمصلحة المجتمع.

والواجب حسب على وطفة هو التزام الفرد نحو مجتمعه، وهو يأخذ طابع القيمة الأخلاقية والمسؤولية المجتمعية للفرد، حتى وإن تعارض هذا مع المصالح الذاتية له، ويأخذ طابع الإلزام في بعض

<sup>1</sup> علي أسعد وطفة، "في مفهوم الأخلاق: قراءة فلسفية معاصرة"، شؤون اجتماعية، كلية التربية، جامعة الكويت، عدد 119 (2013): 124/91.

## في فكر مالك بن نبي

الأحيان إذا حدث تقاعس من الفرد في أدائه، فالفرد مطالب بالدفاع عن وطنه إذا تعرض الى هجوم أجنبي، حتى وإن كان هذا الدفاع يتعارض مع مصلحته الشخصية، فحياة المجتمع أو حياة الوطن أولى من حياة الأفراد.

ان جوهر الأخلاق في التفكير الفلسفي هو الواجب، ولهذا كان الاهتمام لفلاسفة عصر الحداثة وعلى رأسهم ايمانويل كانط هو الاهتمام بالواجب، الذي يعتبر الواجب قيمة أخلاقية كونية، هذه القيمة تطلبها الحياة الاجتماعية لتحقيق السلام والوثام المطلوبان لاستقرار المجتمع ولتحقيق العيش المشترك "يجب احترام القانون الأخلاقي الذي يحكم الجميع ليتمكن الفرد من العيش المشترك مع الآخرين في وثام وسلام تحت مظلة المساواة والقانون، فالعقل الكوني يشكل مصدر الواجب والحياة الأخلاقية برمتها، ويشترط كانط في الواجب أن يكون مجردا من كل غاية نفعية أو ذاتية"<sup>1</sup>، ان تجرد الفرد من الغاية الذاتية أو الغاية النفعية، هي تعبير شخصي على انكار الذات في سبيل مصلحة الجماعة، وبالتالي تقديم الواجب على أنه عملية أدائية، ينكر فيها الفرد ذاته، لتقديم خدمة لمجتمعها، أو تقتضيها المصلحة المشتركة لمن يتقاسمون العيش المشترك.

### 1-2-الحق نتيجة حتمية لأداء الواجب:

بعدها يقر مالك بن نبي أن الواجب والحق مرتبطان بصلة وثيقة مع بعضهما البعض في الواقع الاجتماعي، بالرغم من الأسبقية الكمية للواجب، يعيد ويؤكد هذا الارتباط من خلال قوله: **الحق ليس هدية تعطى ولا غنيمة تغتصب، الحق هو نتيجة حتمية للقيام بالواجب، فهما متلازمان** ،

<sup>1</sup> علي أسعد وطفة، أصول التربية: إضاءات نقدية معاصرة، مرجع سابق، ص 385.

## في فكر مالك بن نبي

والشعب لا ينشئ دستور حقوقه إلا إذا عدل وضعه الاجتماعي المرتبط بسلوكه النفسي"<sup>1</sup>، التزام الحق بالباطل يجعله حتمية اجتماعية، تأتي بعد أداء الواجب، ولهذا ليس هو هدية تعطى للأفراد، حق الشعب الجزائري في الاستقلال كان حتمية بعد تحمل الشعب الجزائري مسؤوليته التاريخية وأدى واجبه في الكفاح ضد المستدمر، ولم يبق مكنوف الأيدي ينتظر هدية من الأمم المتحدة أو الدول القوية.

هذه فكرة مهمة من وجهة نظر مالك بن نبي، حيث يرى بأن الحق ليس مجرد هبة تُعطى للأفراد، بل هو نتيجة طبيعية لأداء الواجبات والمسؤوليات التي ينبغي على الأفراد القيام بها حيث يعتبر أن حقوق الشعوب والأفراد تنبع من التزامهم بأداء الواجبات الأخلاقية والاجتماعية.

ويقول مالك بن نبي أيضًا إن إنشاء دستور حقوق لأي شعب يعتمد على تغييرات في الوضع الاجتماعي والسلوك النفسي لهذا الشعب؛ يعتبر أن تطوير وتحسين الوضع الاجتماعي يمكن أن يؤدي إلى تعزيز الحقوق والحريات للأفراد، إذا ما أدى هذا التغيير إلى تحسين السلوك والمسؤولية الاجتماعية للأفراد والمجتمع بشكل عام.

تحصيل الحقوق له علاقة بتغيير سلوكك الذي يغير وضعك الاجتماعي، التقاعس عن تحملك المسؤوليات الاجتماعية لن يغير حالة الفرد الاجتماعية وبالتالي لا ينتظر أن ينال ما يراه حق لك، فدستور الحقوق ينشئه الشعب بنشاطهم وكفاحهم.

والواجب عند مالك بن نبي هو مقدم على الحق، لأن الحق هو نتيجة لفائض القيمة من أداء الواجبات، أو أن أداء الواجب هو مقدمة لنيل الحقوق، لأن الحق هو ثمرة ينالها المؤدي لواجباته،

<sup>1</sup> مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 35.

## في فكر مالك بن نبي

وعلى عكس منظري العقد الاجتماعي كتوماس هوبز، جون لوك، مونتيسكو وجان جاك روسو وآخرون، الذين يرون بأن الحقوق هي طبيعية والفرد يتنازل عن هذه الحقوق لفائدة المجتمع من خلال عقد اجتماعي يحتكم إليه الجميع، وهم يرون أن هذه الحقوق طبيعية وهي ملازمة للإنسان، وبالتالي نيل الحقوق قبل أداء الواجبات، فهو يرى أن طبيعة الحقوق لكونها نتيجة حتمية لأداء الواجب.

مالك بن نبي يرى أن الواجب أسبق من الحق لأن الثاني هو نتيجة حتمية للأول، فحق ملكية الأرض مرهونا بخدمتها "الأرض لمن يخدمها"، تشير احصائيات لتصريح الحكومة الجزائرية التي نقلته عنه جريدة أنه هناك: "ثلاثة ملايين هكتار، هو رقم مساحات التربة الخضراء في الجزائر، ورغم ذلك، فقد ظلت هذه الكنوز لسنوات خلت شاغرة ومهجورة، تستنجد وتصرخ بل تنادي عمن يستثمر فيها فلاحيا، ويجعل منها جنات تمور بالعطاء والوفرة الإنتاجية، فهذه الأقاليم الشاسعة بقيت بلا حركة تدبّ فيها، بل قل شبه ميتة على الإطلاق، ومرتعا للدواب ورمي القمامة اليومي"<sup>1</sup>. فبحجة حق الملكية بقيت هذه الأراضي شاسعة بور ولهذا فالمبدأ الذي أقره ملك بن نبي بأن الحق هو ثمرة أداء الواجب، وأن نيل الحقوق مرتبطة بفائض أداء الواجبات هو مبدأ عملي يعطي الديناميكية للتنمية والفعالية الاجتماعية.

مقاربة مالك بن نبي تقترب في مفهومها لمقاربة السلطات الرسمية" يركز الخطاب الرسمي أو الحكومي الحالي أكثر على مسؤوليات وواجبات الأفراد.... حيث صرح وزير الشؤون الدينية في ابريل 2012 بعناية "بأن المواطنة ثقافة وسلوك حضاري ببناء مرهون بأداء الواجبات تجاه الوطن

<sup>1</sup> "الأرض لمن يخدمها"، 2013. <https://www.ennaharonline.com/>

## في فكر مالك بن نبي

والمجتمع<sup>1</sup>، وهنا أيضا نلاحظ أن السلطات تنظر للمواطنة بأنها ليست حقوق وواجبات فقط بل هل ثقافة وسلوك حضاري.

### 2-الانتماء والولاء

يعتبر الولاء والانتماء من القيم التي يركز عليها في قيم المواطنة، والتي أشار إليها مالك بن نبي في كتبه على أساس الانتماءات العديدة للفرد انتماء لوطن، انتماء لجماعة، انتماء لفكرة وانتماء لثقافة، ولا يكفي الانتماء وحده بل لا بد أن يتعدى ذلك لولاء الفرد لمجموعة انتماءاته، ولاء واع لا ولاء تبعية

### 2-1-الانتماء:

يقصد بالانتماء الانتساب لنسق ما، قد يكون هذا النسق، جماعة، فكرة أو وطنًا، هذا الانتساب يعني الاندماج الكلي وجدانيا وسلوكيا مع الأنساق التي يشاركوها الانتماء، ويكون هناك إحساس بالمسؤولية المجتمعية نحوها، " الانتماء لغة مأخوذة من النماء بمعنى الزيادة والعلو والارتقاء، ويقال انتمى فلان إلى فلان إذا ارتفع إليه في النسب، وانتمى فلان إلى أبيه أي انتسب واعتز".

"الانتماء هو الانتساب الحقيقي للدين والوطن فكرا وعملا، ويكون الانتماء للدين بالالتزام بتعليماته، والثبات على منهجه، أما بالنسبة للوطن فهو تجسيد للتضحية من أجل، وهي تلك النابعة من الشعور بالحب له"<sup>2</sup>، ركز هذا التعريف على الانتساب للدين والوطن، باعتبار أن الانسان لا يمكن أن يعيش دون عقيدة، حتى ولو كانت عقيدة باطلة، ولا يمكن أن يعيش دون وطنًا يأوي إليه.

<sup>1</sup> منير مباركية، مفهوم المواطنة في الدولة الديمقراطية المعاصرة وحالة المواطنة في الجزائر، مرجع سابق، ص 26.

<sup>2</sup> سعد ابراهيم الفجال، أهمية وأبعاد المواطنة - طرائق تدريس ممارسات المواطنة الفاعلة (القاهرة: دار الكتاب للحديث، 2018)، 97.

## في فكر مالك بن نبي

والانتماء أيضا هو حالة شعورية يحس بها الفرد ويعيشها وجدانيا من خلال التأثير سواء بالفرح أو بالحزن لما يصيب الوطن وأفراده، ولهذا يحس الفرد بالاعتراب عندما يكون في وسط اجتماعي أو وسط ثقافي آخر، وهو حالة من الارتباط الوجداني التي يحس بها الفرد نحو الأنساق التي ينتمي إليها:

أ- الانتماء لجماعة:

عبر مالك بن نبي عن انتماء الفرد للجماعة من خلال حديثه عن الروابط الاجتماعية، وشبكة العلاقات الاجتماعية التي تربطه بباقي الأفراد، وأعطى لهذا الانتماء بعد حضاري تربوي يتربى عليه الانسان لكي يستطيع العيش في وسط الجماعة "معنى التحضر أن يتعلم الانسان كيف يعيش مع غيره في جماعة، ويدرك في الوقت ذاته الأهمية الرئيسية لشبكة العلاقات الاجتماعية في تنظيم الحياة الإنسانية من أجل وظيفتها التاريخية"<sup>1</sup>.

إن قيمة العيش المشترك تكمن في تكوين الحس المشترك لدى الأطراف المتعايشة مع بعضها البعض، وتنمي فيهم حس الانتماء والانتساب والمصير المشترك، ولهذا يرى مالك بن نبي أن المجتمع ليس مجرد كمية من الأفراد، وإنما هو اشتراك هؤلاء الأفراد في اتجاه واحد، من أجل القيام بوظيفة معينة ذات غاية"<sup>2</sup>، والمشاركة هي قيمة من قيم المواطنة التي تعني أن أفراد الجماعة الاجتماعية ليس قيمة عددية أو تكديس للأفراد، بل أن تجميعهم هو من أجل وظيفة تاريخية وهي

<sup>1</sup> مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مرجع سابق، ص 94.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 27.

## في فكر مالك بن نبي

بناء شبكة العلاقات الاجتماعية التي تنظم الحياة الإنسانية ويجعل لهذه الشبكة قيمة اجتماعية وهي جعل أفرادهم يعيشون لغاية يسعون لتحقيقها.

ب-الانتماء لحضارة:

والفرد ينتمي للحضارة التي أنتجته، والتي يساهم هو من بعد في بنائها فهو عنصر مبني وباني في نفس الوقت، ولهذا يرى بن نبي أن الفرد يبقى مدين لهذه الحضارة التي هو نتاجها بكل ما يملك من أفكار وأشياء" (فالشخص) في ذاته ليس مجرد فرد يكون النوع، وإنما هو الكائن المعقد الذي ينتج حضارة، وهذا الكائن هو في ذاته نتاج الحضارة، إذ هو يدين لها بكل ما يملك من أفكار وأشياء"، فالانتماء والشعور به يجعل الفرد في علاقة تبادلية آلية مع باقي أفراد المجتمع، ويجعله يحس بنوع من الدين تجاه هذا المجتمع.

إن هذا الإحساس بالانتماء يولد لدى الفرد طاقة حيوية زائدة، هذه الطاقة تزيد في فعاليته والعملية الإنتاجية لديه، كما أن هذا الإحساس يزيد من الانسجام والتلاحم بين أفراد المجتمع، وبالتالي يصبح هذا ثروة اجتماعية له، تحقق له النمو والرفاه الاجتماعي، وأي تراخ في روابط الشبكة، يؤثر قطعاً في درجة الإحساس بالانتماء، وبالتالي يصبح هذا المجتمع يعاني من الركود والجمود، لأن شبكة العلاقات الاجتماعية هي المحرك له.

وأي محاولة للنهوض بالمجتمع من جديد لا بد أن تكون عبر اصلاح شبكة علاقات الاجتماعية، "ومن هنا ينبغي على المجتمع، عندما يشروع في النهوض، أن يرمم ويصلح شبكة

## في فكر مالك بن نبي

علاقاته الاجتماعية، ليتغلب على الصعوبات الناشئة في نطاق علاقاته السلطانية<sup>1</sup>، وهذا الإصلاح يمر عبر الزيادة بالإحساس بالانتماء، ويرى مالك أن أول علاقات يمسه التلوث هي العلاقات السلطانية، وبالتالي الصعوبات التي تنشئ في نطاق العلاقات السلطانية سواء كان علاقات أفقية أو عمودية، هي التي تؤثر في متانة روابط شبكة العلاقات الاجتماعية " فالمجتمع الذي عانى عندما خضع مثلا لسلطان الاستعمار اضطرابات في شبكة علاقاته الاجتماعية، سيعاني قطعا مشكلة في علاقاته السلطانية، حين يصبح هيئة سياسية، أي عندما يصبح دولة"<sup>2</sup>، المجتمع لا بد له من الخضوع لسلطة، بعض المجتمعات مثل المجتمع الجزائري خضع في فترة ما لسلطة الاستعمار، وهذا كان له تأثير في شبكة العلاقات الاجتماعية وأحدث لها اضطرابات جعلها مهتزة، هذا وأثر حتى في الإحساس بالانتماء، جعل الكثير يفضل الهجرة والهروب من جحيم الاستعمار الفرنسي، والبعض ضعف عنده حس الانتماء للمجتمع الجزائري فأختار التجنس بالجنسية الفرنسية.

كما أن المجتمعات تخضع للسلطة السياسية، هذه السلطة قد تساهم في تعزيز الانتماء من خلال اصلاح شبكة العلاقات الاجتماعية، أو في أفول هذا الانتماء اذا لم تسارع في اصلاح وترميم ما يمسه شبكة العلاقات الاجتماعية من تلف، ويقر مالك بن نبي أن ما يصيب شبكة العلاقات الاجتماعية يعزز الروح الانفرادية، وأعتبرها من السيئات التي تصيب المجتمعات "وكل مجتمع أصابت فيه محن الزمن شبكة علاقاته الاجتماعية، سيواجه قطعا سيئات الروح الانفرادية"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup>مالك بن نبي، مرجع سابق، ص 47.

<sup>2</sup>المرجع نفسه، ص 46.

<sup>3</sup>المرجع نفسه، ص 47.

## في فكر مالك بن نبي

إن سيادة روح الانفرادية الناتجة عن تمزق شبكة العلاقات الاجتماعية عبر ما يؤثر فيها من محن الزمن في أي مجتمع؛ هو في حقيقته قتل لروح الجماعة، وكذلك هو غياب الإحساس بالانتماء مما يؤثر على قيمة الواجب والالتزام عند أفراد المجتمع، وبالتالي تغييب المسؤولية المجتمعية التي هي سمة العيش المشترك، وتبدو ذلك في رغبة الافراد الفرار من البلد عن طريق الهجرة، سواء كانت هجرة منظمة علنية أو هجرة سرية أو كما تسمى الحرقه عبر قوارب الموت.

إن التفكير في الحرقه وما فيها من مخاطر لدى الشباب، ناتج عن سيادة روح الانفرادية لهم، وإحساسهم بالاعتراب في وطنهم وبين أفراد مجتمعهم، فغياب الشعور بالانتماء والانتساب للوطن والمجتمع، هو ناتج عن ممارسات العلاقات السلطانية بتعسف، فبدلا ما تكون هذه العلاقات مساهمة في تعزيز روح الانتماء، تعمل على اضمحلالها في نفوس المواطنين.

فالمرض الاجتماعي الذي يصيب المجتمعات يؤثر على العلاقات الاجتماعية مما تؤدي إلى تدهور الروابط الاجتماعية، ويمكن أن يكون له تأثير سلبي على الروح والعواطف، مما يزيد الشعور بالانعزال والوحدة.

### ج-الانتماء لفكرة

إن الانتماء لشبكة العلاقات الاجتماعية هو انتماء لمجموعة من الأفراد والأفكار معا، "وفعالية الأفكار تخضع إذن لشبكة العلاقات"<sup>1</sup>، أي أن هذه الأفكار لها انتماء وهذا الانتماء هو من يعطيها الفعالية العملية، وهذه الأفكار تخضع في حقيقتها للمنظومة الفكرية للمجتمع، وكما هو

<sup>1</sup>مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مرجع سابق، ص 38.

## في فكر مالك بن نبي

معروف أن لكل مجتمع فلسفته في الحياة وبالتالي انتماء الفرد للمجتمع هو انتماء لمنظومته الفكرية، والفكرة الأولى التي ينتمي لها عند مالك بن نبي هي الفكرة الدينية.

يرى ابن نبي أنه حينما نتأمل التاريخ البشري يبدو الدين ظاهرة كونية تحكم فكر الإنسان وحضارته منذ الأزل، كما تحكم الجاذبية المادة، وتتحكم في تطورها، والدين على هذا يبدو وكأنه مطبوع في النظام الكوني، قانوناً خاصاً بالفكر، الذي يطوف في مدارات مختلفة، من الإسلام الموحّد إلى أحط الوثنيات البدائية، فهو قانون من قوانين الله عز وجل التي فُطرت عليها النفس الإنسانية. وهو فضلاً عن أنه يغذي الجذور النفسية العامة، فإنه يتدخل مباشرة في العناصر الشخصية التي تكوّن الأنا الواعية في الفرد، وفي تنظيم الطاقة الحيوية التي تصنعها الغرائز في خدمة هذا الأنا.

يركز مالك بن نبي على الفكرة الدينية ودورها في بناء المجتمع وتوجيهه، وأن المجتمع يتأسس في أو ل مرحلته على أساس الدين وحده، ويؤكد بقوله في محاضرة ألقاها في دمشق " الدين وحده الذي يستطيع أن يؤسس مجتمعا، والعلم لا يستطيع تأسيس مجتمع، وإذا قيل لنا: إن بعض المجتمعات تأسست على غير الدين، فهذا يعني أن المعارض يُجْمَلُ كلمة (دين) ما لم نحملها نحن"<sup>1</sup>، فحسب مالك بن نبي الدين يؤسس مجتمعات، وليس كما يظن البعض أن العلم هو الذي يؤسس المجتمع، وهذا لا يعني رفض العلم كما يظن البعض، فمالك يقر بأن للعلم وظيفة أخرى، غير الوظيفة الاجتماعية التي فشل فيها العلم حسبه، " فالعلم فشل في وظيفته الاجتماعية، ولكنّه نجح في الناحية الأخرى نجاحا نتقبله بكل اعجاب، ولكن يجب علينا أن ندرك نقصانه في

<sup>1</sup> مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مرجع سابق، ص 109.

## في فكر مالك بن نبي

الجوانب الاجتماعية الانسانية البحتة"<sup>1</sup>، ويرى بن نبي أن من يرفض هذا الكلام فهو يعطي للدين معنى آخر غير الذي يعطيه له هو، فالدين عند مالك بن نبي هو منهج هداية، ويحمل هداية الله لخلقها، وبالمعنى الاجتماعي فالدين يقدم للمجتمع وأفراده المبادئ والمبررات الأساسية أو المعايير التي تحدد سلوك الأفراد وتعطيه الدور الاجتماعي الملائم له، ولهذا كما تم الإشارة من قبل يعتبر مالك بن الشيوعية دين "أما من الناحية الاجتماعية نعلم ونقر ونقول، حتى للشيوعيين، بل وقلنا هذا في كتب: إن الشيوعية دين من الأديان، دين أثبت قاعدة مادية"<sup>2</sup>.

فكل مجتمع يملك فكرة دينية، هذه الفكرة تأسس عليها المجتمع وتكون محور أفكاره وأفكاره وعليها تبنى ثقافته، ولهذا مالك بن نبي يرى أن الدين

### د-الانتماء لثقافة

إن الانتماء لمجتمع ما، والتشبع بأفكاره والعمل بها، يجعل الفرد يسلك سلوك أفراد، وهذا السلوك ناتج عن انتمائه لثقافة المجتمع الذي يشارك أفراد العيش المشترك، فالثقافة كما جاء في الإعلان العالمي بشأن التنوع الثقافي بمكسيكو الذي قام بتحديد مفهوم الثقافة في إطار عام وواسع كالتالي : " إن الثقافة بمعناها الواسع يمكن أن ينظر إليها اليوم على أنها جميع السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعاً بعينه ، أو فئة اجتماعية بعينها ، وهي تشمل الفنون والآداب وطرائق الحياة ، كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات"<sup>3</sup>

<sup>1</sup>مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مرجع سابق ، 110.

<sup>2</sup>مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مرجع سابق ، 111.

<sup>3</sup>محمود حواس، "الثقافة والمثقفون"، الحوار المتمدن، 20 نوفمبر، 2005،

## في فكر مالك بن نبي

إن لكل مجتمع ثقافته التي هي بنت أفكار أفرادها، وهي التي تؤسس لمنهج الحياة الاجتماعية له، لهذا كان تحديد مفهوم الثقافة عند علماء الاجتماع مربوط بواقعهم الاجتماعي "فتعريف الثقافة بصورة أو بأخرى مكتمل ضمنا في فكر عالم الاجتماع الأمريكي أو فكر الكاتب الماركسي، السؤال الذي يرد أمام كليهما في صورة ماهي الثقافة؟ يأخذ لديه الاتجاه نفسه والمعنى، فهي تتصل لديهما بفهم واقع اجتماعي موجود بالفعل في نطاق تاريخي معيّن<sup>1</sup>، إذا كان تحديد مفهوم الثقافة أو الإجابة على سؤال ماهي الثقافة؟ مرتبط بفهم الواقع الاجتماعي، في إطار نطاق تاريخي معيّن، فهذا يعني أن هذه الثقافة هي بانيّة لهذا الواقع الاجتماعي وبالتالي هو ينسب لهذه الثقافة، ولهذا يرى مالك بن نبي انه "إذا وضعنا هذا السؤال في العالم العربي والإسلامي، فإنه يأخذ معنى آخر مختلفا تمام الاختلاف، إذ هو يتصل بخلق واقع اجتماعي معيّن لم يوجد بعد"<sup>2</sup>.

لأن الواقع الاجتماعي في العالم العربي والإسلامي لم يوجد بعد، نظرا للاستعمار من جهة والتبعية للثقافة الغربية، فكلتا الحالتان تمنعان من تحديد أو إعطاء نفس الجواب عن السؤال ما الثقافة في المجتمع العربي والإسلامي؟، فلا يمكن استيراد مفهوم عن واقع اجتماعي معيّن مثل الواقع الاجتماعي الغربي الذي يمتلك عالم الأشياء، على واقع اجتماعي مازال لا يمتلك عالم الأشياء الذي هو هيكل البناء الثقافي.

ليبيّن أن الانتماء لثقافة يحدد سلوك الفرد، يضرب لنا مالك بن نبي مثال بطبيب جزائري مسلم وآخر يهودي درس الاثنين معا وتخرجا سويا، لكن في الميدان كان سلوكهما مختلف، هذا

<sup>1</sup>مالك بن نبي، مرجع سابق، ص 38.

<sup>2</sup>المرجع نفسه، ص 38.

## في فكر مالك بن نبي

الاختلاف يرجع حسبه للنمو النفسي أو للتربية الاجتماعية التي تعرضا لها الاثنان، وكانت سببا في تعلم أسلوب الحياة لدى كلاهما، حيث أن كلا الطيبين كانت له تربية اجتماعية تختلف عن الآخر، وبالتالي نشأ وترى على نمط من أسلوب الحياة لا يشبه النمط الذي تربى عليه الآخر، ويقر في النهاية أن هذا راجع للثقافة التي ينتمي إليها: "والآن إذا قمنا بمراجعة بسيطة وتساءلنا: لماذا اختلف سلوك الطيب الذي آخذناه مقياسا للمقارنة، عن سلوك الطيب الآخر؟ فالجواب: إن كلاً منهما وجد في جو ثقافي مختلف منذ المهده، أي منذ الأيام الأولى لحياته"<sup>1</sup>.

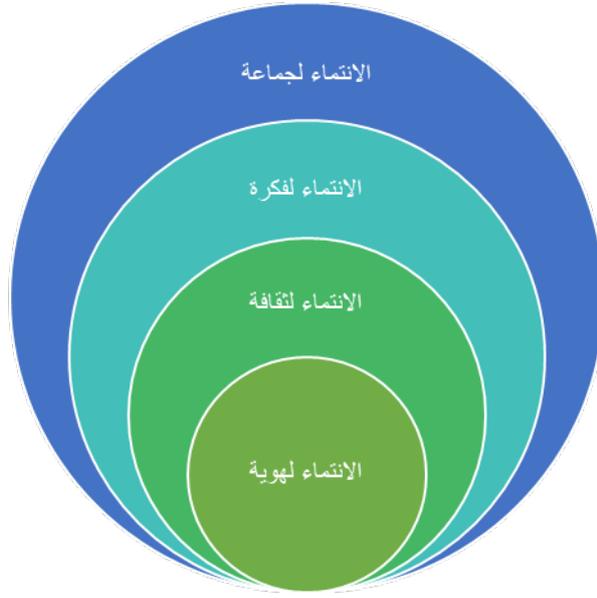
هـ- الانتماء هوية

إن الانتماء لمجتمع يمتلك منظومة فكرية خاصة به، هذه المنظومة تشكل له واقع ثقافي مميز عن باقي الثقافات الأخرى، يجعل لهذا المجتمع وأفراده هوية، فالهوية هي عبارة عن ناتج الصلات الثقافية والاجتماعية المحصلة عن مختلف التفاعلات اليومية المتبادلة بين الفرد وواقعه الاجتماعي المعاش، وهي عبارة عن مجموعة من الانتماءات التي ينتمي لها الفرد، انتماء لشبكة من العلاقات الاجتماعية، انتماء لفكرة، انتماء لثقافة وكل انتماء يميز افراد مجتمع عن مجتمع آخر.

والفرد يمتلك ثلاث هويات، الهوية الذاتية التي هي اسمه ولقبه الذي يميزه عن باقي الأفراد، الهوية الثقافية والتي يدخل ضمنها الثقافة، اللغة والدين، والهوية الوطنية والتي تعبر عن الانتماء لمجتمع وأرض يتشارك فيها الفرد العيش مع باقي أفراد المجتمع.

<sup>1</sup>مالك بن نبي، مرجع سابق، ص 144.

في فكر مالك بن نبي



شكل رقم 25: دوائر الانتماء عند مالك بن نبي

2-2- الولاء:

لا يمكن أن يكون انتماء لجماعة أو لفكرة دون يكون هناك ولاء لها، فالولاء هو جوهر الالتزام وعنوان الانتماء، فكلما زاد احساسك بالانتماء، زاد ولائك لمن تنتمي لهم، ويدعم ذلك هويتك الذاتية التي تنتسب لها، فانتمائك لوطنك يؤدي الى الاعتزاز به وهذا ولاء له والذي يعبر عنه بالوطنية، فالوطنية حالة شعورية وجدانية يحس به الفرد نحو وطنه وقومه، والولاء يقوي روح الجماعة من حيث التعاون والتضامن، ويركز على المساندة التي تعني مساندة الوطن وقومه في الأفراح والأحزان، ويدعو إلى تأييد الفرد لجماعته ويشير إلى مدى الانتماء إليها.

الولاء هو مصطلح يشير إلى الانتماء أو الانحياز لشخص أو مجموعة أو فكرة معينة، يمكن

أن يكون الولاء موجهاً نحو العائلة، الوطن، المجتمع، الدين، الفكرة، أو حتى تجربة معينة.

هناك أنواع مختلفة من الولاء، ومنها:

## في فكر مالك بن نبي

الولاء الشخصي: يشير إلى الانتماء أو الانحياز لشخص معين، سواء كان ذلك بسبب الصداقة أو الارتباط العاطفي أو الولاء لشخصية قيادية.

الولاء الوطني: يشير إلى الانتماء والانحياز للوطن أو الدولة، وقد يتضمن الالتزام بالقيم الوطنية والدفاع عن مصالح الوطن.

الولاء الديني: يرتبط بالالتزام بالمعتقدات والتقاليد الدينية والانتماء لمجتمع ديني معين.

الولاء للمجتمع أو المجموعة: يمكن أن يكون الولاء لمجموعة معينة مثل المجتمع المحلي أو مجموعة اجتماعية أو حتى مؤسسة معينة، حيث يحدث الانصهار بين العوالم الثلاثة (الأفكار، والأشياء، الأشخاص) الذي يصبح يشكل عالم مترابط ومتكاثف ضمن مجموعة من شبكات العلاقات الاجتماعية، التي تؤسس لمواطنة تجعل العيش معا ممكنا ومتاحا بالرغم من كل الاختلافات.

الولاء لفكرة:

الولاء لفكرة ينطلق من الاعتقاد الجازم بصحتها، ويمثل التفاني والإخلاص في دعم وتحقيق هذه الفكرة بغض النظر عن التحديات التي قد تواجهها، ويتطلب الإيمان العميق بقيمتها والتفاني في تحقيق أهدافها، وقد يتطلب الوقوف معها حتى في وجه المعارضة والصعوبات.

ولهذا يرى مالك بن نبي أن الولاء لفكرة مسألة مركزية، وهي القوة التي تقوم عليها الحياة البشرية، ولكن يركز على الفكرة التي يجب أن تكون اهتمام الفرد ومحور حركته هي الفكرة الدينية؛

## في فكر مالك بن نبي

لأن: "الدين ظاهرة كونية تحكم فكر الإنسان وحضارته، كما تحكم الجاذبية المادة وتتحكم في

تطورها"<sup>1</sup>، كما هو أيضا تلك القوة الروحية التي تقوم عليها الحياة البشرية

الولاء يمكن أن يكون قويًا ومؤثرًا في سلوك الفرد واتخاذ القرارات. ومع ذلك، قد يحدث

تضارب بين الولاءات في بعض الأحيان، وهذا يمكن أن يواجه الفرد بتحديات أخلاقية أو صراعات

داخلية في اتخاذ القرارات. على سبيل المثال، صراع بين الولاء للوطن والولاء لقيم أخرى أو بين

الولاء للعمل والولاء للعائلة قد يواجه الأفراد في بعض الحالات.

### 3- المسؤولية الاجتماعية والغيرية الاجتماعية:

المسؤولية الاجتماعية والغيرية الاجتماعية تعتبران مفاهيم مهمة في علم الاجتماع والفلسفة

الاجتماعية فهما مرتبطتان معا، حيث كما تم الاشارة اليه من قبل؛ تتعلق المسؤولية الاجتماعية بالالتزامات

التي يتحملها الفرد تجاه المجتمع والبيئة التي يعيش فيها، وبالواجبات المنوطة به كفرد له انتماء وولاء

للمجتمع، بينما تتعلق الغيرية الاجتماعية بالعلاقات بين الأفراد في المجتمع والتكامل الاجتماعي والتعاون

بينهم مما تقتضيه هذه الغيرية على المجتمع.

الغيرية الاجتماعية، فهي تعتمد على فهم الفرد لواجباته تجاه الآخرين في المجتمع، وعلى قدرته على

التفاعل معهم بشكل إيجابي وبناء؛ وتعتبر جوهرية لتحقيق التعاون والتكامل في المجتمعات.

تكمن الغيرية في كون الفرد يعمل على التفكير في الوطن قبل التفكير في ذاته وهذا يتجسد في

حرصه بكونه انسان متحضر ملتزم بأداء واجبه قبل المطالبة بحقه، وأيضا حرصه على اعطاء المسؤولية

<sup>1</sup>مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، مرجع سابق، ص 300.

## في فكر مالك بن نبي

الاجتماعية أولية مما يجعله يساهم في اعطاء القيمة المضافة للمجتمع وتحقيق فائض الانتاج الذي هو أمانة التقدم والنهوض الحضاري.

### 3-1 الاندماج في حركة العمل الاجتماعي (الخدمة الاجتماعية):

الاندماج في حركة العمل الاجتماعي، أو ما يُعرف بالخدمة الاجتماعية، يشير إلى الانخراط الفعّال والإيجابي في مجال خدمة الأفراد والمجتمع بغرض تحقيق التغيير الاجتماعي ودعم الأفراد والجماعات في المجتمع، وتشمل أهم جوانب الاندماج في حركة العمل الاجتماعي ما يلي:

**فهم القضايا الاجتماعية:** يجب على المختصين في الخدمة الاجتماعية فهم القضايا والتحديات التي يواجهها الأفراد والمجتمعات، والتي تحتاج إلى تدخل اجتماعي للمساعدة في حلها.

**تحليل الوضع والتقييم:** يشمل ذلك قياس وتقييم الوضع الحالي، وتحديد الاحتياجات والموارد المتاحة، ووضع خطط وبرامج لتحقيق التغيير الاجتماعي المطلوب.

**التواصل وبناء العلاقات:** يتطلب العمل الاجتماعي تواصلًا فعّالًا مع الأفراد والجماعات المستهدفة، وبناء علاقات قوية تساهم في تحقيق الأهداف المحددة.

**المساهمة في تحقيق التغيير الاجتماعي:** يهدف الاندماج في حركة العمل الاجتماعي إلى المساهمة في تحقيق التغيير الاجتماعي المستدام من خلال تنفيذ البرامج والمشاريع الاجتماعية المختلفة.

**التفاعل مع السياسات الاجتماعية:** يتطلب العمل الاجتماعي التفاعل مع السياسات الاجتماعية والمشاركة في صياغتها وتطبيقها من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية وتحسين جودة الحياة.

## في فكر مالك بن نبي

المساهمة في الحركة التطوعية في النوازل والأزمات: المساهمة في الحركة التطوعية في النوازل والأزمات يعتبر جزءًا أساسيًا من المسؤولية الاجتماعية والإنسانية. يمكن أن تكون المساهمة في هذه الحركة مفيدة بشكل كبير في تقديم المساعدة والرعاية للأشخاص الذين يعانون من النوازل والأزمات، وتخفيف معاناتهم ودعمهم في تجاوز الصعوبات التي يواجهونها. تشمل طرق المساهمة في الحركة التطوعية في النوازل والأزمات ما يلي:

المشاركة في فرق الإغاثة: يمكن للأفراد المساهمة في العمليات الإغاثية من خلال الانضمام إلى فرق الإغاثة وتقديم المساعدة المباشرة للمتضررين.

جمع التبرعات والموارد: يمكن للأفراد والمنظمات جمع التبرعات المالية والموارد الضرورية لتقديم الدعم للمتضررين.

تقديم الدعم النفسي والعاطفي: يمكن للأفراد تقديم الدعم النفسي والعاطفي للمتضررين ومساعدتهم في التعامل مع الصدمات النفسية التي قد يواجهونها.

المساهمة في الإعلام والتوعية العامة: يمكن للأفراد المساهمة في نشر الوعي والتوعية حول النوازل والأزمات وكيفية التصرف فيها. يمكن للأفراد المساهمة في تعزيز الاستعداد والاستجابة للنوازل والأزمات من خلال التدريب والتوعية.

المساهمة في الحركة التطوعية في النوازل والأزمات يمكن أن تلعب دورًا حيويًا في تقديم الدعم والرعاية للأشخاص المتضررين وفي تحقيق التغيير الإيجابي في المجتمعات المتأثرة، وهذا ما عرفته المجتمعات في أزمة كورونا، ومالك بن نبي يشير إلى هفي مشروعه الحضاري عندما عرف الحضارة بأنها: "مجموع الشروط

## في فكر مالك بن نبي

الأخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معين أن يقدم لكل فرد من أفرادها في كل طور من أطوار وجوده، منذ الطفولة إلى الشيخوخة، المساعدة الضرورية له في هذا الطور أو ذلك من أطوار نموه"

باختصار، الاندماج في حركة العمل الاجتماعي يعني الانخراط الفعّال في تحقيق التغيير الاجتماعي الإيجابي ودعم الأفراد والجماعات في المجتمع لتحقيق رفاهية وتنمية مستدامة.

### 3-2 تحقيق التكامل الاجتماعي:

الإنسان كما قرر بن خلدون من قبل "اجتماعي بطبعه"، وهذه إشارة إلى أن الإنسان بطبيعته يحتاج إلى العيش في مجتمعات أو جماعات لتحقيق احتياجاته الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، لذلك يمكن القول إن الإنسان لا يستطيع العيش بمفرده بدون التفاعل مع الآخرين والاعتماد عليهم في مختلف جوانب حياته.

يعكس قول ابن خلدون فهماً صحيحاً للطبيعة الاجتماعية للإنسان، فعلا الإنسان بطبيعته اجتماعي ويميل نحو العيش في مجموعات وجماعات، يحتاج الإنسان إلى التفاعل مع الآخرين والاندماج في بيئة اجتماعية لتحقيق احتياجاته الأساسية والاقتصادية والثقافية.

في المجتمعات، يجد الإنسان الدعم الاجتماعي الذي يحتاجه في مختلف جوانب حياته، بدءاً من الدعم العاطفي والمعنوي إلى الدعم الاقتصادي والمهني. بالإضافة إلى ذلك، يعتبر التفاعل مع الآخرين والتعامل معهم جزءاً أساسياً من نمو الفرد وتطوره الشخصي.

بالنظر إلى هذه الواقعية الاجتماعية، يمكن القول بثقة إن الإنسان لا يمكنه العيش بمفرده بدون التفاعل مع الآخرين والاعتماد عليهم في مختلف جوانب حياته، سواء كانت ذلك الاعتماد على الدعم

في فكر مالك بن نبي —————

---

الاجتماعي، أو العمل الجماعي لتحقيق الأهداف، أو حتى مشاركة الخبرات والمعارف لتعزيز التفاعل الثقافي

والتعلم.

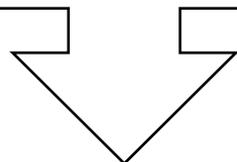
### الخلاصة:

إذا كانت المسؤولية الاجتماعية تعني الالتزام والتفاعل الإيجابي للفرد أو المؤسسة مع المجتمع والبيئة التي يعيش فيها، بهدف تحقيق التنمية المستدامة والعدالة الاجتماعية، وتحمل الفرد أو المؤسسة للعواقب الاجتماعية والبيئية لقراراتهم وأفعالهم، والسعي لتحقيق التوازن بين مصالحهم الشخصية أو الاقتصادية ومصالح المجتمع والبيئة.

كما تعتبر المسؤولية الاجتماعية مبدأً أساسياً في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، حيث يعتبر الفرد أو المؤسسة عنصراً فاعلاً في بناء المجتمع وتحقيق التنمية المستدامة، وتعتبر أيضاً مصدراً للتنمية الشخصية والمؤسسية، حيث يعزز الالتزام بالمسؤولية الاجتماعية سمعة الفرد أو المؤسسة ويساهم في تحقيق النجاح الاقتصادي على المدى الطويل.

مالك بن نبي يعتبر المسؤولية الاجتماعية مجموعة من الواجبات يقدمها الأفراد باعتبارهم ينتمون للمجتمع ويكونون بالولاء له، ويعتبرون هذه الواجبات من نيل حقوقهم، باعتبار أن الحقوق هي ثمرة أداء هذه الواجبات

# الفصل السادس



قيمة الفعالية

الاجتماعية

في فكر مالك بن نبي

في فكر مالك بن نبي -

---

تمهيد:

في تشخيصه لواقع العالم الاسلامي لاحظ مالك بن نبي العجز الذي أصاب الأمة الإسلامية وعدم قدراتها على انجاح مشاريعها التنموية المختلفة ؛ وكان هذا الفشل مس كل القطاعات: الاجتماعية، الاقتصادية والتربوية، مما جعلها تعيش بعيدا عن الحضارة أو اللاحضارة، والتبعية للآخر مما أثر على سيادتها.

هذه الملاحظة جعلته يهتم بمشكلة الفعالية التي تعاني منها معظم الدول العربية والاسلامية، التي أفقدتها القدرة على النهوض والحق بالركب الحضاري، لدرجة أصبحت تعاني من الاستحالة على توفير أبسط متطلبات الحياة اليومية للمواطن.

أولاً: الفعالية الاجتماعية:

"الفعالية الاجتماعية" هي مصطلح يشير إلى قدرة الفرد على التفاعل مع واقعه الاجتماعي ومشاركة الآخرين في نشاطهم اليوم بطريقة إيجابية، ويمكن أن تعتبر مجموعة المهارات الحياتية والسلوكيات التي يستخدمها الشخص للتفاعل مع الآخرين والمشاركة في العلاقات الاجتماعية بشكل صحيح وبناء فعالية اجتماعية.

كما يمكن أن تشير الفعالية إلى الكفاءة في أداء العمل "فالكفاءة أو الفعالية التي يوصف بها فعل معين، تعكس استخدام أكثر الوسائل قدرة على تحقيق هدف محدد، ولا تمثل خاصية فطرية في أي فعل من الأفعال، بل تتحدد عن طريق العلاقة بين الوسائل المتعددة والأهداف وفقاً لترتيب أولوياتها"<sup>1</sup>؛ الكفاءة أو الفعالية تعكس قدرة المجتمع وأفراده على تحقيق الأهداف المخطط لها بشكل فعال باستخدام أقل قدر من الوسائل الممكنة.

لهذا الكفاءة لا تعتبر خاصية فطرية في الفعل نفسه، بل تعتمد على كيفية تنظيم واستخدام الموارد المتاحة : علمية /فكرية، موارد طبيعية وعلاقات اجتماعية، كما تتعلق أيضاً بفهم كيفية استراتيجية إنجاز الأهداف بشكل أمثل، وهي تتطلب التحلي بالفهم والتنظيم والتخطيط.

لكن هناك من يرى بأن الفعالية ليست الكفاءة فهناك فروقاً بينها لأن "مفهوم الفعالية يمكن أن يكون أوسع وأشمل من مفهوم الكفاءة، لأن فعالية المنظمة —أو المؤسسة— تأخذ في الاعتبار العديد من العوامل الداخلية والخارجية...بينما مفهوم الكفاءة غالباً ما يركز فقط على العمليات الداخلية في

<sup>1</sup> بن نوار صالح، فعالية التنظيم في المؤسسات الصناعية، دار الفائر للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة 2010، ص 206.

## في فكر مالك بن نبي -

المنظمة"<sup>1</sup>؛ الفعالية والكفاءة هما مفاهيم مترابطة ولكنهما يمكن أن يكونا مختلفين في النطاق والتركيز؛ الكفاءة غالبًا ما تركز على القدرة على استخدام الموارد الداخلية بكفاءة وتحقيق أهداف محددة داخل المؤسسة باعتبارها نسق اجتماعي مثل ما يشير إليه تالكوت بارسونز وبالتالي يمكن أن نسقط هذا المجتمع، أما الفعالية، فهي تشمل النظرة الشاملة لأداء المجتمع لتحقيق أهدافه مع الأخذ بالاعتبار العوامل الداخلية والخارجية؛ تتضمن هذه العوامل سواء كانت تتعلق بالعوامل الفكرية والموارد البشرية التي يمتلكها المجتمع.

العلاقة بين الوسائل والأهداف تحدد مدى الفعالية في انجاز الأهداف، وقد يتطلب تحقيق أهداف معينة استخدام وسائل معينة بكفاءة أكبر من غيرها، يمكن لترتيب أولويات الأهداف أن يلعب دورًا هامًا في تحديد كيفية استخدام الوسائل بكفاءة، حيث يتعين تحديد الأولويات لتحقيق الفعالية القصوى في تحقيق الأهداف.

يقول جميل صليبا في تعريفه للفعالية: "أطلق هذا اللفظ في أوائل القرن الماضي على من قسم من أقسام علم النفس، فقبل الفعالية أو الحياة الفاعلة تشمل البحث في الظواهر النفسية المتعلقة بالنزعات، والغرائز، والعادات، والإرادات، ثم أطلق بعد ذلك على كل عملية عقلية أو بيولوجية متوقفة على استخدام طاقة الكائن الحي، أو على كل عملية عقلية أو حركية تمتاز بالتلقائية أكثر منها بالاستجابة"<sup>2</sup>؛ فالفعالية إذا هي الحياة الفاعلة وبالتالي هي كل ناشط فاعل أو فعل يسعى الى تغيير الواقع، فهي عمل متعد الى التأثير في غيره يسعى الى التغيير في العالم الخارجي من أجل تحقيق هدف مخطط له مسبقا، وبالتالي فهي مجموعة من الأنشطة العقلية أو السلوكية التي تتميز بأنها لها القدرة الايجابية على تحقيق ما يصبو الفرد وبشكل تلقائي

<sup>1</sup> بن نوار صالح، فعالية التنظيم في المؤسسات الصناعية، مرجع سابق، ص 206.

<sup>2</sup> صليبا جميل، المعجم الفلسفي ج 2 (بيروت: دار الكتاب اللبناني، بيروت 1982)، 152.

## في فكر مالك بن نبي -

أما ابراهيم مذكور فيقول انها: "وصف لكل ما هو فاعل، وكل ماله له القدرة على الفعل"<sup>1</sup>، ولهذا فهي تشير إلى كل الأنشطة الحيوية والنشاطات الذهنية التي يقوم بها الإنسان وتحدث أثرا في الحياة اليومية، كما يمكن أن تشمل هذه الأنشطة العمليات النفسية مثل النزعات والغرائز والعادات والإرادات، وتمتاز بالتلقائية في الكثير من الأحيان، أي أنها تحدث بطريقة لاشعورية مستندة إلى اجتهادات إرادية معينة لدى الإنسان.

لهذا يمكن القول أن الفعالية تحدد بمؤشرات ميدانية يمكن قياسها، من خلال قدرة المجتمع على تحقيق النجاح في انجاز النهوض الحضاري، وتوفير الظروف الملائمة لأفراده في حياة كريمة، بحيث يصبح هذا النشاط يلازم حركة المجتمع بشكل عفوي لا تكلف في انجازه، لأنها تؤثر في نفسية أفراد المجتمع وتصبح صفة ملازمة لنشاطهم اليومي.

### 1 - التفسير النظري للفعالية:

لقد شكل الفعل الانساني من حيث سلبيته وإيجابيته أو قدرته على الانجاز موضوعا للنظر فيه من طرف العلماء المفكرين، ومحاولة فهمه وتفسيره ، ولذلك توجيه سلوك الفرد نحو العمل الايجابي القادر على التأثير والتغيير.

<sup>1</sup>مذكور ابراهيم، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة للشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1983، ص 139.

## في فكر مالك بن نبي -

### 1-1: المنظور الغربي (نظرية ألبرت باندورا)\* :

تسلط الضوء على دور الشعور بالكفاءة الشخصية في الدافع والرفاهية والإنجازات البشرية. يتأثر هذا الشعور بتجارب السيطرة الفعلية، والتجارب البديلة، والإقناع اللفظي، والحالة الفسيولوجية والعاطفية، بالإضافة إلى البيئة الاجتماعية. يؤكد باندورا أيضًا على أهمية التعلم الاجتماعي والرمزية والعمليات الحاكمة ذاتيًا، يؤثر الشعور بالكفاءة الشخصية على تطوير المهارات المعرفية للطلاب والكفاءة المدرسية الجماعية. تتميز المدارس الفعالة بقيادة قوية، ومعايير مرتفعة، وتوجيه التعليم نحو الاحتراف، وإدارة جيدة للسلوك في الصف، ومشاركة الآباء.

يرى ألبرت باندورا أن "الأداء الفعال يتطلب مهارات واعتقادات في الكفاءة لاستخدامها بشكل جيد، فالأشخاص المختلفون الذين يمتلكون نفس المهارات، أو نفس الشخص في ظروف مختلفة، يمكن أن يحصلوا على أداء ضعيف أو جيد أو ملحوظ، وفقًا لتغيرات معتقداتهم في الكفاءة الشخصية، بالطبع يؤثر المستوى الابتدائي للمهارات على الأداء المحقق، ولكن تأثيره يعتمد بشكل كبير على الاعتقادات في الكفاءة الشخصية"<sup>1</sup>، حسب باندورا أن الفعالية الناجحة لا تتطلب مهارات تقنية أو قدرات عقلية وجسدية وحدها، بل تتطلب بالإضافة لهذا اعتقادات الفرد في ما يملك من قدرات وكفاءة في استخدام هذه المهارات بشكل فعال وإيجابي، ولهذا حسب باندورا يمكن لنفس الفرد وبنفس المهارات والقدرات يحقق أداء مختلف عن الآخر، وهذا راجع لمدى إيمانه بكفاءته وقدرته على تحقيق النجاح.

---

\* البروفيسور ألبرت باندورا، عالم نفس وأستاذ جامعي أمريكي معروف بأعماله في علم النفس. وُلد في عام 1925 وهو واحد من أبرز علماء النفس في القرن العشرين والقرن الحادي والعشرين. ويعتبر باندورا واحدًا من رواد علم النفس الاجتماعي وقدم العديد من النظريات والمفاهيم المهمة التي أثرت في فهم السلوك البشري والتعلم.

<sup>1</sup> Jacques Lecomte, "Les applications du sentiment d'efficacité personnelle", Savoie, 2004, 59/90.

## في فكر مالك بن نبي -

1-2: المنظور الاسلامي (الطيب برغوت/ ماجد الكيلاني):

يعرف الطيب برغوث الفعالية بأنها: "القدرة على التأثير في الأفكار والأشخاص والأشياء والعلاقات والأحداث، وحسن الاستفادة من ذلك كله في دعم عملية التغيير الثقافي والاصلاح الاجتماعي، والتجديد الحضاري؛ من خلال تحقيق المزيد من الأصالة والفاعلية والتكاملية والاستمرارية في حركة الفهم والالتزام والدعوة والبناء والمواجهة أو المدافعة الوقائية"<sup>1</sup>، الفعالية هي قدرة الأشخاص والأشياء والأفكار في التأثير المتبادل بينهما وفي العلاقات التي تحكمهم وما ينتج من ذلك من أحداث.

هذه القدرة التأثيرية التي تؤدي إلى أحداث عمليات التغيير الثقافي والاجتماعي والمساهمة في عملية التحضر والتي يُستفاد منها في عملية البناء الحضاري من خلال :

الفعالية الفكرية للمجتمع: الأفكار هي المحرك والمؤثر لعملية التغيير الاجتماعي؛ ولهذا يجب أن تكون ذا فعالية إنجازية تنطلق من أصالة المجتمع وتساهم في عملية البناء الحضاري وتحضر الأفراد، وذلك عن طريق تحرير العقل والثقافة من الخرافة والوهم، وغرس بديل عنها السنتية العقلانية الابداعية التي تعمل على المنهج التكاملي في رصد ودراسة وفهم الظواهر الحضارية والكونية المختلفة

الفعالية الروحية للمجتمع: يعتبر الجانب الروحي مهم في شحذ الهمم والأنفس نحو الفعالية، كما توجه الفرد والمجتمع دائما نحو الاحسان في العمل.

الفعالية السلوكية للمجتمع: يشير الطيب برغوث هنا الى قضية توجيه الأفراد نحو الانضباط والجدية والسماحة والإحسان والجمالية والمنطق العملي، والتوازن والتكامل في أداء الواجبات والعقلانية في تحصيل الحقوق والمنافع الذاتية والمصالح الشخصية، وذلك عبر تفعيل المناهج التربوية في صناعة الشخصية الفردية.

<sup>1</sup> برغوث الطيب، سلطة المنهج في الحركة النبوية (المحمدية/ الجزائر: دار النعمان للطباعة والنشر، المحمدية 2019، ص113.

## في فكر مالك بن نبي -

الفعالية الاجتماعية للمجتمع: تتحقق الفعالية لدى المجتمع بتعبئة الطاقات والجهود وكل الأنشطة في حركيته الاجتماعية، وذلك بشكل متكامل وبنائي تراكمي، صحيح، يعني ذلك أن الأفراد والمجتمعات يعملون معاً في اتجاه واحد وبتنسيق متكامل بين أفرادهم ومؤسساتهم لتحقيق أهداف مشتركة لتطوير البنية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، من أجل التقدم والازدهار المستدام.

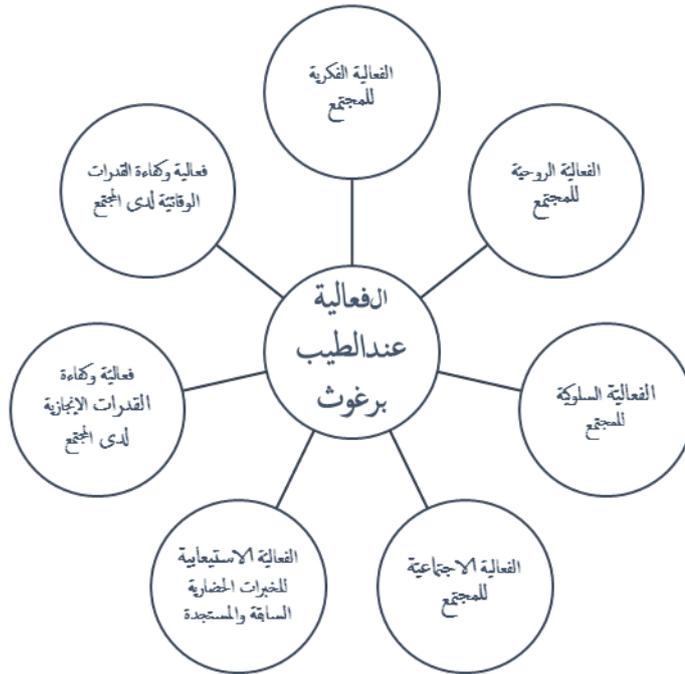
شحن الفعالية الاستيعابية للخبرات الحضارية السابقة والمستجدة: انفتاح المجتمع على كل الخبرات الحضارية على مر التاريخ، ومحاولة فهم منطقتها والاستفادة من إنجازاتها الذي لا يتعارض مع قيم المجتمع يعتبر تعزيز لفعالية المجتمع باعتبار ذلك ميراث انساني مشترك.

شحن فعالية وكفاءة القدرات الإنجازية لدى المجتمع: الاستثمار في المورد البشري بعقلانية يعطي دفع للفعالية الإنجازية للمجتمع، لما في ذلك من الاستفادة من كفاءة وقدرات اطارات المجتمع.

شحن فعالية وكفاءة القدرات الوقائية لدى المجتمع: لا بد أن يكون هناك رصد للتطورات والمستجدات التي تمكن المجتمع وقاية فعاليته الإنجازية من خلال توطين ثقافة الرصد والمتابعة والاستقصاء<sup>1</sup>

<sup>1</sup> برغوث الطيب، النهضة الحضارية ومركزية شرط الوعي الحضاري فيها (الجزائر: شركة الأصالة للنشر، 2018)، 45.

في فكر مالك بن نبي -



شكل رقم 26: الفعالية عند الطيب برغوث

أما ماجد عرسان الكيلاني فيرى أن الفعالية هي: "العمل على بلوغ أعلى درجات الإنجاز وتحقيق أفضل النتائج"<sup>1</sup>؛ أي أنه ينظر للفاعلية من حيث فائض القيمة بين المدخلات والمخرجات بين الجهد المبذول والنتائج عن العمل، فإذا كانت أكبر من الجهد المبذول فهناك فاعلية في الإنجاز.

كما اعتبرها مصطلح فضفاض تختلف معانيه باختلاف الموضوعات والتخصصات:

في ميدان السياسة: قد تعني النسبة بين المخرجات السياسية الحاصلة وبين المدخلات المبذولة، أي أن النتائج المتحصل في أي نشاط سياسي أن تكون في الجهود المبذولة.

في ميدان الاقتصاد: تشير الفاعلية بشكل عام إلى نسبتين اثنتين: الأولى تتعلق بنجاح المؤسسات الاقتصادية في إنتاج ما يُمكن إنتاجه من المخرجات الحاصلة من مدخلات معينة، والثانية تتعلق بنجاح هذه

<sup>1</sup> الكيلاني ماجد عرسان، التربية والتجديد وتنمية الفعالية عند العربي المعاصر، دار القلم للنشر والاشهار، دبي، 2005، ص21.

## في فكر مالك بن نبي -

المؤسسات في التعامل بمرونة من خلال تكييف عملياتها الانتاجية طبقا لأسعار السوق وحاجاته السائدة في ضوء أسعار المدخلات.

في ميدان العسكرية: تشير الفعالية إلى تحقيق أعلى درجات النصر الميداني بأقل التكاليف سواء كانت بشرية أو مادية وحتى سياسية<sup>1</sup>

### 2- التفسير النظري للأخلاق:

تشكل الأخلاق مجموعة من النظم القيمية توجه أسلوب حياة الفرد والحياة الاجتماعية بصفة عامة، ويعتبر الركن الأساسي في الوجود الاجتماعي للإنسان، ولهذا يرى كل المهتمين بالأخلاق والحياة الاجتماعية أن المجتمعات لا تستقيم حياتها دون مجموعة من القيم الأخلاقية تنظم العلاقات بين الأفراد

تعدد المقاربات النظرية المفسرة للأخلاق بتعدد الحقول المعرفية، بالرغم أن هناك وجهات نظر متقاربة في كون الأخلاق هي الموجهة للسلوك الانساني في تفاعلاته الاجتماعية.

### 2-1- التفسير الفلسفي:

يعتبر مبحث الأخلاق من المباحث الأساسية في الفلسفة منذ القدم، فقد اهتم الفلاسفة بعلم الأخلاق وحاولوا تفسيرها باعتبارها مطلب في حد ذاتها للحياة الاجتماعية.

### 2-1-1- الأخلاق في الفكر اليوناني:

تتحور الفكر اليوناني في تفسيره للأخلاق باعتبارها مصدر السعادة واللذة عند الإنسان أو تحقيق الخير والفضيلة، وقد كان السوفسطائيون الأوائل الذين أقروا بأن غاية الأفعال الأخلاقية هو اللذة الحسية،

<sup>1</sup>لكيلاني ماجد عرسان، التربية والتجديد وتنمية الفعالية عند العربي المعاصر، مرجع سابق، ص 22.

## في فكر مالك بن نبي -

أما سقراط فقد ذهب الى اعتبار أن تحقيق الخير هو العمل الأخلاقي وهو الغاية الأولى التي ينشدها الإنسان دائماً، أما تلميذه أرسطوس فكان يرى أن البحث في السعادة أو الخير بداية علم الأخلاق وغايته، وأن الخير الذي كان يقصده سقراط لن تحصل عليه إلا في اللذة، واللذة هي الخير المطلق<sup>1</sup>، والخير الأخلاقي عند أرسطوس ينحصر في اللذة الحاضرة التي يحصل عليها الفرد.

أما أفلاطون فقد كان يرى أن اللذة وسيلة من وسائل الوصول الى الخير وبالتالي فليست هي الخير، فالإنسان عندما يجوع يأكل وتنتهي لذته بالشبع، أما أرسطو في دراسته لطبيعة اللذة يرى أن اللذة لا يمكن أن نعدّها خيراً في ذاتها، لأن هناك أشياء كثيرة خيرة غير مصحوبة باللذة، لأنها ليست غاية في حد ذاتها، كما أنها ليست الخير كلها<sup>2</sup>، فهو كان يرى أن السعادة هي الخير ومطلب كل فعل أخلاقي.

### 2-1-2 الأخلاق في الفلسفة الغربية الحديثة:

يعتبر كانط رائد الفلسفة الأخلاقية في الفلسفة الغربية الحديثة، والأخلاق عنده تتمحور حول ما يعرف باسم "الواجب المطلق"، حيث يعتقد كانط أن الأخلاق تتطلب الامتثال لواجباتنا الأخلاقية، وهذه الواجبات تأتي من قوانين أخلاقية مطلقة لا تعتمد على الظروف الخاصة بالحالة أو عواطف الفرد.

الأخلاق عند كانط لا تستمد قوانينها من الطبيعة الانسانية كما يرى الفلاسفة اليونانيون، ولا من عادات الناس، بل من العقل مباشرة؛ لأنها في حقيقتها شأنها من شأن حقيقة العلم، لا يمكن أن

<sup>1</sup> عبد العال عبد الرحمان عبد العال، دراسات في الفكر الفلسفي الأخلاقي عند فلاسفة اليونان: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، 2003، ص 12.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 25.

## في فكر مالك بن نبي -

نستخلص إلّا من الشكل المحض للعقل، وهي نابعة من الإرادة الخيرة له، التي تبحث عن الواجب المراد لذاته<sup>1</sup>

تحدث كانط عن مفهوم الإرادة الحرة ودورها في الأخلاق، ويرى أن الفرد يجب أن يعمل وفقاً لواجبه الأخلاقي، وليس بناءً على رغباته الشخصية، يجب على الفرد أن يكون قادرًا على التمييز بين الصواب والخطأ والعمل وفقاً للقيم الأخلاقية المطلقة، بغض النظر عن نتائج أفعاله أو العواقب المحتملة.

بشكل عام، يركز كانط على أهمية الأخلاق في تحقيق التوازن والعدالة في المجتمع، ويعتبر الامتثال للواجبات الأخلاقية العامة واجبًا مطلقًا يجب على الجميع احترامه واتباعه.

### 2-1-3 الأخلاق في الفلسفة الإسلامية

في الفلسفة الإسلامية، تُعتبر الأخلاق جزءًا أساسيًا من الدين والحياة اليومية، حيث تهدف إلى توجيه الفرد في تصرفاته وسلوكه بما يتماشى مع تعاليم الإسلام وقيمه، حيث تأخذ شكلاً شاملاً من الواجبات يشمل الواجب بين الإنسان والله، ثم يشمل الواجبات في العلاقات الاجتماعية والتعامل مع الآخرين والسلوك الشخصي.

بالإضافة إلى ذلك، يعتمد نظام الأخلاق في الفلسفة الإسلامية على مصادر متعددة، بما في ذلك القرآن الكريم والسنة النبوية بالإضافة إلى التراث الفكري للعلماء والفلاسفة الإسلاميين الذين وضعوا نظريات وأسسًا أخلاقية.

ومن بين العلماء المفكرين الذين تكلموا في الأخلاق الفارابي وابن سينا وابن حزم الأندلسي

<sup>1</sup> بدوي عبد الرحمان، الأخلاق عند كنت ، وكالة المطبوعات، الكويت 1979، ص33.

## في فكر مالك بن نبي -

تتضمن قيم ومبادئ الأخلاق في الفلسفة الإسلامية مفاهيم مثل العدل والرحمة والصدق والإخلاص والعفة والتواضع وحسن التعامل مع الآخرين. كما تحث على الاعتدال وتجنب الغلو والتطرف في جميع الأمور.

بشكل عام، تسعى الأخلاق في الفلسفة الإسلامية إلى تحقيق التوازن والسلام الداخلي للفرد والمجتمع، وتعزيز قيم العدل والإنسانية والتعاون بين الناس في سبيل بناء مجتمع متقدم ومزدهر.

### ثانياً: الفعالية الاجتماعية عند مالك بن نبي:

يرى مالك بن نبي أن الحديث عن تحضر الإنسان وقدرته على المساهمة في بناء حضارة باعتباره المؤثر في حركة مجتمعه، بفعاليته الإنجازية من خلال ثقافته، وعمله وماله " ويؤثر الإنسان في حركة المجتمع بفكره، وبيده (عمله)، وبماله، ومن هنا فإننا بإزاء ثلاث مسائل متعلقة بالإنسان، وهي: الحاجة إلى العناية بفكر الإنسان (ثقافته)، والعناية بتوجيه عمله ليحقق الفعالية القصوى، والعناية بماله ليدخل في استثمار اجتماعي منتج"

ركز مالك بن نبي على أهمية تحقيق التغيير الاجتماعي من خلال الحفاظ على القيم الثقافية الأصلية للمجتمع ودمجها بالتطورات الحديثة؛ لأن هذا ما يحقق الفعالية الاجتماعية للمجتمع من خلال العمل المشترك لأفراده.

رؤية مالك بن نبي للفعالية الاجتماعية تركزت على ضرورة تطوير المجتمعات من الداخل، وتحفيز الأفراد على المشاركة الفعالة في بناء مجتمعهم باحترام هويته وقيمه الخاصة، كما ركز على أهمية التوازن بين التقدم والحفاظ على الهوية الثقافية والاجتماعي إلى ضرورة توافق التطور مع الثقافة والقيم الأصيلة لضمان

## في فكر مالك بن نبي -

استدامة التغيير الاجتماعي والتطور، فالعمليات التي تسمى بالتطور تفرز فجوات ثقافية، ولهذا يرى مالك أن سدّها لا يمكن أن يكون إلا عبر التوافق مع القيم الأصيلة للمجتمع.

كما أن رؤيته تركزت على الفعل التربوي الذي ينبغي أن يكون مشروع يصيغ شخصية الفرد ضمن مرجعيته الوطنية ستكون الموجه لمواقفه وسلوكاته، ولهذا كان يقول: "أن نموذج الإنسان الفعال لا يتحقق إلا بمشروع تربوي نستلهم فيه ثقافة المجتمع باعتبارها الإطار المرجعي الأساسي للمجتمع"<sup>1</sup>، أي لا بد من عمل يركز على توجيه ثقافي للفرد يغير في أسلوب تفكيره وتعامله مع الأفكار والأشياء، أي لا بد من نظرية توجيهية تؤثر في نفسيته وتغيّر بعد من قناعاته نحو العمل والفعالية الإنجازية، التي هي مشترك انساني تتحكم فيه سنن كونية من تعلمها وعمل بها كان بمقدوره النجاح.

### 1- التوجيه الثقافي:

الثقافة عند مالك بن نبي ليس نظرية في المعرفة بل هي نظرية في السلوك، وبالتالي فهي التي تحدد سلوك الفرد في المجتمع، وهي التي تحدد أسلوب الحياة في المجتمع حيث يتحقق الانسجام بين سلوك الأفراد وأسلوب الحياة في المجتمع، وتنشأ رقابة بين الطرفين، رقابة طبيعية إذا أختل سلوك الأفراد تنشأ ردود الأفعال في أسلوب الحياة لإيقاف الانحراف أو الخطأ في السلوك والعكس بالعكس"<sup>2</sup>.

وباعتبار أن الثقافة هي التي تحدد أسلوب الحياة للمجتمع والأفراد، فقد اعتمد مالك بن نبي في تحديد مفهوم الثقافة على منهجين: منهج التحليل النفسي للثقافة، ومنهج التركيب النفسي للثقافة، وأراد من خلال التحليل النفسي للثقافة، والذي سبقه بتحليل تاريخي لتطور مفهوم الثقافة الوصول الى أن

<sup>1</sup>مالك بن نبي، مرجع سابق، ص 24.

<sup>2</sup>مالك بن نبي، مرجع سابق، ص 103.

## في فكر مالك بن نبي -

الثقافة هي خاصية مجتمعية، أي أن لكل مجتمع ثقافة خاصة به، وهاته القناعة عنده هي التي بقي يؤكد عليها باستمرار في جميع كتبه.

ويؤكد بن نبي أن الثقافة تنتج محليًا ولا تستورد، حيث أعتبرها بنت بيئتها، أي أنها نتاج أفكار المجتمع، وبالتالي فهي تعبر على الحالة النفسية لأفراد المجتمع، وعن واقعهم الاجتماعي.

أما التركيب النفسي للثقافة فقد أراد مالك بن نبي من خلاله الإجابة على سؤال كيف يكون للثقافة معنى وانعكاسا في حياتنا أو أسلوب حياتنا؟، باعتبارها تدل على مختلف الوسائل التي توجه الفرد داخل مجتمعه من أجل السيطرة والتحكم على ذاته من خلال توجيه طاقاته الحيوية، والسيطرة والتحكم على عناصر الطبيعة التي سخرها الله له لخدمته وتوجيها توجيهها عقلائي

تشكل الثقافة عند مالك بن نبي من العناصر التالية:

➤ التوجيه الأخلاقي

➤ الذوق الجمالي

➤ المنطق العملي

➤ التوجيه الفني أو الصناعي

حيث أن مالك بن نبي يعرف الثقافة\* بأنها "تركيب متألف للأخلاق والجمال والمنطق العملي،

والفن الصياغي"<sup>1</sup>.

\* تم تعريف الثقافة في فصل التربية الاجتماعية عند مالك بن نبي  
<sup>1</sup> مالك بن نبي، مرجع سابق، ص 89.

## في فكر مالك بن نبي -

### 1-1- التوجيه الأخلاقي:

يتحدث مالك بن نبي عن الدستور الأخلاقي للمجتمع، ويعبر عن ذلك بالتوجيه، أي الدستور الذي يوجه سلوكيات أفراد المجتمع أخلاقياً، تحدث على هذا التوجيه الأخلاقي في كتابه "شروط النهضة" أولاً، و"مشكلة الثقافة" و"تأملات"، وبين الرشاد والتهيه، الملاحظ أن ما نشره في كتاب شروط أعاده حرفياً في كتاب مشكلة الثقافة وذلك لأهمية التوجيه الأخلاقي كعنصر من عناصر الثقافة في العيش المشترك والتحضر للأفراد، أما في كتابه تأملات فقد عبر عن التوجيه الأخلاقي بالمبدأ الأخلاقي، وفي كتابه بين بين الرشاد والتهيه فقد عبر عنه بربط الثقافة بالسياسة وسماء الثقافة والسياسة.

ان المقصود بالتوجيه الأخلاقي عند مالك بن نبي كما عبر عنه هو في كتابي شروط النهضة ومشكلة الثقافة هو الأخلاق التي تنظم العلاقات داخل المجتمع ولهذا يقول:

" لسنا هنا نهتم بالأخلاق من الزاوية الفلسفية، ولكن من الناحية الاجتماعية، وليس المقصود هنا تشريح مبادئ خلقية، بل أن نحدد (قوة التماسك) الضرورية للأفراد في مجتمع يريد تكوين وحدة تاريخية، هذه القوة مرتبطة في أصلها بغريزة (الحياة في جماعة) عند الفرد، والتي تتيح له تكوين القبيلة والعشيرة والمدنية والأمة، وتستخدم القبائل الموغلة في البداوة هذه الغريزة لكي تتجمع، والمجتمع الذي يتجمع لتكوين حضارة، فإنه يستخدم الغريزة نفسها، ولكنه يهذبها ويوظفها بروح خلقية سامية<sup>1</sup>، فالتوجيه الأخلاقي إذا هو قدرة الأخلاق وقوتها في تحديد الهدف، واستخدام غريزة الحياة الجماعة في بناء وتكوين الحضارة، التي تجعل المجتمع يشكل وحدة تاريخية عن طريق التماسك الداخلي الذي هو قوة ديناميكية تحرك المجتمعات نحو التطور.

<sup>1</sup> مالك بن نبي، شروط النهضة، ص 88.

## في فكر مالك بن نبي -

فاذا كانت المجتمعات البدائية تستعمل غريزة الاجتماع لتحقيق البقاء، فالمجتمعات الراقية في بناء وتكوين حضارة تستخدم نفس الغريزة ولكن مع تهذيب هذه الغريزة وضبطها بقيم أخلاقية، ولكن لم يهتم مالك بن نبي بالأخلاق من الزاوية الفلسفية أو ما يسمى عند الفلاسفة بالأخلاق النظرية، لكن اهتمامه كان مركز على الأخلاق من الناحية الاجتماعية باعتبارها موجهة لسلوك الافراد داخل المجتمع؛ حيث أراد تشريح المبادئ الأخلاقية المشكلة والموجهة للأفراد في تفاعلاتهم الاجتماعية اليومية، التي تعطي الفعالية اللازمة لبناء المجتمع المتحضر.

المجتمع الذي يخرج من نطاق البداوة الى نطاق الحضارة، لابد له من نظام أخلاقي ينظم الحياة اليومية والطاقات الحيوية لأفراده وهذا لن يكون إلا عن طريق العمل التربوي؛ ولا يكفي بهذا بل يتعداه الى اعطاء الحركية اللازمة لأفراده لبناء شبكة من العلاقات الاجتماعية التي تسمح لأفراده التعايش معا من جهة، وبناء نظام اجتماعي حضاري يسمح للتكفل بهم واعطاء الضمانات اللازمة لهم لتحقيق الحركية التاريخية.

سبق وتم تعريف التوجيه عند مالك بن نبي بأنه: " قوة في الأساس وتوافق في السير ووحدة في الهدف، ... وهو تجنب الاسراف في الجهد وفي الوقت"، المجتمع تكمن قوته الأساسية في الوحدة، فغريزة الحياة في جماعة تحتاج الى توحيد الهدف، لأن الاختلاف في الأهداف هو تشتت للجهود وبالتالي نقص في الفعالية، وهو بذلك يلتق مع تعريف ماجد عرسان الكيلاني الذي يرى في الفعالية هو فائض القيمة التي تكون الفارق بين المدخلات (الجهد والوقت) والمخرجات.

كما تحتاج الحياة الاجتماعية التوافق في السير أي في المبادئ والخطوات التي يخطوها المجتمع في بناء حضارته، المجتمع وهاته الخطوات، لا بد أن تربطها قيم ومبادئ خلقية حتى تصل للهدف المشترك.

## في فكر مالك بن نبي -

فالانسجام بين أفراد المجتمع وعالمي الأفكار والأشياء، يعني هذا انسجام وانتظام في حركة المجتمع نحو هدف مشترك، والقدرة على إدارة ملايين السواعد والعقول المفكرة، واستغلال أمثل للأشياء المنتجة والتي يملكها المجتمع، وهذا ما يوفر على المجتمع الجهد والوقت.

وفي كتابه تأملات تكلم عن المبدأ الأخلاقي في توطيد الصلات الثقافية هاته الصلات التي هي أساس الحياة في جماعة أو العيش المشترك، حيث يؤكد مالك بن نبي: "ولما كانت شبكة الصلات الثقافية عبارة عن العلاقات الشخصية في مستوى معين، فإن هذه الشبكة لا يمكنها أن تتكون دون مبدأ أخلاقي، وهذا الجانب من القضية قد أصبح واضحاً الآن، فإن شبكة الصلات الثقافية تختل حتماً في بلد ما، إذا اختل فيه المبدأ الأخلاقي"<sup>1</sup>.

فالاختلال في المبدأ الأخلاقي يؤثر حتماً في شبكة الصلات الثقافية، وبالتالي يؤثر في نظام الحياة الاجتماعية، فالمبدأ الأخلاقي يقوم بضبط بناء عالم الأشخاص، والصلات الاجتماعية الموجودة في المجتمع هي في أصلها صلات ثقافية، لأن الثقافة هي التي تحدد أسلوب حياة الأفراد وحياة المجتمع، والعيش المشترك يقتضي أن يكون هناك ضبط اجتماعي للعلاقات الاجتماعية، والمبدأ الأخلاقي هو أول ضابط لهاته العلاقات على جميع مستوياتها.

أما في كتابه بين الرشاد والتهيه فتكلم عن الأخلاق والسياسة، ويقر بأنه "إذا كان العلم بدون ضمير ما هو الاخراب للروح، فالسياسة دون أخلاق ماهي إلا خراب الأمة"<sup>2</sup>، فالصراع الطبقي الموجه في الدول التي تنتمي إلى العالم الثالث، ما هو الا صراع مصلحي، فمالك بن نبي يرى في ذلك البرجوازي

<sup>1</sup>مالك بن نبي، تأملات، مرجع سابق، ص 148.

<sup>2</sup>مالك بن نبي، بين الرشاد والتهيه، مرجع سابق، ص 80.

## في فكر مالك بن نبي -

باحث عن زيادة وغماء خزائنه، والأخر يبحث عن خبز لإشباع بطنه، والاثنان يسعيان للوصول للسلطة، بعيداً عن المبدأ الأخلاقي.

مالك بن نبي يسلط الضوء على الأهمية الكبيرة للأخلاق في المجال السياسي ودورها الحاسم في صحة الأمم واستقرارها، حيث يرى أن السياسة إذا لم تكن مبنية على القيم الأخلاقية والمبادئ الأخلاقية السامية، فإنها قد تؤدي إلى تدهور الأمم وفسادها مثلما يؤدي العلم الخالي من الضمير والأخلاقية إلى الضرر بالروح والإنسانية.

يرى مالك بن نبي أن العامل الأخلاقي هو المحرك الأساسي لأي مجتمع، وأهم ما يجب أن يكون مرتبط بالأخلاق هو العمل السياسي باعتباره هو المنشط لكل المجالات الأخرى؛ فالنظام التربوي تضعه السياسة، والنظام الاجتماعي تحدده السياسة، المجال الاقتصادي أيضاً تحدده السياسة، ولهذا لا بد أن تكون السياسة لها ارتباط مع المبادئ الأخلاقية الإنسانية؛ مثل العدالة الاجتماعية والحرية في إطار قيم المجتمع.

السياسة تمثل عاملاً مهماً في بناء المواطنة ولهذا لا بد لها من مبادئ أخلاقية تركز عليها، وعندما تكون مناقضة في جوهرها لأخلاق المجتمع فهي تعمل على إحداث القطيعة مع المجتمع؛ وهذا ما يؤدي إلى اضمحلال شبكة العلاقات الاجتماعية في علاقتها العمودية؛ أي الصلات بين أفراد المجتمع وسلطته السياسية أن السياسة حين تكون مناقضة في جوهرها للمبدأ الأخلاقي، فإنها تطرح لا قضية تحل بالقضاء ولكن بالسيف"<sup>1</sup>، السياسة عندما تنحرف عن المبادئ الأخلاقية، تصبح أحياناً مصدرًا للتوتر والصراعات بدلاً من أن تكون وسيلة لحل المشكلات، فعندما يُغفل السياسيون عن الأخلاق والقيم

<sup>1</sup> مالك بن نبي، بين الرشاد والتبعية، مرجع سابق، ص 80.

## في فكر مالك بن نبي -

في اتخاذ القرارات، قد يكون الحل الوحيد الذي يبدو متاحًا هو اللجوء إلى القوة أو العنف لاسترجاع الحقوق المهضومة بدل من اللجوء إلى القضاء.

إن المبادئ الأخلاقية التي تحكم العمل السياسي هي التي تعصم الأوطان من الانزلاقات والانحرافات سواء كانت فكرية أو انحرافات سلوكية مثل اللجوء إلى العنف في حل النزاعات والخلافات الموجودة بين الطبقة السياسية والسلطة الحاكمة.

فالأخلاق إذا قيمة من قيم المواطنة تؤسس للاستقرار والديمومة لبناء المجتمع والنهوض الحضاري وصناعة التاريخ، فلا يمكن أن نتحدث عن مواطنة أو تحضر في ظل القطيعة مع المبادئ الأخلاقية التي تحافظ على قوة ومكانة شبكة العلاقات الاجتماعية الضرورية للعيش المشترك.

ولهذا مالك بن نبي يتحدث عن مفهوم بناء إنسان فعال عندما يحاول الكشف عن التحول من الاقتصاد المادي إلى الاستدامة البشرية، من خلال التوجيه الأخلاقي الذي يحقق الفعالية الاجتماعية ولهذا يقول " يجب أولاً أن نصنع رجالاً يمشون في التاريخ، مستخدمين التراب والوقت والمواهب في بناء أهدافهم الكبرى"<sup>1</sup> أي أشخاص فعالين لا أشخاص مستهلكين للحضارة من خلال استيراد الأشياء

علاوة على ذلك، يسلط مالك بن نبي الضوء على أن الاستدامة البشرية هي نتيجة لا مفر منها لبناء إنسان فعال ومتخلق، كما يشدد على أن مفهوم الحضارة يتضمن بشكل أساسي مفهوم الاستدامة، ولكن استدامة بتوجيه أخلاقي، كذلك مالك بن نبي لم يغفل عنصر مهم في معادلة بناء الحضارة أو عملية النهوض الحضاري وهو عنصر الزمن

<sup>1</sup> مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 73.

## في فكر مالك بن نبي -

### 1-2- الذوق الجمالي:

يعتبر مالك بن نبي الجمال أو الذوق الجمالي من العناصر التي تدخل في تركيب الثقافة، لأن الذوق الجمالي هو من يوحى للأفراد بالأفكار " فالجمال الموجود في الإطار الذي يشتمل على ألوان وأصوات وروائح وحركات وأشكال، يوحى للإنسان بأفكاره ويطبّعها بطابعه الخاص، من الذوق الجميل، أو السماجة المستهجنة، فالذوق الجميل الذي ينطبع فيه فكر الفرد، يجد الإنسان في نفسه نزوعاً إلى الاحسان في العمل، وتوخياً للكريم من العادات"<sup>1</sup>.

فالجمال يعطي للنفس الراحة اللازمة التي تجعلها ذات فعالية إيجابية، وعندما يتحدث عن الجمال فالمقصود به جمال المحيط، أو البيئة المحيط بالإنسان، سواء ذلك كان جمال المكان، من حيث تناسق الألوان، ومن حيث النظافة فلا تنبعث منه الروائح الكريهة، وحتى الأصوات المنبعثة منه تكون ذات ذوق جمالي وليست أصوات نشاز تشمئز منها النفوس.

فالعيش المشترك يتطلب احترام الجميع للحياة المشتركة، وهذا الاحترام يكون عبر مراعات الذوق العام للجماعة المشتركة، والعمل بشكل جماعي لتحقيق ذلك " ونحن عندما نشاهد خرقاً في كساء أحد المتسولين، فيجب أن نشعر بوجود خرق في ثقافتنا، وعندما نسمع صوتاً ناشزاً، كضوضاء أبواق السيارات التي ترعد صاخبة في شوارعنا أحياناً، حتى لتكاد تمزق صماغ آذاننا، فيجب علينا أن نحس بوجود تمزق في ثقافتنا، وبانتهاك يتّم عن حمق أو عن وعي ضد أسلوب حياتنا ويتحد لسلوكتنا"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، مرجع سابق، ص 82.

<sup>2</sup> مالك بن نبي، القضايا الكبرى، مرجع سابق، ص 87.

## في فكر مالك بن نبي -

فالشكل الجميل، والمظهر الجميل، والصوت الجميل، كلها اجاءات ايجابية لصناعة خيال جميل، وإنتاج أفكار كبيرة فلا يمكن للقبح أن ينتج أو يوحي بالخيال الجميل، ولهذا كان لقيمة الجمال مكانة في فكر الفلاسفة، وتغنى به الشعراء منذ القدم، لقد كان الإنتاج الفلسفي حول غزير عند اليونانيين أو المسلمين وعند أصحاب الفكر الحديث، فمبحث الجمال مبحث أصيل في الفلسفة، والجمال هو استحسان الذوق، هذا الاستحسان الذي يؤثر في النفس البشرية، وفي الحياة الاجتماعية الجماعية.

فالمنظر القبيح والصوت المزعج الذي يمزق صماغ الآذان، يوحي بوجود خلل في ثقافتنا التي توجه سلوكيتنا اليومية وأسلوب حياتنا، وبالتالي هناك في ثقب في منهجنا التوبوي، فعندما تسير في الشارع وأنت تبحث عن سداد للآذان حتى لا تسمع تلك الكلمات المسيئة للآداب العامة من سب وشتم للذات الإلهية والأشخاص وحتى المؤسسات، وعندما تستيقظ في الصباح على منبهات أصوات السيّارات تعلم أن هناك شيئاً ما غير طبيعي في سلوكنا.

وعندما تسير في الطرقات وأنت ترى تلك المناظر البشعة سواء في التخطيطات العمرانية أو للرمي العشوائي للقمامة البشرية يمتلك الشعور بأن من فعل هذا لا يمتلك حس المواطنة؛ ذلك الحس الحضاري الذي يعط معنى للذوق الحسن.

" إن الجمال هو وجه الوطن في العالم، فلنحفظ وجهنا لكي نحفظ كرامتنا، ونفرض احترامنا على

جيراننا الذين ندين لهم بالاحترام نفسه"<sup>1</sup>.

فالجمال حسب بن نبي هو وجه الوطن في العالم، ولهذا يجب على أبناء الوطن اظهار الوجه الحسن لهذا الوطن، أمام العام، لأنه هو حالة انعكاسية لحالة الأفراد، وهو كرامتهم، ولهذا يجب المحافظة على كرامة

<sup>1</sup>مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، مرجع سابق، ص 84.

## في فكر مالك بن نبي -

الوطن لأنها كرامة أفرادها، والمحافظة على المنظر الجميل الحسن هو فرض للاحترام، فكما أن الجار المحافظ على كرامته واحترامه، من خلال المحافظة على جمال المحيط، فالوطن كذلك يجب المحافظة عليه لأن الكل يشترك فيه، ولا بد أن يعطوا له منظرا حسنا أمام بقية الأوطان.

ومالك بن نبي عندما تحدث عن الحضارة قال هي التي توفر لأفراد المجتمع العيش الكريم، وهذا العيش على اتصال مباشر بالذوق الجميل، هذا الذوق من المفروض أن يراه الأفراد في أنفسهم ومحيطهم، لا في بيوتهم فقط، فالمشتركون في العيش يشتركون في الشوارع والساحات والمرافق العامة، لهذا وجب المحافظة على المنظر الجميل الحسن الذي يرضي أذواق الجميع، ويعط صورة جميلة حسنة لدى الآخرين، فالجمال عند مالك بن نبي كما قال الأستاذ العربي مزراق\* هو الحسن ويقصد به هو الأمر الذي يستحسنه الانسان، هو التذوق في المنظر والشم والسمع، فكل ما يستحسنه الانسان بجواسه فذاك هو الجمال.

هذا الذوق الجمالي يريح الأنفس ويعطيها الفعالية الإنجازية فلا يمكن أن يكون الانسان فعال في محيط يشتم منه رائحة نتنة، ووسط أصوات مزعجة، ومناظر تشتمز منها النفوس تراها أينما تدير وجهك، وتوحي للنفس بشاعة الفعل الإنساني في تلويث الطبيعة، وسوء الفعل.

### 1-3- المنطق العملي:

لسنا نعني بالمنطق العملي ذلك الشيء الذي دونت أصوله ووضعت قواعده منذ أرسطو، وإنما نعني به كيفية ارتباط العمل بوسائله ومقاصده، وذلك حتى لا نستهل أو نستصعب شيئا دون مقياس، يستمد معاييرها من الوسط الاجتماعي وما يشتمل من إمكانيات"<sup>1</sup>

\* مقابلة مع الأستاذ العربي مزراق يوم 15 ماي 2023

<sup>1</sup> مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، مرجع سابق، 85.

## في فكر مالك بن نبي -

في حديثه عن المنطق العملي، لا يريد الحديث عنه بمنطق الفلاسفة الذي وُضعت أصوله منذ عهد أرسطو، ولكن يريد الحديث عن العمل من حيث ارتباطه بالوسائل والمقاصد، فالعمل هو أحد العناصر الأساسية للتغيير الاجتماعي، ولهذا لا بد أن يستمد معاييرها من الوسط الاجتماعي، من حيث معرفة الإمكانيات والوسائل المتاحة والتي يمكن توفيرها، ثم تحديد المقصد أو الغاية من العمل المراد في إنجازه، لتحقيق الفعالية الانتاجية.

كثيرا ما يقع بين الاستسهال والاستصعاب للعمل، وحتى لا يكون هذا يرى مالك بن نبي يجب تحديد الإمكانيات وتحديد الغايات أو المقاصد، والإمكانيات المقصود بها هي الإمكانيات البشرية والمادية، وعندما يتحدث عن الإمكانيات البشرية لا يقصد بها الكم، ولكن يقصد بها العنصر البشري المكون والمؤهل نفسيا وتقنيا للقيام بالعمل، ففشل العالم الألماني فاخت في تحقيق النهضة الاقتصادية الإندونيسية بعدما كان نجح في ألمانيا، لا يعود الى نقص في الموارد المادية والبشرية، بل لعدم تقدير جيد لقدرات الانسان الإندونيسي.

ان تحديد الإمكانيات والمقاصد هو لتحقيق الفعالية، لأن هناك جهودا تبذل ولكن دون فاعلية، نظرا لأنها عشوائية، فمالك بن نبي يرى بأنه لا بد أن يكون من القيم التي يحملها المجتمع هي منطق العمل، منطق الفعالية، وهذا ما أشار إليه صراحة في كتابه مجالس دمشق، وحتى في كتاب المسلم في عالم الاقتصاد في قوله: " نرى في الحضارة جانبيين: الجانب الذي يتضمن شروطها المعنوية، في صورة إرادة تحرك المجتمع

## في فكر مالك بن نبي -

نحو تحديد مهماته الاجتماعية والاضطلاع بها، والجانب الذي يتضمن شروطها المادية، في صورة إمكان، أي إنه يضع تحت تصرف المجتمع الوسائل الضرورية للقيام بمهامه، أي الوظيفة الحضارية<sup>1</sup>.

بهذه النظرة مالك بن نبي يرى أن الامكانيات الاجتماعية هي تدعم المنطق العملي وتبث فيه الفعالية اللازمة للبناء الحضاري، وكلما تحدث على هذه الامكانيات الاجتماعية يعطي مثال بألمانيا التي استطاعت في ظرف وجيز بعد خروجها من حربين عالميتين من النهوض الحضاري بفضل ما تملكه من طاقات اجتماعية، وثقافة المجتمع المبنية على المنطق العملي.

كما يرى بن نبي أنه لتحقيق التطور والحفاظ على الوطن واستمرارية وجوده الحضاري يجب أن يكون منطق العمل مبني العمل المشترك باعتباره هو المدرسة التي يتكون فيها الأفراد لمواجهة الظروف الطارئة التي يمكن أن تواجه المجتمع؛ حيث يقول " إن العمل المشترك هو بمثابة المدرسة التي تُكوّن الأفراد لمواجهة الظروف الاستثنائية كالتخلف"<sup>2</sup>.

والمنطق العملي عند مالك بن نبي مرتبط بفكرة الوقت والوسائل البيداغوجيا التي تبني المهارات الحياتية لأفراد المجتمع، هذه المهارات التي تكون موجهة للسلوك الفردي والجماعي، ومؤثرة في أسلوب حياة المجتمع، أي يصبح المنطق العملي ثقافة توجه أفراد المجتمع نحو الحفاظ واستمرارية ديناميكية نمو الوطن.

المنطق العملي ينظم أسلوب حياة المجتمع وبالتالي يعمل على استثمار الوقت الضائع لدى المجتمعات المتخلفة والخارجة عن نطاق الحضارة، كما أنه يؤسس لبناء وعي بأهمية الفعالية لمواجهة الركود والتخلف الحضاري، لهذا مالك بن نبي يدعو إلى تثمين وتعزيز كل جهد عملي مبني ومستند الى فكرة نظرية، مهما

<sup>1</sup> مالك بن نبي، المسلم في علم الإقتصاد، دار الفكر، دمشق، ط13، 2018، ص 61.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، 106.

## في فكر مالك بن نبي -

كان هذا الجهد بسيط "هذه البوادر التي تنفجر اليوم هنا وهناك في صورة محاولات خاصة لن تبقى حالات مفردة، بل إنّها ستقدم للشعب كلما تقدمت الأيام منوالاً ينسج عليه ضروب نشاطه الجماعي، فهذه البوادر تضم التيار الخفي العميق للنهضة، والزمان كفيل بتوسيع نطاقها كلما اتسع نطاق هذه النهضة"<sup>1</sup>

ويقول الطيب برغوث المنطق العملي عند مالك بن نبي هو عملية شحذ الفعالية التي بإمكانها أن تنجز عملية النهوض الحضاري والتي تساهم في عملية التماسك الاجتماعي من خلال البناء السليم لشبكة العلاقات الاجتماعية في منظومة العمل حيث يكون عبر:

تعزيز التفاعل والتواصل:

- تشجيع على التواصل الفعال داخل الفرق العمل.

- توفير وسائل فعالة للتواصل مثل اجتماعات منتظمة ووسائل اتصال إلكترونية.

غرس ثقافة التعاون والتضامن :

- تعزيز قيم التعاون والتضامن وتنشيط سياسة روح الفريق أثناء أداء أو إنجاز الأعمال.

تحقيق التوازن بين العمل والحياة الشخصية :

- دعم سياسات تعزز التوازن بين الحياة العملية والشخصية.

- تشجيع على إدارة الوقت بفعالية وتجنب الإرهاق الناتج عن العمل المفرط.

تحفيز الاندماج الثقافي:

<sup>1</sup> مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي ج01، مرجع سابق، ص 151 .

## في فكر مالك بن نبي -

- تشجيع على التنوع والانفتاح على ثقافات مختلفة داخل الفريق مما يسهل عملية الاندماج السريع وتحقيق فعالية إنجازية كبرى.

تحسين هذه العناصر يمكن أن يساهم في تعزيز الفعالية العملية والتماسك الاجتماعي، مما يؤدي في نهاية المطاف إلى النهوض الحضاري.

### 1-4- التوجيه الفني أو الصناعة:

إذا كانت الأخلاق ومبادئها، والحسن والجمال، وامتلاك منطق العمل من العناصر التي تدخل في تركيب قيمة الثقافة، فحسب مالك بن نبي هاته العناصر وحدها لا تكفي، ولا بد لها من عنصر رابع يكملها حتى تكون الثقافة قيمة توجه أو تصنع أسلوب حياة الفرد والمجتمع، وتضبط العلاقات بين الافراد الذين يتشاركون العيش وهذا العنصر الرابع هو التوجيه الفني أو الصناعة.

ويؤكد مالك ابن نبي باعتقاد جازما أن هذه العناصر الأربعة، هي التي تدخل في تركيب قيمة الثقافة، وهو عندما يتكلم عن التوجيه الفني فيقصد به الصناعة وامتلاك التقنية، تقنية العمل لإنجازه على أحسن وجه، أي اكتساب المهارة اللازمة " لا نعني بالصناعة ذلك المعنى الضيق المقصود من اللفظ بصفة عامة في البلاد الإسلامية، فإن كل الفنون والمهن والقدرات وتطبيقات العلوم تدخل في مفهوم الصناعة"<sup>1</sup>

التوجيه الفني أو الصناعة هي مجموعة القدرات العملية التي يتعلمها الفرد أو يعزها من أجل أن يتمكن من القيام بسلوك تكيفي وإيجابي يجعله قادر على التعامل مع الحياة اليومية وتحدياتها بفعالية وإيجابية، حيث أن هذا التوجيه له من الأهمية البالغة التي تساعد الفرد والمجتمع لمواجهة المواقف المختلفة، بشكل إيجابي للمشاركة في الحياة الاجتماعية الممتلئة بالتحديات المتجددة في الحياة اليومية.

<sup>1</sup> مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي ج01، مرجع سابق، ص 88.

## في فكر مالك بن نبي -

وهذه المهارات الشخصية والاجتماعية يحتاجها الفرد كي يتعامل بثقة وكفاءة مع جل المواقف الحياتية، ولهذا مالك بن نبي أشار الى مهنة بسيطة وهي مهنة الراعي التي أصبحت في باريس لها مدرسة لتعليم أصحاب المهنة كي يتعلم الرعي، والأُن في وقتنا الحالي أصبحت هناك مراكز التكوين المهني تهتم بتكوين الأفراد على تربية المواشي والأنعام.

وإذا كان تعلم الحرفة بالنسبة للفرد هو من أجل كسب العيش، وتحقيق ذاته وبناء مجد له، فإنها بالنسبة للمجتمع وسيلة لتحقيق الوظيفة التاريخية، والمحافظة على كينونته، وكيانه " ومن المسلم أن الصناعة للفرد وسيلة لكسب عيشه، وربما لبناء مجده، ولكنها للمجتمع وسيلة للمحافظة على كيانه واستمرار نموه، وعليه فيجب أن نلاحظ في كل فن هذين الاعتبارين"<sup>1</sup>.

تعلم المهارات الصناعيّة الشخصية التي يحتاجها كل فرد، ليتعامل مع المستجدات الحياتية اليومية بثقة أكبر، وتحقيق ذاته لأن الفرد يسعى دائما لذلك، حيث ان تعلم المهارات الصناعيّة تجعل له القدرة العالية على اتّخاذ القرارات المهمّة في حياته، والأنسب له على جميع المستويات الشخصية والاجتماعية، والنوع الاجتماعي، والعمل على تطوير الذات؛ من أجل التعامل مع الآخرين بإيجابية، وتفادي الوقوع في الأزمات، والتغلّب عليها عند حدوثها.

أما بالنسبة للمجتمع فالصناعة بالنسبة له هي وسيلة للحفاظ على كيانه وسط الكيانات الأخرى الموجودة في العالم، وهي ضمان استمراره، وتقدمه وحركته في إطار التغيير الاجتماعي الإيجابي والفعال، وتجابه بها التحديات والأزمات العالمية، التي يعرفها العالم من فترة إلى أخرى، وقد أثبتت أزمة كوفيد 19

<sup>1</sup> مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي ج01، مرجع سابق، ص 88.

## في فكر مالك بن نبي -

هذه المقاربة حيث استطعت الدول الصناعية التعامل مع الوضع بسهولة، بينما عانت الدول النامية أو التي في طريقها للنمو من الأزمة وآثارها

### 2- التربية على المنظور السنني:

السنن الكونية أو الإلهية هي : مجموعة القوانين والنواميس الطبيعية التي يسير وفقها الكون، والتي يستفيد منها الكائن الحي، بما يؤهله، فيسخرها له ويستفيد منها، أنها نظم الكون المفتوح بما فيه ومن فيه، وهي المسيرة له، وفق ما أراد الله تعالى، لأن هذا الكون بما فيه من كائنات وجماد وما تربطهم من علاقات، يسير وفق هذه السنن أو القوانين<sup>1</sup>، وهي القوانين التي بحث فيها كل منظري وفلاسفة الحضارة والتاريخ من أمثال بن خلدون وتوينبي واسوالد اشبنجلر .

في تعريف مالك بن نبي للتربية الاجتماعية قال: بأنها عملية مبنية وفق منهج يرشد حركة المجتمع\*، حيث كان قد أسس لنظرية التربية الاجتماعية منهجها يعتمد على المنظور السنني كأساس ومنهج لتوجيه حركة المجتمع وتنمية الفرد والنهوض الحضاري.

حيث يرى أن التربية الاجتماعية يجب أن تكون عملية مبنية على فهم السنن الكونية، ويشدد على أن الفعالية الحقيقية في تنمية المجتمع تأتي من خلال اتباع هذه السنن.

### حركة المجتمع التاريخية:

- يعني ذلك فهم تاريخ المجتمع وكيف تطورت هياكله ودينامياته على مر الزمن.

- يركز على ضرورة أن يكون الفرد جزءاً من هذه الحركة وأن يساهم في تطوير المجتمع.

<sup>1</sup> شهوان راشد سعيد، السنن الربانية في التصور الاسلامي ج 1، الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان، 1991، ص 87.  
\* راجع فصل التربية الاجتماعية عند مالك بن نبي

## في فكر مالك بن نبي -

بناء المنظومة الاجتماعية:

- يعني هذا فهم السنن الإجتماعية التي يمر بها بناء نظام اجتماعي يعكس القيم والمبادئ الأصيلة في المجتمع.

- يشدد على أهمية توجيه حركة المجتمع بما يتناسب مع السنن الكونية لضمان التطور والتقدم.

- يتعلق بفهم كيف يتأثر الفرد بالمجتمع وكيف يمكن تطوير شخصيته لتكون إيجابية ومفيدة.

- يركز على دور التربية في تشكيل شخصية الفرد وتوجيهه نحو فهم وتطبيق السنن الكونية في حياته.

من وجهة نظر مالك بن نبي، يعتبر فهم السنن الكونية واتباعها أمرًا ضروريًا لتحقيق التنمية الشاملة والنهوض الحضاري. وبالتالي، يجب أن تكون وسائل التربية والإعلام تركز على نقل هذا الفهم والوعي السنني الكوني للفرد ليكون مواطنًا فعّالًا وشخصية واعية في المجتمع.

وهذا ما يؤكد أحد تلاميذته الطيب برغوث في قوله أن "أي اختلال في الوعي المنهجي، في أبعاده المعرفية والاجرائية والأخلاقية، سينعكس مباشرة على الوعي والأداء الثقافي، وهذه الانعكاسات السلبية المتتالية، تؤثر في مجتمعه على مستوى الوعي والأداء الحضاري للفرد والمجتمع، وتدفع بأوضاع الأمة إلى المزيد من الضعف والتقهقر والاستعبات الحضارية المضادة"<sup>1</sup>

وهنا يلاحظ أن الطيب برغوث على خطى أستاذه يريد التوجيه نحو التنبيه للتأثيرات الشاملة لاختلال في الوعي المنهجي على مستوى الفرد والمجتمع، وكيف يمكن أن يؤثر على الوعي والأداء الثقافي:

<sup>1</sup> برغوث الطيب، مقدمة في الأزمة الحضارية والثقافية والسننية، تحليل لأهمية المعطى الثقافي التربوي، دار قرطبة، الجزائر، 2004، ص 26.

## في فكر مالك بن نبي -

### الاختلال في البعد المعرفي:

- عدم معرفة السنن الكونية والاجتماعية والتربية عليها، قد يؤدي ذلك إلى فقدان الفرد للمعرفة الأساسية والفهم الصحيح للوقائع والظواهر الاجتماعية ، وهذا مايمكن أن يقوض قدرة الأفراد على فهم تحديات المجتمع والمساهمة في حلولها.

### البعد الإجرائي:

- عدم فهم ووعي المنظور السني في حركة بناء المجتمعات يؤدي الى محاولات القفز على المراحل، كما وصفها مالك بقفزة البرغوث، مما يجعل التفاعل غير فعال وغير نشط وبعيدا لاعن الأهداف التي يروجها المجتمع.

- محاولة تطبيق المهارات العقلية والعلمية في الممارسات اليومية دون أن يكون على دراية بما وبمساراتها، يمكن أن يؤدي إلى تكرار الأخطاء وتقديم حلول غير فعالة.

- افتقار الفرد إلى القدرة على التخطيط واتخاذ القرارات بناءً على معرفة دقيقة يؤثر سلباً على تقدم المجتمع.

### البعد الأخلاقي:

- تصرفات غير أخلاقية قد تؤدي إلى تفكك القيم في المجتمع وتقويض الثقة بين الأفراد.

- غياب الوعي الأخلاقي يمكن أن يؤدي إلى انحراف السلوك الفردي والجماعي عن مبادئ النزاهة والعدالة.

## في فكر مالك بن نبي -

تأثير هذا الاختلال سينعكس مباشرة على الوعي والأداء الثقافي، وقد يتجلى ذلك في تقهقر المجتمع على مستوى الابتكار والتطور، ويمكن أن يؤدي إلى انعدام القدرة على فهم وتقبل التحولات الحضارية الحديثة في النهاية، تؤدي هذه الانعكاسات السلبية إلى فقدان التنافسية والتقهر الحضاري، مما يعزز استيعابات حضارية مضادة ويعزل المجتمع عن التطور والتقدم.

إن منظور السننيتية الذي يدعو اليه مالك بن نبي هو منظور كلي متوازن ومتكامل وهو يحدد القيمة الحقيقية للإنسان من خلال بعث الفعالية الحضارية ولهذا يقول مولودة سعادة في مقابلة معه انه منظور فكري ومنهجي يؤثر في سلوك الفرد الاجتماعي وحركة المجتمع التاريخية، منظور يمتاز بالمرحلية والموضوعية التي تنطلق من الواقع الاجتماعي.

كما يرى أن المنظور السنني يعتمد على مجموعة من العمليات المنهجية وهي: الرصد والوصف والتحليل والنظرة الاستشراقية، التي تمكن الفرد بالوعي بحركة المجتمع، مما يجعله أكثر فعالية وأكثر محافظة على هذا المجتمع الذي ينتمي إليه.

كما يقول الطيب برغوث: " فالوعي بالنواظم السننيتية الكلية لحركة الحياة، هو الهدف الأول من التعليم والتربية والثقيف والتجريب والتشاقف، والسعي بالحياة نحو الأفضل باستمرار"<sup>1</sup>؛ الوعي بالنواظم السننيتية الكلية لحركة الحياة هو هدف أساسي للتعليم والتربية في العديد من الأنظمة التعليمية والفلسفات الثقافية، حيث يهدف إلى تمكين الفرد والمجتمع من فهم كيفية تنظيم الحياة الاجتماعية وحتى الطبيعية بما يتماشى مع القيم والمبادئ الأساسية للمجتمع.

<sup>1</sup> برغوث الطيب، حركة المدافعة الاجتماعية وإشكالية الاحتياطي الاستراتيجي للتغيير الحضري، دار النعمان للطباعة والنشر، المحمدية، 2021، ص 23.

## في فكر مالك بن نبي -

عندما يكون الفرد على دراية بالنواظم السنيّة الكلية أو القوانين الناظمة لحركة الكون والمجتمعات، يصبح قادرًا على تقدير مكانته ودوره في المجتمع وتأثير تصرفاته على الآخرين وعلى البيئة المحيطة به، كما يساعد هذا الوعي في توجيه السلوكيات نحو الفعاليّة لتحقيق الأفضل وتعزيز التطور المستدام والتقدم الشخصي والاجتماعي.

وبالتالي، يتضمن السعي بالحياة نحو الفعالية اللازمة لتحقيق الأفضل باستمرار، تطوير هذا الوعي وتعزيزه من خلال التعليم والتربية والتثقيف والتجربة والتشاقف، بهدف بناء مجتمعات أكثر فعالية.

### 3-فعالية الأفكار:

يركز مالك بن نبي عن المنطق العملي الذي يتربى عليه الفرد لكي يكون فعالا، ولهذا أعتبر أن المنطق العملي هو تطبيقا عمليًا للأفكار الفعالة التي تعمل على بناء وعي الفرد وشحن طاقته الروحيّة نحو الفعالية الاجتماعية.

تقول جاكلين روس: " إلام تشير الأفكار؟ الأفكار ليست تركيبات فوقيّة أو انعكاسات، وليست علما منفصلا ومجردا، إنما هي طاقات ديناميكيّة تمتلك وجود موضوعيّا، أو تنتج الحضارات التي تخلقها وتنظّمها، هكذا هي الأفكار، تسلك مسلك الكائنات الفاعلة التي تتمتع بقدرة ذاتية" وهذا إشارة إلى أن الأفكار ليست مجرد تصورات مجردة من الواقع أو منفصلة عنه، بل هي قوى ديناميكية تمتلك وجودًا موضوعيًا وتؤثر في العالم بشكل فعّال، إنها تنبعث من الكائنات الفاعلة، سواء كانت أفرادًا أو مجتمعات، وتؤثر في تشكيل الثقافات والحضارات وتوجهاتها.

## في فكر مالك بن نبي -

بمعنى آخر، الأفكار لها القدرة على أن تتحول إلى قوى فاعلة تؤثر في العالم من حولنا، تُنظم المجتمعات وتحدد سلوكياتها وتوجهاتها؛ فهي ليست مجرد مرآة تعكس الحقائق، بل هي محركات ديناميكية للتغيير والتطور، أي أن الأفكار تمتلك قدرة على التأثير الفعّال وتحويل الواقع وفقاً للرؤى والمبادئ التي تحملها.

فهي تعبر عن وجود ديناميكي وذاتي، وتأخذ شكلاً منظماً يؤثر في العالم الخارجي ويتأثر به في المقابل، وهذا يظهر بوضوح في كيفية تكوين الحضارات وتطويرها عبر العصور.

فرؤية بن نبي كانت تركز على إعادة تربيّة الإنسان المسلم وتفعيل الأبعاد الروحية والفكرية والنفسيّة لشخصيّته، عن طريق تنظيم الطاقات الحيوية لديه وتوجيهه نحو الفاعلية الاجتماعية.

### 3-1- الفكرة الفعالة عند مالك بن نبي:

يفرق مالك بن نبي بين الفكرة الأصيلة والفكرة الفعالة حيث يقول: "فكرة أصيلة لا يعني فعاليتها الدائمة، وفكرة فعالة ليست بالضرورة صحيحة، والخلط بين هذين الوجهين يؤدي إلى أحكام خاطئة"، وهذا الخلط جعل المجتمع المسلم يتمسك بأفكار بالرغم من أصالتها فقدت في زماننا الحاضر فعاليتها العمليّة من جهة، ومن جهة أخرى في بعض الأحيان يتمسك البعض بمحاولة تطبيق بعض الأفكار في غير مجالها بالرغم من عدم صلاحيتها في ذلك المجال، فيبدو العيب في الفكرة لا في تطبيقها.

عاش مالك بن نبي في زمن سيطرت عليه الرؤى المادية والشقيّة، حيث اختزلت الفعاليات الانسانية في مدلولها الاقتصادي فقط، فماركس مثلاً كان يرى أن وعي الفرد مرتبط بوجوده المادي، لهذا جاءت رؤية بن نبي للفعل الانساني وفعالته مركزة على البعد الروحي للفرد والجماعة الانسانية

## في فكر مالك بن نبي -

### 3-2-الفكرة الدينية وطاقتها الروحية:

توصف الفكرة الدينية بأنها: " تصفّي الداوخل، وأثما نظام في الحقائق العامة التي تؤدي إلى تغيير في الأخلاق والسلوك، إذا أخذت على محمل الجد، وإذا عاشها المؤمن باقتناع عاطفي عميق وحي<sup>1</sup>، الفكرة الدينية تساعد في تصفية الدوافع الداخلية للفرد وتوجيهه نحو الخير والسلوك الصالح وتبث فيه الدافعية للإنجاز، كما أنه يقدم نظامًا من القيم والمعتقدات التي تؤثر على الأخلاق والسلوك بشكل عام، والأهم من ذلك أن الفكرة الدينية تعتمد على الإيمان الشخصي والعميق، وليس فقط على الالتزام السطحي.

لهذا مالك بن نبي كان يرى أن الفكرة الدينية هي الموجهة لحركة المجتمعات والنهوض الحضاري لها، فالفكرة الدينية فكرة حيّة وليست مجرد مجموعة من الشعائر الدينية التعبدية كما أرادها أن تكون بعض المتصوفة، بل هي قيمة تمثل عاملاً يحفز الإنسان على النشاط والفعالية الإنجازية، وهي الفكرة القادرة على تنظيم وضبط الطاقة الحيوية وتوجيهها إلى الوجهة الصحيحة، كما يتحدث على أهمية الفكرة الدينية في تغيير الإنسان والمجتمع نحو الأفضل، من خلال استثمار القيم الدينية في تحسين الأخلاق وتوجيه السلوك الاجتماعي.

يشير مالك بن نبي أن الفكرة الدينية لديها قوة دافعة للنمو الحضاري والتطور، وتجعل من القيم الدينية مبادئ توجه سلوك المجتمع نحو الفعالية الإنجازية، وتحدد علاقاته الاجتماعية، ممّا يوطد الحياة المشتركة ضمن شبكة العلاقات الاجتماعية

<sup>1</sup> وايتهيد و نورث ألفرد، كيف يتكون الدين؟، تر: السيد رضوان ، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، بيروت، 2017، ص 19.

## في فكر مالك بن نبي -

كما يرى بن نبي أن الفكرة الدينية لا يقتصر دورها على مجرد تغيير في الظواهر الخارجية، بل هي تعمل على أن يكون هناك تحول أساسي في التفكير والقيم والسلوك، وتبني ميثاقاً جديداً يستند إلى مبادئ دينية مثل القرآن الكريم.

وكان مالك بن نبي أشاد بحركة الاخوان المسلمين لأنها لم تتعامل مع القرآن الكريم كمصدر معرفي يُستخرج منه الأحكام الشرعية وعلم الكلام، بل تعاملت معه كمصدر للطاقة الروحية التي تُعيد للإنسان المسلم فعاليته الانجازية\*

### 3-3 فكرة الزمن

الزمن أنه المقدار الذي تقاس به حركة الأفراد كما تقاس به حركة المجتمعات، ويعتبر الزمن مكون رئيسي في نظرية الحضارة عند مالك بن نبي، ولهذا عندما تحدث عن التوجيه قال بأنه اقتصاد في الجهد والوقت، ووجود الفرد كالمجتمع مرتبط بفعاليته في الفعل التاريخ أي بإنجازاته المرتبطة بالزمن.

فعالية الانسان في التاريخ تبدأ من تساميه عن معطياته الموضوعية واقعه الاجتماعي أو الحضاري، حيث يسعى لتغيير هذا الواقع وفقاً لغايته وأهدافه الذاتية، لهذا يقول مالك بن نبي "يجب أن ينتهي التاريخ في نقطة ما كي يتجدد التاريخ من نقطة جديدة"<sup>1</sup> وهذا يعكس فكرة أساسية في الفلسفة التاريخية، وهي أن التاريخ يتجدد بشكل مستمر من خلال سلسلة من الأحداث والتطورات التي تحدث على مر الزمن، فليس هناك ضرورة مطلقة لوجود نهاية محددة للتاريخ.

\* هذا تم الإشارة إليه في الفصل الثاني في جزئية الحركة الاصلاحية، يمكن الرجوع إليها لمزيد من الاستفادة.

<sup>1</sup> مالك بن نبي، دور المسلم ورسالته، دار الوعي للنشر والتوزيع، روية، 2013، ص 19.

## في فكر مالك بن نبي -

يركز مالك على اعتبار التاريخ عملية دائمة للتطور والتغيير، حيث ينشأ التجدد من خلال تفاعلات متعددة بين الأفراد والمجتمعات والظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية. ومن خلال هذه التفاعلات، يتغير المجتمع ويتطور مع مرور الوقت، مما يجعل التاريخ عملية مستمرة بدلاً من وجود نهاية نهائية.

لذلك، بدلاً من التفكير في نقطة نهائية للتاريخ، يمكننا أن نفهم التاريخ كعملية ديناميكية ومستمرة للتغيير والتطور، حيث يمكن لكل نقطة جديدة في التاريخ أن تمثل بداية لفصل جديد من التطور والتجديد. كان مالك بن نبي يرى بأن الزمن معيار نظامي وسلوكي (فردى وجمعى) بالأساس مرتبط بالبعد الاجتماعى وتأثيرات البيئة، فالزمن مؤثر نظامى اجتماعى والإنسان جزء من هذا النظام كما أنه فاعل رئيسى فيه<sup>1</sup>، كان بن نبي يعتبر الزمن كمعيار نظامى وسلوكى مرتبط بالبعد الاجتماعى وتأثيرات البيئة؛ وهو عنده جزءاً أساسياً من النظام الاجتماعى، حيث يؤثر بشكل كبير على سلوك الفرد والمجتمع بشكل عام.

بالنسبة لمالك بن نبي، الزمن ليس مجرد مفهوم فلسفى أو علمى، بل هو عامل نظامى اجتماعى يتداخل مع تفاعلات المجتمع وتشكيله وبالتالى، يعتبر الإنسان فاعلاً رئيسياً في هذا النظام، حيث يتأثر ويؤثر في البيئة والمجتمع من خلال تفاعلاته وسلوكه.

يبرز مالك بن نبي أهمية فهم الزمن وتأثيراته الاجتماعية على الفرد والمجتمع، ويشير إلى أن التغييرات في الزمن وتحولاته تلعب دوراً حاسماً في تشكيل الهويات الاجتماعية والثقافية والسلوكيات الفردية والجماعية.

<sup>1</sup>النوعى عبد القادر، "مالك بن نبي والزمن"، مجلة الدراسات التاريخية 24، عدد 1 (2004): 703/730.

## في فكر مالك بن نبي -

### الخلاصة:

يرى مالك بن نبي أن تركيز التربية الاجتماعية على قيمة الفعالية الاجتماعية يمر عبر تعزيز وبناء علاقات صحية وتطوير مهارات التفاعل الاجتماعي لدى الأفراد، ويكون ترسيخ هذه القيمة عبر:

- تعزيز القيم الأخلاقية مثل النزاهة، والاحترام، والعدالة في التفاعلات اليومية، يعطي للتفاعل الاجتماعي اليومي فعالية أكبر من تفاعل غير موجه.

- تحفيز الأفراد على السلوكيات و اتخاذ القرارات بناءً على مبادئ أخلاقية،

- تشجيع الأفراد وتوجيههم نحو الاقتصاد في الجهد والوقت من خلال تعليم مهارات التخطيط والإدارة الزمنية.

- تعزيز القدرة على العمل الجماعي وحل المشكلات بطرق إيجابية.

- بناء القدرات الذاتية والجماعية في رصد وفهم الظواهر الاجتماعية والتعامل معها بإيجابية.

- تدريب الأفراد على استخدام المنطق في اتخاذ القرارات وحل المشكلات اليومية.

- توجيههم لتطوير مهارات الصناعة.

- تعزيز الفهم للمهارات الصناعية وأهميتها في سوق العمل.

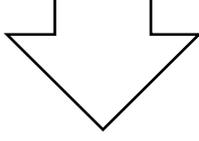
- تقديم فرص لاكتساب المهارات الفنية والصناعية من خلال البرامج التعليمية وورش

العمل.

- تعزيز قيمة الأفكار الفعالة وعلى رأسها الفكرة الدينية

- تعزيز قيمة الزمن .

# الفصل السابع



## نتائج الدراسة



### النتيجة العامة للدراسة:

حاولت الدراسة معرفة الدلالات القصدية للتربية الاجتماعية في فكر مالك بن نبي وكيف ترسخ قيم

المواطنة من خلال الإجابة على التساؤل التالي "

- ما مفهوم التربية الاجتماعية عند مالك بن نبي، وكيف تساهم في ترسيخ قيم

المواطنة؟

وللإجابة على هذا التساؤل وضع الباحث مجموعة من التساؤلات الفرعية رأى بأن الإجابة عليها

تعطي نتيجة للدراسة وكانت هذه الأسئلة كالتالي:

- ما هو السياق التاريخي والاجتماعي الذي أنتج خطاب مالك بن نبي؟

- ماهي الدلالات القصدية للتربية الاجتماعية عند مالك بن نبي؟

- كيف ترسخ التربية الاجتماعية قيمة العيش المشترك كقيمة من قيم المواطنة؟

- كيف ترسخ التربية الاجتماعية قيمة المسؤولية الاجتماعية كقيمة من قيم

المواطنة؟

- كيف ترسخ التربية الاجتماعية قيمة الفعالية الاجتماعية كقيمة من قيم المواطنة؟

وتوصلت في الأخير الى أن :

الدلالات القصدية للتربية الاجتماعية عند مالك بن نبي ترسخ قيم المواطنة

## 1 - مناقشة النتائج في ظل أهداف الدراسة

- قراءة فكر مالك بن نبي في سياقه التاريخي والاجتماعي وقراءة ثانية بمصطلحات الزمن الحاضر، تحقق هذا الهدف حيث أن تم قراءة فكر مالك بن نبي بمصطلحات الزمن الحاضر مثل مصطلح المواطنة الذي لم يستعمله مالك لأنه لم يكن شائع ، واستعمل بدله مصطلح " التحضر " الذي كان أكثر تداولاً في وقته ولديه دلالة ومفهوم المواطنة في الوقت الحاضر.
- ابراز مكانة التربيّة على المواطنة في فكر مالك بن نبي، في هذه الدراسة تم ابراز دور التربية الاجتماعية في ترسيخ مجموعة من القيم التي تؤسس لصناعة مواطن لديه القدرة على الاندماج في الوسط الاجتماعي المعاش ومشاركة مجتمعه عملية النهوض الحضاري.
- معرفة أبعاد المواطنة عند مالك بن نبي : ان المواطنة عند مالك بن نبي التي تعني التحضر، تجسدها مجموعة من القيم ذات أبعاد اجتماعية
- معرفة إن كان مالك بن نبي مقلداً أو مبدعاً في أفكاره: مالك بن نبي كان من العلماء والمفكرين الإسلاميين المعروفين في القرن العشرين، كانت وجهة نظره تتميز بالتأكيد على ضرورة فهم الواقع الاجتماعي والثقافي للمجتمعات الإسلامية قبل تطبيق أي مشاريع إصلاحية، كان يعتقد أن الحلول المقترحة يجب أن تستند إلى فهم عميق للتاريخ والثقافة والقيم الإسلامية.
- بدلاً من تبني النماذج الإصلاحية الغربية بشكل كامل، كان يؤمن بأنه يجب أن تتبع الإصلاحات من داخل الثقافة الإسلامية نفسها وتكون مبتكرة وفعّالة لمعالجة التحديات التي تواجه المجتمعات الإسلامية في العصر الحديث.

لذلك، كان يسعى إلى تطوير أفكار جديدة ومبتكرة تعتمد على مبادئ الإسلام وتحاكي وتناسب الواقع الاجتماعي والثقافي للمجتمعات الإسلامية، وكان يرى أن هذه الأفكار الجديدة يمكن أن تشكل أساساً لمشاريع إصلاحية جديدة تتماشى مع تطورات واحتياجات المجتمعات المعاصرة.

رصد في مشروعه الحضاري قراءة متميزة للواقع الإسلامي تشخيصاً وتصحيحاً، سواء من حيث المنهج أو من حيث المضمون، فهو أراد تحقيق نقلة جديدة للأفكار النهضوية الإسلامية نحو التعمق والتجذر والتجدد والفاعلية.

فهو يعتبر تحقيق نقلة جديدة للأفكار النهضوية الإسلامية يعتبر تحدياً مهماً يواجه الفكر الإسلامي المعاصر، يتطلب ذلك تعمقاً في الفهم والتجذر في الواقع والمبادئ الإسلامية الأصيلة، والتجديد والابتكار في تفسير هذه المبادئ بطريقة تناسب التحديات والظروف الحديثة، بالإضافة إلى الفاعلية في تطبيق هذه الأفكار لتحقيق التقدم والرخاء للمجتمعات الإسلامية.

هذه النقطة يمكن أن تتم من خلال عدة مجالات ومنهجيات، منها:

- التعمق في فهم الواقع الإسلامي: يعاني العالم الإسلامي من التخلف، ولكي يلتحق بالركب الحضاري كان مالك بن نبي يرى أنه لكي نحقق النهوض الحضاري لا بد من قراءة متعمقة لواقع العالم الإسلامي.

التجذر في الثقافة والتاريخ الإسلامي: من خلال الاطلاع ودراسة تجارب المسلمين السابقة والاستفادة من تجاربهم في مجالات الفكر والعلوم والحضارة، وكذا محاولة معرفة سبب هذا التخلف الحضاري.

-التجديد والابتكار: ان قراءة وفهم الواقع الاسلامي وتراثه، لا يمكن ان يعطي نتيجة إلا من خلال تطوير منهجيات جديدة لفهم الإسلام بروح العصر وتطبيقه في الحياة العصرية، مع الحفاظ على القيم والمبادئ الأصيلة.

الفاعلية في التطبيق: عن طريق تطوير استراتيجيات فعالة لتطبيق الأفكار الإسلامية في مجالات مختلفة مثل السياسة والاقتصاد والتعليم وغيرها، بما يسهم في تحقيق التقدم والازدهار، وهذا يكون بالتوجيه الثقافي وعدم التسارع واحترام السنن الكونية.

باختصار مالك بن نبي يرى أن تحقيق نقلة جديدة للأفكار النهضوية الإسلامية غرس الفعالية الحضارية عن طريق فهم الواقع من جهة وفهم الدين الاسلامي بقراءة عصرية دون المساس بروحه .

كما كان يعتبر التنمية هي عملية تغيير شاملة تستهدف الظروف البنائية والوظيفية للمجتمع، فالمجتمع لا بد أن يعاد بنائه وفق منظومة قيمية تتماشى مع روح الدين الاسلامي لهذا ركز على الفكرة الدينية كعنصر أساسي لبناء الحضارة، مع ضرورة مراعاة الجانب الاجتماعي والمعيشي، إذ يؤكد مالك بن نبي على المستوى الاجتماعي أن توازن المجتمع بين الحق والواجب، بين الإنتاج والاستهلاك هي المعادلة التي يستقيم من خلالها المجتمع.

انضباط المشروع الحضاري عند مالك بن نبي بخطوات منهجية دقيقة وصارمة، واضحة الأبعاد والخطوات من خلال احترام السنن الكونيّة،

- محاولة ابراز الفكر السوسولوجي عند مالك بن نبي، من خلال الدراسة اتضح جليًا صحيح، مالك بن نبي كان يمتلك فكرًا ونظرة سوسولوجية قوية تجاه الواقع الاجتماعي، حتى ولو لم ينتسب أكاديميًا إلى الحقل المعرفي السوسولوجي.

كانت دراسته وتحليله للمجتمع والثقافة الجزائرية صفة خاصة والمجتمع الاسلامي بصفة عامة، وللتحولات التي تشهدها، تعبر عن تفهم عميق للعوامل السوسيوثقافية التي تؤثر على الناس وتشكل هويتهم وسلوكهم.

على الرغم من عدم انتمائه الرسمي إلى السوسولوجيا كمجال أكاديمي، إلا أن مالك بن نبي كان يستخدم الأسس والمفاهيم السوسولوجية في تحليله للواقع، وكانت مساهماته في هذا الصدد ذات تأثير كبير، حيث ساهمت في إثراء التفكير السوسولوجي وفهم الظواهر الاجتماعية في العالم العربي والإسلامي.

## 2- مناقشة النتائج في ظل تساؤلات الدراسة

### 2-1- السياق التاريخي والاجتماعي الذي أنتج خطاب مالك بن نبي:

في اجابتها على التساؤل الفرعي الأول توصلت الدراسة الى أن الإنتاج الفكري لمالك بن نبي كان ضرورة طبيعيّة للمرحلة التي سبقته والتي عاشها وذلك للأسباب التالية:

- فترة اتسمت بوجود الاحتلال الفرنسي الذي حاول طمس الهوية الوطنية والمتمثلة في الدين الاسلامي واللغة العربيّة، من خلال منع التعليم القرآني والتعليم العربي وتحويل المساجد إلى اصطبلات

للحمير والبغال، فالفكر التربوي يتأثر بشكل كبير بالبيئة التي هو ناتج لها سواء كانت ثقافية أو اجتماعية أو سياسية و التي ينشأ فيها صاحبه، حيث تشكل هذه العوامل البيئية المحيطة مصدرًا هامًا لتكوين وتطوير الأفكار والمفاهيم التربوية، على سبيل المثال:

البيئة الثقافية: القيم والمعتقدات الثقافية تؤثر بشكل كبير على وجهة نظر الأفراد تجاه التعليم والتربية. فالقيم المشتركة في المجتمع والتقاليد التربوية المتأصلة تؤثر في شكل وهيكلية نظام التعليم وأساليب التدريس والتقييم.

البيئة الاجتماعية: الظروف الاجتماعية مثل الطبقة الاجتماعية، والعرق، والدين، والجنس، والعمر تؤثر على التوجهات التربوية، والاستعمار عمل على أن يمنع أفراد المجتمع الجزائري من التعليم وهذا ما زاد في إرادة أفراده للتعلم ومن بينهم مالك بن نبي.

البيئة السياسية: القوانين والسياسات التعليمية التي فرضتها الحكومة الاستعمارية لعبت دورًا هامًا في توجيه الفكر التربوي لدى مالك بن نبي  
تأثير هذه العوامل البيئية ساهم في تشكيل توجهات الفكر التربوي لمالك بن نبي المترجم في كتاباته.

- الأمة الإسلامية أصابها الركود الحضاري والفكري، بعدما كانت تشيع بالحضارة .

- يتميز مالك بن نبي بكثرة قراءة الكتب والمطالعة المستمرة مع المزاجية بين الكتب العربية وأمّهات

الكتب الغربية التي شكلت وعي جيل من الأوربيين، وهذا ماجعله غزير الكتابة وبتكريز شديد.

- وجود عدة محاولات للإصلاح الاجتماعي، ولكن هذه المحاولات لم يكتب لها النجاح، وكان مالك بن نبي يرى فيها أنها لم تستطيع الوصول الى تحقيق هذا لأنها تنطلق من منطلقات خاطئة، وشبهها بمن يستعمل دواء للمريض دون تشخيص دقيق للمرض، وبالتالي كان يشير إلى أهمية تشخيص الأمراض التي استفحلت في جسد الأمة الاسلاميّة بدقة قبل محاولة علاجها، وهذا يعني أنه يجب التركيز في فهم جذور المشكلة بدقة قبل اقتراح حلول.

إذ يمكن أن يتعلق هذا بفهم العوامل التاريخية والاقتصادية والسوسيوثقافية التي تلعب دورا في تشكيل المجتمع، وكذلك فهم الديناميات الاجتماعية والسياسية الراهنة، وقد يكون من الضروري أيضاً تحديد الأهداف بوضوح وتقديم حلول ملموسة وعملية تستند إلى هذا التشخيص الدقيق.

لهذه الأسباب والمعطيات كان:

- يُعتبر خطاب مالك بن نبي شمولياً لأنه يسعى إلى تقديم إطار عام وشامل لمشروع بناء مجتمع جديد يستند إلى قيم المجتمع ، يعتبر هذا الإطار مرجعية للمختصين في مختلف مجالات المعرفة لتوجيه جهودهم نحو تحقيق هذا الهدف الشامل، ويشمل ذلك الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتعليمية وغيرها.

- كان منهج مالك بن نبي منهج تحليلي تفاعلي حيث أنه يرى ان عناصر الحضارة والثقافة كلها معادلات كيميائية تتفاعل مع بعضها البعض لتعطي لنا مركبي الحضارة والثقافة، حيث يرى أن عناصر الحضارة والثقافة تتفاعل مع بعضها البعض بشكل معقد يشبه التفاعلات الكيميائية وليس المعادلات الرياضية، حيث تتكون الثقافة والحضارة من تفاعلات متعددة ومعقدة بين عناصر مختلفة لها علاقة بعالم

الأشخاص والأفكار والأشياء، ويمكن فهم هذه التفاعلات والعوامل المؤثرة فيها من خلال تحليل دقيق لعناصر المجتمع وتفاعلاتها.

## 2-2- الدلالات القصدية للتربية الاجتماعية

قبل أن نتحدث الدراسة عن كيف ترسخ التربية الاجتماعية قيم المواطنة حاولت تقديم مفهوم مالك بن نبي للتربية الاجتماعية، حيث لاحظت أنه قدم التربية الاجتماعية باعتبارها مشكلة ومنهجاً ومفهوماً وبراديجم تثقيفي للتحضر والعيش المشترك كالتالي:

### 2-2-1 التربية الاجتماعية باعتبارها مشكلة:

التربية الاجتماعية تناولها مالك بن نبي كمشكلة من خلال ثلاث مقاربات، المقاربة

الأولى مقارنة وجودية، والمقاربة الثانية هي مقارنة الاستمرارية والمقاربة الثالثة تطويرية أو تنموية

التربية الاجتماعية ومشكلة إيجاد الجيل المنشود:

في تحليله للدورة الحضارية قسمها مالك بن نبي الى ثلاث مراحل مرحلة ما قبل

الحضارة ومرحلة الحضارة ومرحلة ما بعد الحضارة، ففي المرحلة الأولى يبحث المجتمع عن

الجيل الذي يبني الحضارة، او ما سماه مالك بن نبي الإنسان الحضاري، وهذا التقسيم

يعكس فهمه العميق لعملية تطور المجتمعات.

في المرحلة الأولى، يركز على أهمية التربية الاجتماعية في إعداد الأفراد لبناء

الحضارة، يصف الإنسان الحضاري كنتاج للتربية الاجتماعية، وهو فرد مكيف مشبع

بقيم مجتمعه، كما يمتلك القدرة على التأقلم مع البيئة الاجتماعية وبناء علاقات فعالة

وإيجابية مع أفراد المجتمع.

عندما مالك بن نبي يتحدث عن تحويل الفرد من حالة "خام" إلى حالة "مكيفة"، فهو يقصد عملية اكتساب القدرات والمهارات الحياتية اللازمة للمشاركة بفاعلية في بناء الحضارة.

هذه المرحلة تمثل الأساس الذي يتم بناء عليه باقي مراحل الحضارة، ولذلك يعتبر مالك بن نبي التربية الاجتماعية في هذه المرحلة مفتاحًا أساسيًا لتحقيق الأهداف الحضارية.

فالتربية الاجتماعية مشكلتها الأولى إيجاد أو صناعة جيل من سماته أنه جيل متحضر، جيل يقدر الحياة الاجتماعية، جيل فعال، جيل يصنع من أفكاره أشياءه، جيل لا يطلق للغرائز عنائها، ولكن ينظمها ويجعلها طاقة فعالة، يسعى من خلالها للتفوق الحضاري عن باقي النماذج الحضارية.

جيل يستوعب النموذج الثقافي لمجتمعه ويسعى لتحقيق معانيه في سلوكياته اليومية، جيل يمارس الفعل الحضاري كأفكار وتصرفات ومعاملات وسلوكيات، بمعنى جيل يعيش أو يمارس\* الفعل الحضاري لا يتمثله، جيل يتبنى المعاني الإنسانية الراقية التي أعطتها له التربية الاجتماعية وجعلتها قوى روحية تدفع به الى الأمام.

هذا الجيل الذي يريده مالك بن نبي يعكس فهمه للدور وللهدف النهائي للتربية الاجتماعية، وهو تحقيق الفعل الحضاري في المجتمع وفي سلوكيات الأفراد وتفاعلاتهم الاجتماعية اليومية، يتمثل هذا في تبني القيم والمعاني الإنسانية الراقية التي تمنحهم القوة الروحية اللازمة للمضي قدمًا نحو بناء مجتمع حضاري.

\*يفضل الباحث استعمال كلمة "يعيش" لأنها تعبر على أن الفعل الحضاري أصبح جزء منه، تشاهده في تعاملاته وتصرفاته بدون ان يكون عليه ضابط أو رقيب، وهذا يعني أن الفعل الحضاري أصبح جزء من كيانه وشخصيته، وليس فعلا مجبرا على القيام به.

حيث يهدف مالك بن نبي من وراء هذا إلى إيجاد الجيل الذي يصبح لا مجرد ممثل للحضارة بل مؤسساً فاعلاً في تحقيقها، حيث يتجسد الفعل الحضاري في تفكيره وتصرفاته وتعاملاته اليومية.

هذا الجيل هو النموذج المنشود، وهو موجود لدى المسلمين بالتمثل من خلال الوحي، فكل مسلم يتمثل هذا النموذج، مالك بن نبي من خلال تناوله لمشكلة التربية الاجتماعية، تناول مشكلة إيجاد هذا النموذج في الواقع، نموذج بالفعل لا بالتمثل.

وفي الواقع، يرى مالك بن نبي أن كل مسلم لديه القدرة على أن يكون هذا النموذج المنشود، إذا مارس الفعل الحضاري في حياته اليومية وتمتع بالروح الإيجابية التي تدفعه نحو تحقيق الأهداف الحضارية.

#### مشكلة استمرار الجيل المنشود:

تكلم مالك بن نبي عن مشكلة الحفاظ على الجيل المنشود، باعتباره أنه جيل قد تحقق من قبل، ولكن لم يستطع الاستمرارية، لأنه لم يتساير مع الواقع ولم يتجدد، فمشكلة التربية الاجتماعية هي وضع المكيانيزمات التي تساعد على استمرار هذا الجيل المنشود، بغرس القيم الروحية التي تمنع تَصَحُّم الأنا التي تُوهِنُ شبكة العلاقات الاجتماعية وتضعف توترها الفعال.

فمالك بن نبي يركز على أهمية استمرارية الجيل المنشود إذا تمكن المجتمع من تحقيق إيجاده، فهو يرى أن المشكلة تكمن في عدم القدرة على الحفاظ على استمرار هذا الجيل لعدم قدرته على مواكبة التحولات الاجتماعية والثقافية في الواقع الاجتماعي، وهذا ما ينشئ فجوة حضارية بينه وبين باقي المجتمعات التي تملك حضارة.

يعتبر مفتاح حل هذه المشكلة هو تنمية القيم الروحية والأخلاقية التي تعزز العلاقات الاجتماعية الإيجابية وتمنع تفكك المجتمع، كما يشير إلى ضرورة تحفيز الفرد على التفكير بالمصلحة العامة وتقديم الخدمة للمجتمع بدون انغلاق في الانانية التي تعرقل التواصل والتعاون الاجتماعي.

مشكلة تطور الجيل المنشود:

تكلم مالك بن نبي عن التربية واشكالية تطور أو تنمية الجيل من خلال حديثة عن وجوب السقوط في ذهان السهولة والاستحالة، فالوقوع في فخ السهولة يمنع بحث التراخي وبالتالي يكون حاجزا أمام التطور والنمو، والوقوع في ذهان الاستحالة يقع في فخ العجز والقهر وبالتالي يكون هذا سدا مانعا نحو التطور، فعندما ينظر الفرد إلى الأمور أنها سهلة ولا تحتاج إلى كد ولا تعب يؤثر ذلك في فعاليته ويفقد التوتر اللازم لعملية النمو، كما أن تصوره للأمور أنها صعبة ومستحيلة تجعله يقف عاجزا أمام كل المشاكل التي تعترض مسيرته في الحياة وبالتالي تتوقف عجلة التطور والنمو عنده.

مالك بن نبي يعتبر أن التربية الاجتماعية الفعالة تتطلب تفادي الوقوع في ذهان السهولة والاستحالة، حيث يمنع السقوط في أي منهما التطور والنمو الشخصي والاجتماعي الضروريان لصنع الحضارة ومواكبة روح العصر الذي يساعد على الاستمرارية.

وعندما ينظر الفرد إلى الأمور بمنظار السهولة التي لا تحتاج إلى جهد، يصيبه التراخي والركود والاتكال، مما يعيق قدرته على التطور والتقدم ومواكبة المجتمعات المتحضرة في تغيراتها الحضارية والاجتماعية.

ومن جهة أخرى، عندما ينظر للحياة بمنظار الاستحالة، يفقد الأمل والإرادة والرغبة في الانجاز، مما يؤدي إلى الشعور بالعجز والقهر وفي بعض الأحيان الاحساس بالإحباط المعنوي، وهذا يمنعه من المحاولة والتحدي.

لذا، يؤمن بن نبي بأهمية توجيه التربية نحو تشجيع الجهد والتحدي والفعالية من خلال التوجيه الثقافي، وتعزيز الإيمان بأن التطور والتنمية ممكنة، ولكنها تتطلب جهداً وعزيمة وإصراراً من الفرد، وهذه هي قوانين أو سنن الكون التي يجب أفراد المجتمع اتباعها لتحقيق النهضة الحضارية.

هذا يعني أن التربية الناجحة تساعد الأفراد على تحقيق توازن بين تجنب السهولة الزائفة وتجنب الاستسلام لليأس والاستحالة، مما يمكنهم من تحقيق نمو وتطور مستدامين في مختلف جوانب حياتهم.

## 2-2-2 التربية الاجتماعية باعتبارها منهجا:

تحدث مالك بن نبي عن التربية الاجتماعية كعملية تنظيمية منهجية تساهم في بناء شخصية الفرد وتنظيم حياته في إطار المجتمع وليس في إطار انزاله، لأنها تساهم في تحديد طريق المجتمع نحو البناء والنهوض الاجتماعي.

لهذا يرى مالك بن نبي أنها ليست عملية فوضوية، بل هي منهج متمحور حول قيم ومبادئ المجتمع وتهدف إلى توجيه سلوكيات الأفراد وتشكيلهم وفقاً لأسلوب حياة المجتمع، وهي بدورها تجعل الأفراد يسعون لبناء مجتمع منظم ومنسجم مع القوانين الكونية والمرحلية.

وباعتبارها منهجا فهي تعتمد على مفاهيم الديناميكية التاريخية للمجتمع، حيث تتبنى تطورات الزمان والمكان وتستجيب لها بما يتناسب مع الحاجات الفعلية للمجتمع في الوقت الراهن، بالإضافة إلى

ذلك، تحترم التربية الاجتماعية السنن الكونية والمرحلية، أي القوانين الطبيعية والثوابت التي تحكم حياة البشر وتنمو وتتطور معها.

بهذا تعتبر التربية الاجتماعية عند مالك بن نبي عملية منظمة ومنهجية تهدف إلى بناء شخصيات قوية ومتوازنة تسهم في تصغير الفجوة الحضارية من خلال العمل على تطور وازدهار المجتمع بأكمله من جهة وتوطيد شبكة العلاقات الاجتماعية له.

### 2-3- التربية الاجتماعية باعتبارها مفهوما:

من خلال مجموعة التعاريف التي أعطاها للتربية، أعطى مالك بن نبي مفهوما للتربية الاجتماعية وهو:

أنها عملية تغيير الصفات النوعية إلى الصفات الاجتماعية من خلال جعل الانسان متحضر أو قادرا على بناء الحضارة، حيث يرى أن التغيير الذي يحدث في الصفات النوعية إلى الصفات الاجتماعية هو عملية تحضير الإنسان وتنمية قدراته على بناء الحضارة، وهذا يتطلب توفير الظروف المناسبة التي تسمح للأفراد بتطوير مهاراتهم وقدراتهم الفكرية والإبداعية، ويعتبر أن الفرد المتحضر هو الذي يمتلك القدرة على التفكير النقدي والإبداعي، والذي يمكنه المساهمة في بناء الحضارة من خلال إثراء المعرفة وتطوير الفكر البشري.

مفهوم التحضر عند مالك بن نبي يشير إلى مجموعة من القيم والمبادئ التي يجب أن يحملها الفرد ويسعى إلى تحقيقها في حياة الفرد والمجتمع من أجل تطورها وازدهارهما، تشمل هذه المعاني قيماً مثل

العدالة، والحرية، والتسامح، والاحترام المتبادل، والمساواة، والتعاون، والتقدم الثقافي والفكري، والاهتمام بالبيئة، والاستمرارية الاجتماعية والاقتصادية.

عندما يتحقق هذا التحضر في حياة الفرد والمجتمع، يصبح الفرد قادرًا على المشاركة بفعالية ومسؤولية في بناء الحضارة وصناعة التاريخ من خلال تطبيق هذه القيم في تفاعلاته اليومية وفي التعامل مع الآخرين ومع المشكلات والتحديات التي تواجه المجتمع.

يمكن أن يؤدي تحقيق معاني التحضر إلى إنتاج فرد صالح ومجتمع متحضر يسهمان في بناء حضارة تعكس تقدمهما وتطورهما وتحقق للأفراد معاني الانتماء والولاء.

### 2-4 التربية الاجتماعية باعتبارها براديجم تثقيفي للتحضر:

قدم مالك بن نبي التربية الاجتماعية باعتبارها براديجم تثقيفي توجه الفرد نحو الفعالية الاجتماعية والتحضر من خلال مجموعة من القواعد يتربى عليها وتكون بمثابة البوصلة الموجهة لأفعاله بطريقة لاشعورية، ويكون التوجيه نحو مجموعة من القيم الأخلاقية التي تتماشى مع قيم وفلسفة المجتمع، والقيم الجمالية التي تقبلها النفس البشرية ويستحسنها الذوق الإنساني، تتحقق الفعالية الاجتماعية التي تنتج المنطق العملي الذي ينشئ الحضارة التي يصنع الأشخاص فيها أشياءهم بمنطق أفكارهم الأصيلة.

هذا النموذج التثقيفي يكون نابع من أصالة المجتمع، لا نموذج مستغرب وافد إليه من نماذج ثقافية أخرى، وهو نموذج يمكنه التعايش مع ثقافات أخرى دون التخلي عن العمود الفقري لثقافته وهو الأصالة المتمثلة في الفكرة الدينية المستمد منها فلسفته.

- براديجم يغير خصائص الانسان البدائية الى خصائص اجتماعية، يغير الفرد الخام الى الفرد المكيف

اجتماعيا.

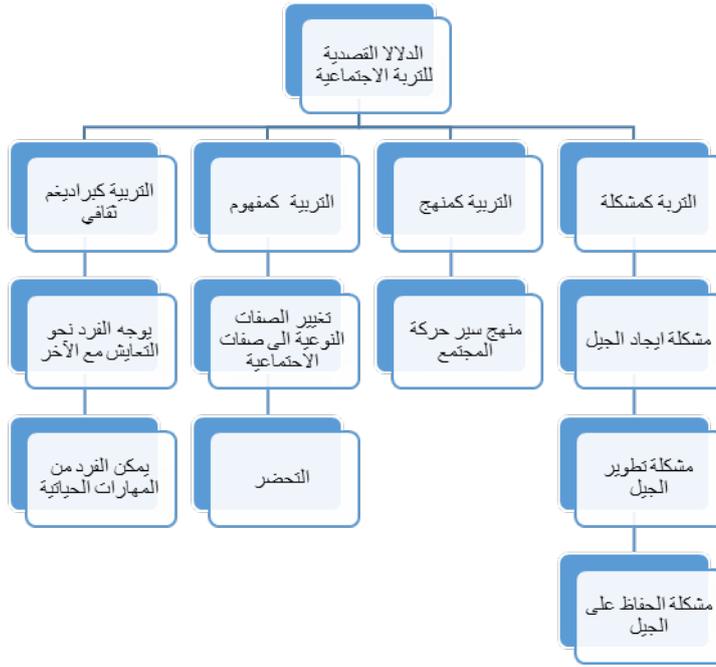
-براديجم من أخص خصائصه أنه يُمكن الفرد من العيش مع الآخرين، من خلال تمثل قيم المجتمع بانتظام في سلوكه، وهو الهدف الأسمى الذي يسعى إليه، يتحقق من خلاله الاندماج الكلي للأفراد في شبكة العلاقات الاجتماعية.

- براديجم يصنع الرجال الذين يصنعون التاريخ بحسن استعمالهم للتراب والوقت، حيث يرى أن الإنسان يمكنه أن يؤثر في مسار تاريخ مجتمعه، ويصنع مجده من خلال حسن استعماله بناءً على فهمه الصحيح للزمان والمكان و، بناءً على استغلال الفرص المتاحة لديه

- براديجم ينتج أصحاب المهارات الحياتية الذين يمكنهم تسخير الكون لخدمة المجتمع بطريقة عقلانية.

- براديجم يجعل من الثقافة أداة لتربية الفرد لا لتسليته، هذا مبدأ مهم في فلسفة مالك بن نبي، حيث يرى أن الثقافة ليست مجرد ترفيه أو تسلية، بل هي أساسية لتشكيل الفرد بناءً منظومة قيمه الذاتية والاجتماعية، حيث يعتبر أن الثقافة توفر للأفراد الأدوات والمفاهيم اللازمة لفهم المحيط الاجتماعي والتفاعل معه بشكل فعال، وهذا يساعدهم في تطوير مهاراتهم الحياتية واستعمال إمكاناتهم الكاملة، لذا يجعل من الثقافة أداة لتنمية الفرد وتحقيق التقدم الشخصي والاجتماعي.

ولهذا يمكن القول بأن التربية الاجتماعية عبارة عن عملية تسعى للوصول بالإنسان الى بلوغ الكمال البشري التي تمكنه بالتكيف مع المجتمع وقيمه من جهة، وتجعله يساهم في صناعة تاريخه وبناء حضارته.



شكل رقم 24 : يوضح الدلالات القصدية للتربية الاجتماعية في فكر مالك بن نبي

## 2-3- قيم المواطنة:

أولا توصلت الدراسة الى نتيجة مفادها أن مالك بن نبي تحدث عن المواطنة كمفهوم وفكرة وليس كمصطلح- أي لم يستحضر اللفظ بقدر ما استحضر مفهومه ومعانيه في خطابه- ، باعتبار أن المصطلح في ذلك الوقت كان غير شائع، وهي تعني عنده التحضر.

يعني فهم العلاقة بين الفرد والمجتمع والدولة، وكيف يمكن للفرد أن يساهم في بناء مجتمعه وتطويره، من خلال التركيز على المفهوم والفكرة بدلاً من الاهتمام باللفظ، كان بن نبي يسعى لتحقيق تحول في الوعي الاجتماعي والثقافي لدى الناس، وهذا ما يعكس تفكيره النقدي ورغبته في تغيير الواقع نحو الأفضل.

- المواطنة كمفهوم هي مجموعة من القيم التي توجه السلوك نحو التحضر ترسخه التربية الاجتماعية

من خلال:

- التربية على قيمة العيش المشترك: والتي تعني تعزيز فهم الفرد لأهمية التعايش السلمي والتفاعل

الإيجابي مع الآخرين في المجتمع. تتضمن هذه القيمة قبول التنوع واحترام الاختلافات الثقافية والدينية

والاجتماعية بين الأفراد. يتعلم الأفراد من خلال التربية على قيمة العيش المشترك كيفية التعايش بسلام واحترام في بيئة متعددة الثقافات والخلفيات.

يمكن تحقيق هذه القيمة من خلال:

- التنقيف والتوعية: توفير المعرفة والفهم حول أهمية التعايش السلمي والتنوع الثقافي لتشجيع الفهم المتبادل والاحترام بين الأفراد، توفير المعرفة والفهم حول أهمية التعايش السلمي والتنوع الثقافي يعد أساسياً لتعزيز الفهم المتبادل والاحترام بين الأفراد، من خلال تعزيز الوعي بأهمية احترام التنوع الثقافي ضمن ما يسمى بشبكة العلاقات الاجتماعية التي تؤسس للتعايش بسلام وعن طريقها بناء جسور فهم بين الثقافات المختلفة وتجنب التصادمات الثقافية.

من خلال تقديم الفرص للتفاعل والتواصل بين أفراد مختلفي الثقافات على أساس، يمكن أن يزيد ذلك من الوعي والتسامح والاحترام المتبادل، على سبيل المثال، يمكن تنظيم فعاليات ثقافية مشتركة، وورش عمل حول التفاهم والتنوع الثقافي، وبرامج تبادل ثقافي لتعزيز التواصل وبناء العلاقات الإيجابية.

بالإضافة إلى ذلك، يمكن أن تسهم التربية الاجتماعية في ترسيخ الوعي حول أهمية التعايش المشترك والتنوع الثقافي، وتعزيز الاحترام والتسامح المتبادل، وبالتالي، يمكن لهذه الجهود المشتركة أن تسهم في بناء مجتمعات أكثر تفهماً واحتراماً للتنوع الثقافي، وبالتالي تعزيز التعايش المشترك والاستقرار الاجتماعي.

- تعزيز التواصل الفعال: تشجيع الحوار المفتوح والبناء بين الأفراد من خلال التفاعل الاجتماعي والثقافي، وتقديم الفرص للتعرف على وجهات نظر مختلفة وفهمها.

- تعزيز قيم العدالة والمساواة: تشجيع العدالة والمساواة في المعاملة وفي منح الفرص لجميع أفراد المجتمع بغض النظر عن خلفياتهم الثقافية أو الاجتماعية.

- التعلم من التاريخ: فهم الدروس التاريخية حول التعايش والصراعات وكيف يمكن للتفاعل الإيجابي بين الثقافات أن يساهم في بناء مجتمع متكافل ومزدهر.

باعتبار التربية على قيمة العيش المشترك جزءًا أساسيًا من التحضر، يمكن أن تلعب دورًا هامًا في بناء المجتمعات المتحضرة التي تعزز التعايش السلمي وتحترم التنوع الثقافي.

- التربية على قيمة المسؤولية الاجتماعية: تعتبر أساسية في بناء مجتمعات متعايشة ومتحضرة، من خلال تعزيز فهم الأفراد لأهمية تحمل المسؤولية تجاه المجتمع، يمكن تعزيز قيم مثل تسبيق الواجب على الحق وقيمة الانتماء والولاء.

- تسبيق الواجب على الحق: يعني أن الفرد يجب أن يفهم أن لديه واجبات تجاه المجتمع والآخرين تتفوق على مصالحه الشخصية، فعلى سبيل المثال، يمكن أن يكون لديه واجب تجاه بيئته والحفاظة عليها، أو واجب تجاه المشاركة في تحقيق العدالة والمساواة، وأن الحق هو ثمرة أداء الواجب، تعكس هذه العبارة فكرة هامة في الفلسفة الأخلاقية عند مالك بن نبي، حيث تشير إلى أن الحقوق لا يمكن أن تتحقق بشكل كامل دون أداء الواجبات المقابلة، حيث يجب على الأفراد أن يدركوا بوعي أن عليهم القيام بالواجبات وتحمل المسؤولية حتى يستحقوا الحقوق التي يطالبون بها.

من هذا المنطلق، يمكن فهم الحقوق والواجبات كجزئين لا ينفصلان عن بعضهما البعض، بل يتشابكان ويتفاعلان معًا، ولكن هناك أسبقية مصلحة لصالح المجتمع يمثل في أداء الواجبات الاجتماعية من أجل الحصول على الحقوق المشروعة لصالحهم.

-قيمة الانتماء والولاء: تعني أن الفرد يجب أن يكون واعياً لانتمائه إلى مجتمعه ويكون وفياً لقيمه وتقاليده. ومن خلال تعزيز هذه القيمة، يمكن للأفراد أن يشعروا بالانتماء والمسؤولية نحو تطوير وتحسين مجتمعهم.

قيمة الانتماء والولاء تعتبر أساسية في بناء الهوية الثقافية الاجتماعية للفرد وتعزيز قوة شبكة العلاقات الاجتماعية في المجتمع، عندما يشعر الفرد بالانتماء إلى مجتمعه يكون وفياً لقيمه وتقاليده، ويكسبه ذلك الانسجام والتماسك مع أفراد المجتمع الآخرين، مما يساعد على تعزيز الروابط الاجتماعية داخل شبكة العلاقات الاجتماعية وتحقيق التكامل في المجتمع.

بالإضافة إلى ذلك، عندما يكون الفرد وفياً لقيم مجتمعه وتقاليده، يكون أكثر ولاء واستعداداً للمشاركة في بناء تاريخ المجتمع بشكل إيجابي، حيث يعمل على الحفاظ على تراثه الثقافي وتعزيز قيمه الإيجابية. وبالتالي يسهم الانتماء والولاء في بناء مجتمع أكثر تفاعلاً وتكاملاً.

باعتبارها جزءاً من التربية، يمكن أن تسهم هذه القيم في بناء جيل يفهم مسؤوليته تجاه المجتمع ويسعى للعيش فيه بسلام وتفاهم.

- التربية على قيمة الفعالية الاجتماعية: تشمل توجيه الفرد نحو العناصر الثقافية التي تساعد على تحقيق هذه الفعالية بشكل أفضل، من خلال التركيز على العناصر الثقافية مثل التوجيه الأخلاقي، والذوق الجمالي، والمنطق العملي، حيث يتم تنمية قدرات الفرد على فهم الواقع الاجتماعي بطريقة أكثر انفتاحاً وتفكيراً نقدياً.

- التوجيه الأخلاقي: يساعد الفرد على فهم الفرق بين الصواب والخطأ وتكون له معايير اجتماعية توجه نشاطه الاجتماعي وتصرفاته بما يتوافق مع القيم الأخلاقية المجتمعية، مما يعزز من قدرته بناء شبكة علاقاته الاجتماعية وتعاونه مع الآخرين وتكون له الفعالية اللازمة لخدمة المجتمع.

- الذوق الجمالي: توجيه الفرد نحو الجمال ورفض القبح يعزز لديه القدرة على الابتكار والتعبير عن نفسه بشكل يساهم في تحسين الجودة الحياتية للمجتمع.

- المنطق العملي: يعتمد على القدرة على تحليل الوضع بشكل منطقي واتخاذ القرارات الصحيحة،

مما يساعد الفرد على تحقيق الفعالية في تحقيق أهدافه الشخصية والمجتمعية.

عندما يتم توجيه الفرد بهذه الطريقة، يمكنه أن يصبح عضواً فعالاً في المجتمع يساهم في تحقيق التقدم والازدهار بشكل شامل ومستدام.

### 3- مناقشة النتائج في ظل النظريات:

يلتق مالك بن نبي مع روسو في قضية تقديم الواجب عن الحق، حيث أن روسو يتحدث عن أهمية توافر الحب والولاء بين المواطنين وحكامهم، ودور أرباب السلطة العمومية في تعزيز هذا الحب وتلبية متطلبات المواطنين بإخلاص ورعاية، عندما يعم الحب والانتماء بين الشعب وحكامه، يمكن التغلب على الصعوبات وإدارة الشؤون العامة بكفاءة وفعالية.

تركيز مالك بن نبي على العيش المشترك وقيم المسؤولية الاجتماعية والفعالية، والأبعاد العملية كأداء الواجب وتسبيقه على الحق والولاء للانتماء سواء كان هذا الولاء لفكرة أو لمجتمع، وتبقى قيم التضامن ومساعدة الآخرين التي يركز عليها مالك بن نبي تبعد مفهومه على الحصر في الجانب القانوني فقط كما تفعل نظريات العقد الوطني

فالمواطنة هي توافق ومشاركة في الحياة الاجتماعية والالتزام بقيم المجتمع والمساهمة في تحقيق النهوض الحضاري،

فالمواطنة تعبر عن العلاقة الوثيقة بين الفرد والمجتمع، حيث يقوم الفرد بتحمل المسؤولية نحو المجتمع الذي يعيش فيه، ويشارك في تطويره وتحسينه، تشمل المواطنة الالتزام بالقيم والمبادئ التي تحددها المجتمع، والمساهمة في تحقيق التقدم والنهوض الحضاري لهذا المجتمع، تعتبر المواطنة أساسية في بناء مجتمع مترابط ومزدهر، حيث يعمل الأفراد سويًا لتحقيق الصالح العام والازدهار الشامل، فبالتالي هو يتجاوز المقاربة القانونية التي تعتبر الجنسية معيار المواطنة.

كما تجاوز المقاربة السياسية التي ربطت المواطنة بمجموعة من الحقوق السياسية كالمشاركة في الانتخابات وغيرها من الحقوق، فهي تشكل رباط اجتماعيًا يربط الفرد بالمجتمع، وتتطلب منه المشاركة الفعالة في الحياة الاجتماعية والالتزام بقيم المجتمع وتعزيزها، بالإضافة إلى المساهمة في تحقيق التقدم والتنمية الحضارية، وتبنى المواطنة على الحوار والتفاهم والاحترام المتبادل بين أفراد المجتمع، وتشجع على بناء علاقات إيجابية ومتوازنة تسهم في تعزيز السلم والاستقرار الاجتماعي.

ما ميّز مالك بن نبي في فكره أنّه أستطاع أن يربط بين حقول معرفيّة عديدة خاصة حقلّي السوسولوجيا والسيكولوجية، كما كانت له القدرة في توظيف معارفه في حقل الرياضيات في هذا الرابطة وجعل جسور تواصل بين هذه الحقول.

#### 4- مناقشة النتائج في ظل الدراسات السابقة:

تلقت نتائج الدراسة حول تحديد الدلالات القصدية للتربية الاجتماعية مع باقي الدراسات السابقة في كونها عبارة عن منهج يسعى لتكوين الفرد المكيف القادر على العيش مع الآخر.

والتربية تعني التثقيف، وهو مفهوم شامل يشمل عدة مفاهيم ومضامين مختلفة، حيث يرى بن نبي أن التربية ليست مجرد عملية تعليمية تقليدية تقتصر على نقل المعرفة، بل هي عملية شاملة تشمل تكوين الفرد وتنميته في جوانب حياته المختلفة، من بين المفاهيم والمضامين التي يتناولها بن نبي في فهمه للتربية: الاستمرارية: التربية هي عملية تستمر طوال الحياة، تهدف إلى اكساب الفرد المهارات الحياتية وتطوير الذات والرقى به الى تحقيق الكمال البشري.

المشكلة: التربية الاجتماعية عند مالك بن نبي تعتبر حلاً للمشاكل التي يعاني منها المجتمع، لأنها تساهم في تحقيق التوازن في المجتمع، وبالتالي فهي مشكلة اجتماعية أساسية اذا بقى المجتمع يعتمد على مناهج بعيدة عن واقعه الاجتماعي والقيم المجتمعية الأصيلة فيه.

المفهوم: التربية ليست مفهوم مجرد بل مفهوم عملي تشمل مجموعة من الأفكار والقيم توجه سلوك الأفراد وتشكل شخصيتهم الاجتماعية.

المنهج: هي منهج حياة للمجتمعات فهي تملك القدرة على ارشادهم لتحقيق الحركة التاريخية اللازمة للنهوض الحضاري.

تمثل القيم وانتظامها في سلوك الفرد: تهدف التربية إلى تعزيز القيم الإيجابية الفاعلة وتوجيه سلوك الفرد نحو المصلحة العامة، فهي تصنع الانسان الصالح.

عملية تطبيع اجتماعي: تسهم التربية في تحويل الفرد الخام الى فرد مكيف له القدرة على نسج شبكة من العلاقات الاجتماعية، تساعد التطبيع الاجتماعي الذي يكون سببا في توحيد المجتمع وتعزيز الانسجام الاجتماعي.

عملية اكتساب المهارات الحياتية: يعتبر بن نبي أن التربية تسهم في تأهيل الفرد من خلال اكسابه المهارات الحياتية و المقاييس الذاتية التي تساعده على امتلاك الخبرات الضرورية لمواجهة تحديات الحياة .

وسيلة للضبط الاجتماعي: تعتبر التربية وسيلة لتحقيق التوازن والاستقرار في المجتمع.

عملية تحضر: التربية تعزز تطور الفرد وتنمي مهاراته وقدراته.

عملية إدماج اجتماعي: تساهم التربية في إدماج الأفراد في المجتمع وتعزز التفاعل الاجتماعي الإيجابي.

عملية دمج ثقافي: تعزز التربية التفاعل الثقافي والتبادل بين الثقافات المختلفة.

التقت الدراسة مع دراسة محمد نقيب في كون التربية الاجتماعية منهجا ومفهوما ومشكلة أما الاضافة التي أضفتها هذه الدراسة في كونها براديعم تثقيفي، حيث يقدم التربية الاجتماعية كبراديعم تثقيفي يهدف إلى توجيه الفرد نحو الفعالية الاجتماعية والتحضر، ويعتمد على مجموعة من القواعد في الاجتماع والتاريخ وعلم النفس التي ينبغي تربية الفرد عليها.

هذه القواعد تكون بمثابة البوصلة التي توجه أفعال الفرد بشكل غير شعوري لأنها تمثل جزء من شخصيته، وتتضمن قيماً أخلاقية تتوافق مع قيم وفلسفة المجتمع، وقيم جمالية تقبلها النفس البشرية وتحظى بتقدير الذوق الإنساني.

من خلال تنمية هذه القيم وتعزيزها في الفرد، يمكن تحقيق الفعالية الاجتماعية التي تسهم في إنشاء الحضارة، حيث يتمكن الأفراد في هذا السياق من بناء أفكارهم وسلوكياتهم على منطلق أصيل ينطلق من قيمهم ومبادئهم الأخلاقية والجمالية.

أما بالنسبة لقيم المواطنة فقد التقت نتائج الدراسة مع المعاني التي قدمتها الدراسات لقيم العيش المشترك، والمسؤولية الاجتماعية والفعالية الاجتماعية في كونهم قيم تؤسس لبناء مجتمع متحضر.

ولكن ما أضفته هذه الدراسة في اعتبار هذه القيم هي قيم تؤسس لمواطنة فعالة، وتسهل عملية العيش المشترك، فهي تلعب دورًا حاسمًا في تأسيس مواطنة فعالة وتسهيل عملية العيش المشترك في المجتمع من خلال:

- تعزيز الانتماء والولاء: القيم تعزز الشعور بالانتماء إلى المجتمع وتعزز الولاء له، مما يجعل الأفراد أكثر استعدادًا للمشاركة الفعالة في الحياة المجتمعية.

- تعزيز الفهم والاحترام المتبادل: القيم تعمل على تعزيز الفهم والتسامح بين الأفراد من خلفيات وثقافات مختلفة، مما يسهل العيش المشترك بسلام واحترام.

- تعزيز روح المسؤولية في المجتمع: هذه القيم تعزز الوعي بأهمية تحمل المسؤولية تجاه المجتمع وتشجع على المشاركة في تحضره.

- تعزيز التعاون والتضامن: القيم تشجع على التعاون وبناء العلاقات الإيجابية مع الآخرين، مما يعزز التضامن والتكامل في المجتمع.

باختصار ماتوصلت اليه الدراسة أن مالك بن نبي تحدث عن مجموعة من القيم تلعب دورًا حيويًا في تأسيس مواطنة فعالة وتسهيل عملية العيش المشترك، حيث تعزز الفهم والاحترام والتعاون وتحفز على تحمل المسؤولية الاجتماعية وتعزيز العدالة والمساواة.

كما تلتقي الدراسة مع دراسة حامد عزيز في اعتبار مفهوم الدورة الحضارية في فلسفة التربية يشير إلى فكرة أن هناك دورة تاريخية تتبعها الحضارات على مر الزمان، حيث يمر المجتمع بمراحل متعاقبة من النمو والانحدار والتجدد.

وفقاً لبن نبي، فإن هذه الدورة الحضارية تتبع سنناً كونية أو قوانين ثابتة، تحكم تطور الحضارات وتقودها إلى الانجاز بفعالية لأشياءها التي هي نتيجة تفاعل عالم الأشخاص مع عالم أفكاره .

بن نبي يرى أن الحضارات تتبع دورة ثابتة تتكون من مراحل النشوء والازدهار والانحدار، وفقاً له فإن هذه الدورة تعكس قوانين ثابتة في التاريخ والتي تحكم تطور الحضارات بشكل متكرر. على سبيل المثال، يعتقد بن نبي أن الحضارات تنشأ نتيجة لتوافر الظروف المناسبة، مثل الابتكار التقني والتفاعل الثقافي، ثم تتراجع نتيجة للتبعات السلبية للتطورات الداخلية والخارجية، مما يؤدي في النهاية إلى انهيار الحضارة وظهور حضارة جديدة بدورها.

بن نبي يؤكد على أهمية فهم هذه الدورة الحضارية في تصميم المشروع التربوي، حيث يجب أن يكون التربية جزءاً من عملية تجديد الحضارة وتحقيق التقدم الثقافي والاجتماعي، وبالتالي، يعتبر بن نبي أن اتباع واحترام السنن الكونية والقوانين الثابتة هو أساس لضمان استمرارية التربية ومساهمتها في تحقيق النهوض الحضاري.

الخاتمة

## الخاتمة

حاولت الدراسة معرفة الدلالات المقصدية للتربية الاجتماعية عند مالك بن وكيف ترسخ قيم المواطنة في أفراد المجتمع؟، حيث أنه يرى أن جميع المعارف التي يحصل عليها والتي تشكل ادراكه للواقع الاجتماعي، لا يمتلكها عند الولادة، لأن الفرد عندما يأتي إلى الدنيا فرد خام، والتربية الاجتماعية هي التي تشكل أنماط أفعاله الاجتماعية وتحول الطبيعة البشرية الخام إلى الفرد المكيف المشبع بالإضافات البيئية والقيم الاجتماعية.

فالتربية الاجتماعية عند مالك بن نبي هي منهج حياة المجتمع لأنها ترشده في طريقه، فهو ليس تكديس لمجموعة من الأفراد في رقعة جغرافية ما، بل مجموعة من الأفراد تربطهم شبكة من العلاقات الاجتماعية توجه نشاطهم المختلفة في اتجاه وظيفة محددة وهي خدمة المجتمع وبناء الحضارة.

ان تركيز مالك بن نبي على التربية جزءاً أساسياً من فلسفته، حيث رأى أن التربية هي المفتاح لتحقيق التقدم والتطور في المجتمعات، ولهذا يمكن اعتباره فليسوف في مجال التربية، فعلى الباحثين في دراساته وأفكاره البحث عن المضامين التربوية التي يتناولها ومحاولة استخلاص مناهج تربوية قائمة على تلك عليها، هذا المناهج يمكن أن يساعد في تطوير أفكار جديدة ومبتكرة في مجال التربية والتعليم.

فالتربية التي يدعو إليها مالك بن نبي تربي الأفراد على قيم العيش المشترك والمواطنة وهو مقصد المدرسة الحديثة أن يكون من مخرجاتها مواطن صالح متشبع بروح وقيم المجتمع، هذه القيم التي تشكل جيل يسعى لعملية النهوض الحضاري.

ان فكر مالك بن نبي جهد بشري ناتج لواقع اجتماعي معيّن، وهو ليس منزّه من الخطأ، ولهذا دراسته لابد من الاتسام بالموضوعية، بالرغم أن هذا الفكر كان متطورا من ناحية من المنهج، وعميقا من حيث مستوى التفكير والتحليل ومتجدرا من حيث الأصالة، ولكنه فكريا شموليا تحتاج دراسته جهدا اضافيا بعيدا عن الاعجاب الزائد الذي يبعد صاحبه عن النظر اليه بتمعن.

المراجع

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

أولا : الكتب

1. مالك بن نبي، المسلم في علم الإقتصاد، دار الفكر ، دمشق، ط13، 2018.
2. مالك بن نبي، بين الرشاد والتبیه، دار الفكر، دمشق، ط12، 2016.
3. مالك بن نبي، دور المسلم ورسالته ، دار الوعي للنشر والتوزيع، روية، 2013.
4. مالك بن نبي، فكرة كمنولث إسلامي، دار الوعي للنشر والتوزيع، روية، 2013.
5. مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة بسام بركة و أحمد شعبو، دار الفكر، دمشق، ط15، 2018.
6. مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الوعي للنشر والتوزيع، روية، 2013.
7. مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط4، 2000.
8. مالك بن نبي، القضايا الكبرى، دار الفكر، دمشق، ط15، 2019.
9. مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الاسلامي الحديث ، دار الارشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1969.
10. مالك بن نبي، تأملات، ترجمة مسقاوي، عمر كامل، دار الفكر، بيروت، ط14، 2017.

11. مالك بن نبي، شروط النهضة، تر: عمر كامل مسقاوي و عبد الصبور شاهين ، دمشق: دار الفكر، دمشق، 1986.
12. مالك بن نبي، مجالس دمشق ، بن مرابط، الجزائر 2017.
13. مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، دار الفكر، دمشق، ط11، 2018.
14. مالك بن نبي، من أجل التغيير، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.
15. مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط10، 2015.
16. مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي ج01، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط12، 2019.

ثانيا: المعاجم والقواميس

17. أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، ج1، مكتبة لبنان، بيروت، د.ت.
18. أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية - المجلد الأول-، تر: خليل أحمد خليل، بيروت: منشورات عويدات، ط2، 2001.
19. بسام عبد الرحمان المشاقبة، معجم مصطلحات العلاقات العامة،: دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2014.
20. سهيل إدريس، المنهل قاموس فرنسي-عربي، دار الأداب للنشر والتوزيع، بيروت، ط34، 2005.
21. صليبا جميل، المعجم الفلسفي ج 2 دار الكتاب اللبناني، بيروت 1982.
22. محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2006.

23. مذکور ابراهيم، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة للشؤون المطابع الأميرية، القاهرة،  
1983.

– ثالثا: القوانين:

24. وزارة التربية، القانون التوجيهي للتربية الوطنية رقم 08-04 المؤرخ في 23 جانفي  
2008، عدد خاص، 2008.

المراجع:

أولا: الكتب باللغة العربية

25. ابراهيم البعثي، شخصيات إسلامية معاصرة ج2، دار الشعب، القاهرة، د.ت.
26. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ج 03 – 1830/1954 – (بيروت:  
دار الغرب الاسلامي، 1998).
27. أبو النصر الفارابي، كتاب أهل المدينة الفضيلة، دار المشرق، بيروت، ط2،  
2000.
28. ابو النور حمدي، الأخلاق والتواصل عند يورجين هابرماس، التنوير للطباعة  
والنشر والتوزيع، 2012.
29. أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية – دراسة في الوظيفة والبنية والنمط –  
الجزائر: منشورات الاختلاف، 2010.
30. أحمد زايد، علم الاجتماع النظريات الكلاسيكية والنقدية، نضمة مصر للنشر،  
القاهرة، د.ت.
31. أحمد كمال و كرم حبيب، علم الاجتماع الحضري، دار الجيل للطباعة، القاهرة  
1973.

32. إدريس هاني، ما وراء المفاهيم من شواغل الفكر العربي المعاصر، الانتشار العربي، بيروت، 2009.
33. آلان تورين،، ما الديمقراطية؟، تر:عبود كاسوحة، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، 2000.
34. أنور الجندي، محاكمة فكر طه حسين - مراجعة كاملة لمؤلفات وكتابات طه حسين خلال خمسين عاما في مواجهة ردود أكثر من أربعين عالما ، دار الاعتصام، د.ت.
35. إميل دوركايم، التربية والمجتمع، ترجمة علي أسعد وطفة، دار معد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ، 1996.
36. بدران بن الحسن، الظاهرة الغربية في الوعي الحضاري، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، قطر، 2000.
37. بدوي عبد الرحمان، الأخلاق عند كنت ، وكالة المطبوعات، الكويت 1979.
38. برغوث الطيب، النهضة الحضارية ومركزية شرط الوعي الحضاري فيها الجزائر: شركة الأصالة للنشر، الجزائر، 2018.
39. برغوث الطيب، حركة المدافعة الاجتماعية وإشكالية الاحتياطي الاستراتيجي للتغيير الحضري، دار النعمان للطباعة والنشر، المحمدية، 2021.
40. برغوث الطيب، سلطة المنهج في الحركة النبوية (المحمدية/ الجزائر): دار النعمان للطباعة والنشر، المحمدية 2019.
41. برغوث الطيب، مقدمة في الأزمة الحضارية والثقافية والسنية ، تحليل لأهمية المعطى الثقافي التربوي، دار قرطبة، الجزائر، 2004.
42. بشير طلحة، سوسيولوجية الرابط الاجتماعي محاولة للفهم ، مخبر سوسيولوجيا الاتصال الثقافي: القيم والتمثلات والممارسات، الأغواط، 2021.

43. بن نوار صالح، فعالية التنظيم في المؤسسات الصناعيّة، دار الفائز للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة 2010.
44. بوصفصاف، الفكر العربي الحديث والمعاصر - بن باديس نموذجاً - ج1، دار مداد يونيفارسيطي براس، قسنطينة، 2009.
45. توماس هوبز، اللفيتان - الأصول الطبيعية والسياسيّة لسلطة الدولة-، تر: جيانا حرب ويشري صعب ، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث كلمة، أبو ظبي، 2011.
46. جاسم محمد سلطان، فلسفة التاريخ الفكر الاستراتيجي في فهم التاريخ، مؤسسة أم القرى للترجم والتوزيع: المنصورة، 2005.
47. جان جاك روسو ، مقالات في العلوم والفنون، في الاقتصاد السياسي، في أصل اللغات، معهد تونس للترجمة، تونس، ط2، 2017.
48. جان جاك روسو، العقد الاجتماعي ، مكتبة الناظفة، الجيزة، 2012.
49. جون ديوي، الديمقراطية والتربية، تر: زكريا ميخائيل و منى عفراوي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط 2، 1954.
50. حسام الدين محمود فياض، مؤسس علم الحديث إميل دوركايم - المنهج التفسيري في دراسة الظواهر الاجتماعية كأشياء مكتبة نحو علم اجتماع تنويري، القاهرة، 2018.
51. حسام الدين محمود محمود فياض، "الخيال السويولوجي"، الجديد، 1 يوليو، 2021.
52. حسين أيت عيسى، الفكر التربوي عند مالك بن نبي، جسور للنشر والتوزيع، المحمدية، ط1، 2017.

53. ر.م. ماكبير و شارلز لزييج، المجتمع، ترجمة علي احمد عيسى (القاهرة: مطبعة النهضة المصرية، 2000).
54. الراشدان، التربية و التنشئة الاجتماعية، دار وائل للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، 2006 .
55. رحيم مُجّد سالم الساعدي و سعدي موسى هديل، الفلسفة والعيش المشترك-وقائع مؤتمر العراقي الفلسفي الدولي العشر- مطبعة كلية الآداب -الجامعة المستنصرية- ، بغداد، 2022.
56. روز، جاكلين، الفكر الأخلاقي المعاصر، تر: العوا، عادل، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، 2001.
57. سارة ميلز، الخطاب، تر: عبد الوهاب علوب، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2016.
58. سعاد ابراهيم الفجال، أهمية وأبعاد المواطنة -طرائق تدريس ممارسات المواطنة الفاعلة (القاهرة: دار الكتاب للحديث، 2018).
59. سعيد إدوارد، الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، تر: مُجّد عناني ، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2008.
60. سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط4، 2005.
61. سوتيريوس ساراتتاكوس، البحث الاجتماعي، تر: شحدة فارح،: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2017.
62. شرف، طه حسين وزوال المجتمع التقليدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1988.

63. شهبان راشد سعيد، السنن الربانيّة في التصور الاسلامي ج 1، الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان، 1991.
64. صادق عباس الموسوي، الحركات الاسلامية بين خيار الأمة ومفهوم المواطنة - حزب الله نموذجاً-، مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت د.ت.
65. طه جابر العلواني، إصلاح الفكر الإسلامي، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، 1991.
66. طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، د.ت.
67. طه عبد العالي نجم، مناهج البحث الإعلامي (الاسكندرية: دار كلمة للنشر والتوزيع، 2015 .
68. الطيب برغوث، مدخل سنني إلى النظرية الكلية في فقه العمران في ضوء القرآن الكريم، دار النعمان للطباعة والنشر، برج الكيفان، 2017.
69. الطيب صيد، سوسيولوجيا الرابط الاجتماعي، المعارف للطباعة، الجزائر، 2017.
70. عبد الجليل أبو المجد، مفهوم المواطنة في الفكر العربي الاسلامي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2010.
71. عبد الرحمان بن خلدون، مقدمة بن خلدون، دار الفجر للتراث، القاهرة، ط2، 2010.
72. عبد السلام حيمر، في سوسيولوجيا الخطاب، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2008.

73. عبد العال عبد الرحمان عبد العال، دراسات في الفكر الفلسفي الأخلاقي عند فلاسفة اليونان: دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، الاسكندرية، 2003.
74. عبد العزيز بن مُجَّد خواجه، سوسيولوجية الرابط الاجتماعي بناءات مفاهيمية ومسارات نظرية، داية للطباعة، غرداية، 2018.
75. عبد القادر فضيل، المدرسة في الجزائر - حقائق وإشكالات، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2013.
76. عبد الكريم بوصفصاف و وآخرون، معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع والعشرين ج، 01، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، 2002.
77. عبد الكريم غلاب، أزمة المفاهيم وانحراف التفكير، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998.
78. عبد الله بن أحمد العويسي، مالك بن نبي حياته وفكره، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت 2012.
79. عبد الله بن مُجَّد المطوع، الدعوة الاصلاحية وأعلامها، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض 1420هـ.
80. عبد الوهاب المسيري، تحرير سوزان حرفي، الثقافة والمنهج، تحقيق حرفي، سوزان، دار الفكر، دمشق، 2009.
81. عزام بن مُجَّد الدخيل، تعلمهم، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، ط 04، 2015.
82. علي أسعد وطفة، التربية والحداثة في الوطن العربي، لجنة التأليف والتعريب والنشر جامعة الكويت، 2013.

83. علي أسعد وطفة، رأسمالية المدرسة في عالم متغير- الوظيفة الاستلابية للعنف الرمزي والمناهج الحقيية-، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2011.
84. علي الحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة 1798-1914 الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ط5، 1987،.
85. علي خليفة الكواري و آخرون، المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، 2004.
86. علي فكري، التربية الاجتماعية، المطبعة العصرية، مصر، 1923.
87. عمر لعويرة، علم النفس التربوي، مؤسسة حسين رأس الجبل للنشر والتوزيع، قسنطينة، 2017.
88. عمر نقيب و وآخرون، سؤال المجتمع عند مالك بن نبي، الحمديّة: شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الحمديّة، 2021.
89. عمر نقيب، مقومات مشروع بناء إنسان الحضارة في فكر مالك بن نبي التربوي، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط3، 2017.
90. غيدنز انتوني وكارين بيردسال، علم الاجتماع -مع مدخلات عربيّة-، ترجمة فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط4، 2001.
91. فاطمة الزهراء سعيداني، مكانة شبكة العلاقات الاجتماعية في البناء الحضاري عند مالك بن نبي، كتابك، الجزائر، 2014.
92. قحطان عبد الرحمان الدوي، الشورى بين النظرية والتطبيق ، بغداد: مطبعة الأمة، بغداد، 1974.
93. الكيلاني ماجد عرسان، التربية والتجديد وتنمية الفعالية عند العربي المعاصر، دار القلم للنشر والاشهار، دبي، 2005.

94. لومان نيكلاس، مدخل إلى نظرية الأنساق، تر: يوسف فهمي حجازي، منشورات الجمل، بغداد، 2010.
95. مايكل أس و جويس، بناء مجتمع من المواطنين-المجتمع المدني في القرن 21، تر: هشام عبد الله، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 2003.
96. مايكل كاريندرس، لماذا ينفرد الإنسان بالثقافة؟، ترجمة شوقي جلال، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ط2 2023.
97. مُجَّد بازي، صناعة الخطاب، الأنساق العميقة التأويلية العربية، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، 2015.
98. مُجَّد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر الحمية، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، ط2، 1981، ص 61/62/59.
99. مُجَّد خليل هراس، الحركة الوهابية، بيروت: دار الكتاب العربي، بيروت، ط5 د.ت.
100. مُجَّد شومان، تحليل الخطاب الإعلامي أطر نظرية ونماذج، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2007..
101. مُجَّد طه الجابري، جوانب من الحياة العقلية والأدبية في الجزائر، معهد البحوث والدراسات العربية - جامعة الدول العربية - القاهرة، 1968.
102. مُجَّد عبد العال النعيمي و وآخرون، طرق ومناهج البحث العلمي، ط2: ، الوراق للنشر والتوزيع، عمان، ط2، 2014.
103. مُجَّد عبد المعبود مرسي، علم الاجتماع عند تالكوت بارسونز بين نظريتي الفعل والنسق الاجتماعي، مكتبة العليقي الحديثة، القصيم 2001.

104. مُجَّد مُجَّد يونس علي، تحليل الخطاب و تجاوز المعنى: نحو بناء نظرية المسالك و الغايات، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، عمان، 2016.
105. مُجَّد مهدي الاستامبولي، طه حسين في ميزان العلماء والأدباء، المكتب الإسلامي، بيروت، 1983.
106. مُجَّد يوسف موسى، مباحث في فلسفة الأخلاق، مؤسسة هنداوي، المملكة، 2017.
107. مصطفى محسن، في المسألة التربوية - نحو منظور سوسيلوجي منفتح -، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 2، 2002.
108. موريس آنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الانسانية - تدريبات عملية، تر: سعيد سبعون وآخرون، دار القصة للنشر، الجزائر، ط 2، 2006.
109. وايتهد و نورث ألفرد، كيف يتكون الدين؟، تر: السيد رضوان ، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، بيروت، 2017.
110. يوسف بوراس، الفكر السياسي عند مالك بن نبي ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
111. المجالات والدوريات:
112. السعيد بن عزه و فوزي لوحيدي، "من المواطنة إلى المواطنة العالمية"، المجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات 04، عدد 03 (يونيو، 2021): 27/15.
113. عبد السلام طويل، "من التعايش إلى العيش المشترك: نظرات في تدبير التعددية الثقافية"، التفاهم، عدد 47 (2015): 295-330.
114. مُجَّد نجيب سحر و صالح حسين علي عبد الله، "مبدأ المواطنة ضمان لتعزيز العيش"، مجلة الباحث العربي 4، عدد 3 (10 نوفمبر، 2023): 93-110.

ثانيا : المجلات والدوريات

115. داود حليفة و نصر الدين شنوف، "تحليل الخطاب في ضوء المناهج الفلسفية والنقدية المعاصرة"، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب ، جامعة المسيلة 001، عدد 01 (1 يونيو، 2017): ص 86.
116. الطاهر جصيص، "تحليل الخطاب بين الغموض ومسألة الخلاف"، المجلة الجزائرية للاتصال، جامعة الجزائر 03 16، عدد 22 (1 يناير، 2014): ص 27.
117. علا عبد الله خطيب، "مفهوم الواجب عند كانط -مقاربة نظرية"، الاستغراب ، مجلة تصدر عن المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية -بيروت-، عدد 9 (2017): 298-310.
118. علي أسعد وطفة، "النزعة الروحية للتربية في مواجهة الحضارة المادية"، مدارات ثقافية، د.ت،  
<https://www.madaratthakafia.com/2023/09/mad-details02092023-01.html>
119. علي أسعد وطفة، أصول التربية: إضاءات نقدية معاصرة،: مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت، الكويت، 2011، .
120. علي أسعد وطفة، "التجليات الانسانية في مفهوم المواطنة"، مجلة التسامح، عدد 15 (2006): 03.
121. علي أسعد وطفة، "التجليات الانسانية في مفهوم المواطنة"، مجلة التسامح، عدد 15 (2006): 7.
122. علي أسعد وطفة، "في مفهوم الأخلاق: قراءة فلسفية معاصرة"، شؤون اجتماعية، كلية التربية، جامعة الكويت، عدد 119 (2013): 124/91.

123. مولود عويمر، "ابن باديس كما يراه مالك بن نبي"، البصائر، 19 أبريل،

2022، <https://elbassair.dz/19141/>،

124. مونيك كاستيلو، "الالتزام الأخلاقي: مباحثة برغسون مع كانط"،

الإستغراب، عدد 9 (2017): 68-248.

125. نعيم بومقرة، "ثقافة المواطنة بين مفهومي التربية والمشاركة"، مجلة مجتمع

تربية عمل، 6، عدد 02 (2021): 143/133

126. النوعي عبد القادر، "مالك بن نبي والزمن"، مجلة الدراسات التاريخية

24، عدد 1 (2004): -703.300/730

ثالثا: الرسائل والمذكرات الجامعية:

127. حكيمة أوشنان، "مشروع المجتمع لدى الأحزاب السياسية الجزائرية -

تحليل خطاب مدونة-"، أطروحة دكتوراه علوم في علم اجتماع التنمية، قسم علم

الاجتماع، كلية العلم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة 2، 2015.

128. عمامرة رايح تركي، "الامام عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في

التربية والتعليم" رسالة ماجستير، القاهرة، كلية التربية، جامعة عين الشمس،

1970.

129. محمد بغداد باي، "تربية إنسان ما بعد الحضارة قراءة تربوية نوعية لفكر

مالك بن نبي" (أطروحة دكتوراه في علم النفس، وهران، كلية العلوم الاجتماعية،

جامعة وهران 2، 2015).

رابعا: المواقع الالكترونية:

130. محمود حواس، "الثقافة والمثقفون"، الحوار المتدن، 20 نوفمبر، 2005،

<https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=5>

[.0949](#)

131. معهد التميز المستدام، "مفهوم المسؤولية الاجتماعية"، 2023 ،

<https://tamayuz.ae/>.

132. "الأرض لمن يخدمها"، 2013 ،

<https://www.ennaharonline.com/>.

خامسا: المداخلات العلمية:

133. مركز جيل البحث العلمي، البيان الختامي - الملتقى الدولي السنوي

للبحث العلمي التربوية على المواطنة وحقوق المواطنة، مركز جيل للبحث العلمي،

طرابلس، 2018.

134. نور الدين زمام و آخرون، الخطاب التربوي وتحديات العولمة، أعمال

الملتقى الدولي الثاني المنظم بالتعاون مع قسمي علم النفس وعلم الاجتماع، مخبر

المسألة التربوية في الجزائر في ظل التحديات الراهنة، بسكرة جامعة محمد

خيضر، 2015.

سادسا: المراجع باللغة الأجنبية

135. –Alain Battegay, "Ambivalences de la citoyenneté", Migrations Société 4, N136, p : (2011)

66/55.

136. – Jacques Lecomte, "Les applications du sentiment d'efficacité personnelle", Savoie, 2004,

59/90.

137. – John Rawls, A theory of justice, Rev. ed  
(Cambridge, Mass: Belknap Press of Harvard  
University Press, 1999), 294.
138. – Jolibert Bernard, "Qu'est-ce que l'intégration ?,  
de Dominique Schnapper", hal open science (blog),  
2007, [https://hal.univ-reunion.fr/hal-  
02452458v1/document](https://hal.univ-reunion.fr/hal-02452458v1/document).

**139**–Madeleine Grawitz, Méthodes des sciences sociales, 5e  
éd, Précis Dalloz (Paris: Dalloz, 1981), 644